The Love Revolution





چويس ماير

JOYCE MEYER

الثورة: تغيير فجائي وجذري وكامل للطريقة التي تسير بها الأمور في المعتاد.

ثورة. هذه الكلمة في حد ذاتها تنشط الرجاء. وتلهب الغيرة. وتستدعي الولاء أكثر من أية كلمة أخرى في مفردات البشر. وهي تستحضر للذهن صورة مجموعة صغيرة من الناس الذين يرفضون الاستمرار في العيش بالطريقة التي كانوا يعيشون بها في الماضي.

تقول جويس ماير أؤمن أن الوقت قد حان لحدوث الثورة التالية في العالم. والتي هي أعظم جميع الثورات. نحن لا نحتاج إلى ثورة أساسها السياسة أو الاقتصاد أو التكنولوجيا. بل نحتاج إلى ثورة محبة.

الكتاب الذي تمسك به بين يديك كتاب خطير فهو مرشد الثائر. وهو ليس مجرد دعوة للتحرك. بل دعوة لتغيير الكيان .... إنه يدعوك أن تكون الشخص الذي يساعد صديقا محتاجا ... الشخص الذي يساعد غريباً محتاجاً ... الشخص الذي يصر على ممارسة أعمال المحبة.

في هذا الكتاب توضح جويس ماير أننا إذا عشنا لأنفسنا. لن نشبع أبدا. كما أن الكتاب المقدس يعلمنا أننا عندما نعطي حياتنا. سوف نجد الحياة ترجع إلينا. لكنها لن ترجع إلينا فحسب وإنما سترجع بالزيادة والبركات.

ومن خلال الفصول التي يقدمها الكتّاب المشاركون وهم دارلين تشيك من هيلسونج. ومارتن سميث من ديليريوس. والرعاة بول سكانلون وتومي بارنيت وجون ماكسويل. يرسم كتاب ثورة المحبة طريقة جديدة للحياة. طريقة سوف تغير حياتك وعالمك.

ثورة المحبة

جويس ماير

اسم الكتاب : ثورة المحبة
المؤلف : جويس ماير
الترجمة : سوسة فاروق
الناشر : خدمات جويس ماير
المطبعة : شركة الطباعة المصرية - ت . ٤٦١٠٠٥٨٩
التجهيز الفني : جي. سي. سنتر - ت : ٢٦٣٧٣٦٨٦ - ٢٦٣٥٨٧٩٧
رقم الإيداع ١٥٣٥٥ ٢٠٠٩
الترقيم الدولي : 1-067-443 977-978

التوزيع بالشرق الأوسط
P.T.W للترجمة والنشر
تليفاكس: ٢٦٦٧٨٩٨٠ - ٢٦٦٧٨٩٨١ - (٢٠٢ +)
E-mail: ptw@ptwegypt.com



www.ptwegypt.com

English Title
The Love Revolution

Arabic Edition 2009 by P.T.W

نسخة غير مخصصة للبيع

محتويات الكتاب

مقدمة

ثورة. هذه الكلمة في حد ذاتها تنشط الرجاء، وتلهب الغيرة، وتستدعي الولاء أكثر من أية كلمة أخرى في مفردات البشر. فعلى مر التاريخ كانت فكرة الثورة تسكب وقوداً على الثوار، وتضخ الشجاعة في القلوب الحائرة. كانت الثورات تجمع من يبحثون عن قضية أكبر من أنفسهم، وتمنح من كانوا قبلاً رجالاً ونساءاً بلا هدف، قضية تجعلهم مستعدين أن يضحوا بحياتهم لأجلها. لقد خلقت الثورات قادة عظماء وأقامت أتباعاً عظماء، فغيروا العالم تغييراً فعلياً.

والثورة هي تغيير فجائي وجذري وكامل للطريقة التي تسير بها الأمور في المعتاد. غالباً ما تشتعل الثورات بفعل شخص واحد أو مجموعة صغيرة جداً من الناس الذين يرفضون الاستمرار في العيش بالطريقة التي كانوا يعيشون بها في الماضي. وهم يؤمنون أنه يوجد شيء يمكن أن يتغير بل ويجب أن يتغير، ويستمرون في نشر أفكارهم إلى أن تبدأ موجة التغيير في الظهور فتغير الموقف تغييراً مطلقاً جذرياً.

وقد شهد العالم في الماضي ثورات أطاحت بالحكومات التي كانت تستغل مواطنيها. حدث هذا في الثورة الأمريكية، والثورة الفرنسية، والثورة الروسية (والتي تسمى أيضاً الثورة البلشفية)، وما هذه الثورات إلا قليلٌ من كثير. كما كانت هناك أيضاً ثورات لاستبدال الأنظمة أو الطرق العتيقة غير الفعالة في معالجة الأمور، مما جعل طرق التفكير القديمة تفسح المجال للأفكار الجديدة، مثلما حدث في الثورة العلمية

أو الثورة الصناعية. قال توماس جيفرسون «كل جيل يحتاج إلى ثورة جديدة». وأنا أؤمن أن الوقت قد حان لحدوث الثورة التالية في العالم، والتي هي أعظم جميع الثورات. نحن لا نحتاج إلى نفس نوعية الثورات التي حفرت علامات في تاريخ العالم في الأجيال السابقة لنا. لا نحتاج إلى ثورة أساسها السياسة أو الاقتصاد أو التكنولوجيا، بل نحتاج إلى ثورة محبة!

نحن نحتاج إلى الإطاحة بسيادة الحياة الأنانية المتمركزة حول الذات في حياتنا. لن يتغير شيء في العالم إذا لم يكن كل واحد منا مستعداً أن يتغير. كثيراً ما نتمنى أن يتغير العالم بدون أن نتوقف لندرك أن حالة العالم ما هي إلا نتيجة للطريقة التي نعيش بها حياتنا الفردية، وللاختيارات التي نختارها كل يوم.

إذا عرف كل إنسان على هذا الكوكب كيف يقبل المحبة ويمنحها، سوف يكون عالمنا مكاناً مختلفاً تمام الاختلاف. أعتقد أننا كلنا نعلم أن هناك شيئاً ما خطأ في المجتمع ويحتاج إلى الإصلاح، لكن يبدو أنه لا يوجد من يعلم ماذا يفعل أو كيف يبدأ في صنع التغيير. فنحن نتفاعل مع العالم الخارج عن نطاق السيطرة بالشكوى والتفكير القائل «يجب أن يكون هناك شخص ما يفعل شيئاً ما». نحن نفكر ونقول ربما يجب على الله أو الحكومة أو شخص آخر في موضع سلطان أن يتحرك، لكن لابد أن نتعلم أن نعيش حياتنا بمنظور مختلف عما كان لنا من قبل. يجب أن يكون لدينا الاستعداد للتعلم، والتغيير، والاعتراف أننا جزء من المشكلة.

لا يمكننا أن نصلح ما لا نفهمه، ولذلك فإن احتياجنا الأول هو أن نعرف جذور المشكلة. لماذا يشعر غالبية الناس بالتعاسة؟ لماذا يوجد هذا

القدر الكبير من العنف داخل العائلات والأحياء والمدن والبلدان؟ لماذا يتصرف الناس بغضب شديد؟ قد تعتقد أن هذه الأشياء تحدث بسبب الخطية. قد تقول «الناس خطاة، وهذه هي المشكلة». أنا أتفق مع هذه النظرية، لكني أريد أن أتناول المشكلة من وجهة نظر عملية نواجهها كلنا يومياً. أنا أؤمن بشدة أن جذر كل هذه المشكلات والكثير غيرها هو الأنانية. والأنانية، بالطبع، هي نتاج الخطية. إنها تعني أن يقول الإنسان «أنا أريد ما أريده، وسوف أفعل كل ما يلزم لكي أحصل عليه»، فالخطية توجد في كل مرة يعارض فيها الإنسان الله وطرقه.

نحن نميل إلى الحياة «للخلف» - أي عكس الطريقة التي يجب أن نعيش بها تماماً. نحن نعيش لأنفسنا، ومع ذلك لا نصل أبداً لما يشبعنا. يجب أن نعيش لغيرنا ونتعلم ذلك السر الرائع: أن ما نقدمه يرجع إلينا أضعافاً مضاعفة. أنا أحب ما قاله ذلك الطبيب الشهير لوقا: «أعطِ حياتك، سوف تجد الحياة ترجع إليك، لكن لن ترجع إليك فحسب وإنما سترجع بالزيادة والبركات. فالطريق الصحيح هو العطاء، وليس الأخذ. السخاء ينال السخاء.» (لو ٦ : ٣٨ - ترجمة الرسالة الإنجليزية).

في كثير من المجتمعات أصبح الامتلاك والتملك والسيطرة هي أهداف الناس الأولى. كل إنسان يريد أن يكون «الأول»، مما يعني تلقائياً أن كثيرين من الناس سيشعرون بخيبة الأمل، لأنه لا يمكن أن يكون هناك سوى أول واحد في أي وقت في أية منطقة. شخص واحد فقط يمكن أن يكون الأول في العالم، واحد فقط هو الذي يمكن أن يكون رئيس الشركة أو أفضل ممثل أو ممثلة على المسرح أو في السينما. شخص واحد فقط يمكن أن يكون أفضل كاتب أو أفضل رسام في العالم. ومع أني أؤمن أننا كلنا

يجب أن نركز على تحقيق الأهداف وأن نفعل أقصى ما بوسعنا، إلا أنني لا أرى أننا يجب أن نريد الحصول على كل شيء لأنفسنا وألا نهتم بغيرنا أبداً.

في وقت كتابتي لهذا الكتاب يبلغ عمري الآن خمسة وستين عاماً، وأعتقد أن هذه الحقيقة في حد ذاتها تؤهلني لمعرفة بعض الأمور القليلة، فقد عشت على الأقل لفترة تكفي أن أكون قد جربت عدة طرق مختلفة للحصول على السعادة واكتشفت بفعل الزمن ما ينجح وما لا ينجح. الأنانية لا تجعل الحياة كما يجب أن تكون، وهي بالتأكيد ليست مشيئة الله للبشر. أعتقد أنني يمكنني أن أثبت في هذا الكتاب أن الأنانية هي في الحقيقة المشكلة الكبرى التي نواجهها اليوم على مستوى العالم، وأن الحل هو في حركة عنيفة للتخلص من هذه الأنانية. يجب أن نعلن الحرب على الأنانية. نحن نحتاج إلى ثورة المحبة!

يجب أن تكون المحبة أكثر من مجرد نظرية أو كلمة، يجب أن تكون فعلاً، يجب أن يراها الناس ويشعروا بها. الله محبة! والمحبة كانت ولازالت فكرته. لقد أتى ليحبنا، وليعلمنا كيف نحبه، ويعلمنا كيف نحب أنفسنا والآخرين.

عندما نفعل ذلك تصبح الحياة جميلة، وعندما لا نفعل ذلك تسوء كل الأمور. المحبة هي الحل للأنانية، لأن المحبة تعطي في حين أن الأنانية تأخذ. يجب أن نتحرر من أنفسنا، وقد أتى يسوع لهذا الغرض بالتحديد، فكما نرى في ٢ كورنثوس ٥ : ١٥ «وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ.»

مؤخراً بينما كنت أتأمل في كل المشكلات الفظيعة في العالم، مثل أطفال المجاعات الذين يقدرون بالملايين، والإيدز، والحروب، والقمع، والاتجار بالبشر، واغتصاب الأقارب، والكثير والكثير، سألت الله «كيف يمكنك أن تحتمل أن ترى كل هذا يحدث في العالم ولا تفعل شيئاً؟» وسمعت الله يقول لي في روحي «أنا أعمل من خلال الناس. أنا أنتظر من شعبي أن ينهضوا ويفعلوا شيئاً».

قد تفكر، مثل ملايين غيرك، قائلاً: أنا أعرف أن العالم فيه مشكلات، لكنها مشكلات ضخمة للغاية، ما الذي يمكنني عمله ويمكن أن يمثل اختلافاً تجاه هذه المشكلات؟ وهذا بالضبط هو نوع التفكير الذي أبقانا مشلولين بينما استمر الشر في انتصاره. يجب أن نكف عن التفكير فيما لا يمكننا عمله، وأن نبدأ في فعل ما يمكننا عمله. في هذا الكتاب، سوف أشاركك أنا وبعض الكتّاب الضيوف الذين دعوتهم لينضموا إليَّ، بكثير من الأفكار والطرق التي يمكنك بها أن تكون جزءاً من الحركة الجديدة القادرة على إحداث التغيير الجذري الإيجابي.

أنا أرفض أن أقف صامتة بعد الآن وألا أفعل شيئاً في الوقت الذي ينجرف فيه العالم لأسفل. قد لا أستطيع أن أحل كل المشكلات التي أراها، لكنني سأفعل ما يمكنني فعله. وصلاتي هي أن تنضم إليَّ في الوقوف ضد الظلم وأن تكون مستعداً لتقوم بالتغيير الجذري في الطريقة التي تتعامل بها مع الحياة. لا يمكن أن تظل الحياة تدور حول ما يمكن أن يفعله الآخرون لنا، بل يجب أن تدور حول ما يمكننا نحن أن نفعله لهم.

كل حركة تحتاج إلى شعار أو عقيدة تُخلِّدها، ونحن في خدمة جويس ماير وضعنا ميثاقاً في روح الصلاة وتعهدنا بالحياة بموجبه. هل تنضم

إلينا ؟

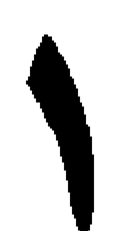
سوف أتحلى بالشفقة وأتخلى عن كل أعذاري .
سوف أقف في وجه الظلم ،
وأتعهد أن تكون حياتي أفعالاً بسيطة تبين محبة الله .
أرفض أن أظل لا أفعل شيئاً ، وهذا هو ما عزمت عليه .
أنا هو ثورة المحبة .

أصلي أن تصبح هذه الكلمات هي شعارك أنت أيضاً – والمقياس الجديد الذي تحيا به . لا يجب أن تنتظر حتى ترى ما يختار شخص آخر أن يفعله ، وإياك أن تنتظر لترى إذا كانت هذه الحركة ستصبح مشهورة أم لا . إن هذا شيء يجب أن تقرره بنفسك ، وتعهد يجب عليك أنت وحدك أن تختار الالتزام به . اسأل نفسك : «هل سأستمر جزءاً من المشكلة أم سأكون جزءاً من الحل ؟» لقد قررت أن أكون جزءاً من الحل . ستكون المحبة هي الفكرة المحورية لحياتي .

اسأل نفسك: «هل سأستمر جزءاً من المشكلة أم سأكون جزءا من الحل؟» لقد قررت أن أكون جزءاً من الحل. ستكون المحبة هي الفكرة المحورية لحياتي.

وماذا عنك ؟ هل ستساهم في استمرار المشكلات في العالم اليوم ؟ هل تتجاهلها أو تتظاهر أنها غير موجودة ؟ أم ستنضم إلى ثورة المحبة ؟

الفصل



ما الخطأ في العالم؟

صحيح أنني مجرد شخص واحد، لكنني مع هذا شخص.
صحيح أنني لا أستطيع أن أفعل كل شيء،
لكنني أستطيع أن أفعل شيئاً ما، ولأنني لا يمكنني
أن أفعل كل شيء، فلن أرفض أن أفعل ذلك
الشيء الذي أستطيع عمله.

إدوارد إيفريت هيل

بينما أجلس وأحتسي قهوتي الصباحية، وأنظر من نافذتي إلى المنظر الطبيعي البديع، هناك ٩٦٣ مليون شخص يعانون من الجوع.

أكثر من مليار نسمة يتقاضون أقل من دولار واحد يومياً.

ثلاثون ألف طفل سيموتون اليوم بسبب الفقر، وهم يموتون في بعض أفقر القرى على وجه الأرض - مُبْعَدين عن ضمير العالم. وهذا يعني أن

كل أسبوع يموت ٢١٠ ألف طفل - وكل عام يموت ١١ مليون - ومعظمهم أقل من خمس سنوات.

من بين ٢,٢ مليار طفل في العالم، يوجد ٦٤٠ مليون طفل بدون مأوى مناسب، ٤٠٠ مليون بدون مياه شرب آمنة، و ٢٧٠ مليون بدون أية خدمات طبية من أي نوع.

هل تجد هذه الإحصائيات مروعة بالنسبة لك كما هي بالنسبة لي؟ أتمنى ذلك، فهي حقائق فظيعة وواقعية عن الحياة في العالم الذي نعيش فيه. هذه الأمور تحدث على كوكبنا وأمام عيوننا. أنا أدرك أن الإحصائيات التي قرأتها للتو قد لا تنطبق على المدينة أو الدولة التي تقيم فيها، لكن اليوم أكثر من أي وقت آخر أصبحنا كلنا مواطنين في العالم. نحن جزء من المجتمع العالمي، وهناك أفراد من أسرتنا البشرية يعانون بطرق لا يمكن تخيلها أو التعبير عنها.

أؤمن أن الوقت قد جاء لصرخة توقظ العالم - صرخة تنهضنا من تكاسلنا وجهلنا ونفورنا من الصعوبات، صرخة تحقرنا لنقاوم الألم والفقر والخسارة، والعوز، والظلم، والقمع، وظروف الحياة التي لا تضمن حياة إنسانية صحية أو حتى أقل قدر من الكرامة للإنسان. في الحقيقة لقد حان الوقت لثورة المحبة!

فم واحد صغير، ستة أسنان في كل منها خراج

في أحد القوافل الطبية لخدمة جويس ماير في كمبوديا، قام طبيب أسنان تطوع بوقته ليذهب ويساعد الناس بخلع واحد وعشرين سناً من طفلة صغيرة، ستة منها كانت مصابة بالخراج. عندما أفكر في هذا

الموقف الموجع أتذكر عندما كان زوجي يعاني ذات مرة من ألم الأسنان بينما كنا مسافرين إلى أستراليا. كان في غاية التعاسة لأنه كان على متن طائرة ولم يمكنه أن يجد راحة من هذا الألم. بمجرد أن هبطت الطائرة، في الساعة العاشرة مساءاً كان هناك شخص قد رتب له زيارة لطبيب أسنان لكي يتلقى المساعدة. لكن ماذا عن الطفلة الصغيرة والآلاف مثلها الذين يتحملون الألم كل يوم وليست لديهم أية وسيلة للرعاية الطبية؟ تخيل هذا الأمر للحظات قليلة. كيف ستشعر إذا كان لديك واحد وعشرون سناً متآكلة وترتجف من الألم؟

هذا النوع من المعاناة التي لا يمكن تخيلها موجود بالفعل، ويحدث لأشخاص حقيقيين كل يوم في أماكن بعيدة في العالم. معظمنا إما لا يعرفون شيئاً عنهم أو في أفضل الأحوال ربما يرون صوراً لهم في التليفزيون. ونقول «يا للعار. يجب حقاً أن يقوم شخص ما بفعل شيء لهم»، ثم نواصل احتساء قهوتنا الصباحية ونستمتع بالمنظر البديع.

عندما تكون النفاية نفائس

كانت هناك طفلة في كمبوديا اسمها «جشي» تعيش في مقلب قمامة. انتقلت هذه الطفلة إلى هذا المكان عندما كان عمرها أربع سنوات. لم يستطع والداها أن يعولاها فطلبا من أختها الأكبر أن تأخذها، وكانت الطريقة الوحيدة التي تمكّن الأختين من البقاء على قيد الحياة هي العيش والعمل في مقلب القمامة. تقضي جشي سبعة أيام أسبوعياً في الحفر في القمامة بأداة معدنية أو بيديها بحثاً عن طعام تأكله أو عن قطع بلاستيك

أو زجاج يمكن أن تبيعها لتحصل على نقود كي تشتري بها طعاماً. وهي تعيش في وسط القمامة منذ ست سنوات، وكثيرون غيرها يعيشون منذ وقت أطول بكثير.

أرجو أن تدرك أن هذا هو مقلب قمامة المدينة، وكل ليلة تأتي شاحنات القمامة والنفايات إلى المقلب لتلقي ببقايا ومخلفات أناس آخرين، جمعتها هذه الشاحنات من كل أنحاء المدينة. الأطفال يعملون بالليل، في الظلام، مرتدين خوذات ذات أنوار على رؤوسهم لأن أفضل النفايات يمكن العثور عليها فور وصولها مباشرة.

بعد زيارتي إلى مقلب القمامة، سألني أحد المحاورين عن رأيي فيه. وبينما كنت أحاول أن أصوغ ما يدور في ذهني في صورة كلمات، أدركت أن الموقف مرعب للغاية لدرجة أنني لم أعرف كيف أفكر فيه. لم يستطع عقلي أن يفهم هذا الانحدار العميق بطريقة يمكن التعبير عنها، لكنني قررت أن أحاول أن أفعل شيئاً حياله.

استغرق التعامل مع هذا الأمر عاماً من المجهود من جانب أناس عديدين، وتطلّب تبرعات من شركاء خدمتنا، وبعض الأموال الخاصة بي وبديف أيضاً. لكننا استطعنا أن نعيد تصميم أتوبيسين كبيرين محولين إياهما إلى مطعمين متنقلين. هذان الأتوبيسان يذهبان إلى مقلب القمامة، ويصعد الأطفال إليهما ويجلسون ويتناولون وجبة لطيفة، بل ويتلقون أيضاً بعض الدروس في القراءة والحساب لتساعد على إعدادهم لمستقبل أفضل. بالطبع نحن نشاركهم بمحبة يسوع، لكننا لا نكتفي بأن نخبرهم أنهم محبوبون، بل نظهر لهم هذا عن طريق سداد احتياجات عملية في حياتهم.

النوايا الطيبة لا تكفي

سمعت قصة عن رجل ذهب إلى روسيا بنوايا طيبة أن يخبر الناس عن محبة يسوع المسيح. وأثناء زيارته، كان هناك كثيرون يتضورون جوعاً. عندما وجد صفاً من الناس ينتظرون على أمل الحصول على خبز ليومهم، اقترب منهم وهو يحمل نبذات من الكتاب المقدس، وبدأ يسير بطول هذا الصف يخبرهم أن يسوع يحبهم معطياً لكل منهم نبذة بها رسالة الخلاص. بالتأكيد كان هذا الرجل يحاول أن يساعدهم، لكن إحدى السيدات نظرت إلى عينيه وقالت بمرارة: «كلماتك لطيفة، لكنها لا تملأ معدتي الخاوية».

لقد تعلمت أن بعض الناس يتألمون كثيراً جداً للدرجة التي تجعلهم لا يسمعون بشارة أن الله يحبهم، يجب أن يختبروا هذه المحبة. وأحد أفضل الطرق لفعل هذا الأمر هو أن نسدد احتياجاتهم العملية، بالإضافة إلى أن نخبرهم أنهم محبوبون.

يجب أن نتحذر من فكرة أن الكلمات كافية. بالتأكيد كان يسوع يكرز بالأخبار السارة، لكنه أيضاً كان

> يجب أن نتحذر من فكرة أن الكلمات تكفي.

يصنع الخير ويشفي كل المتضايقين (انظر أعمال الرسل ١٠ : ٣٨). الكلام لا يكلف شيئاً، ولا يتطلب جهداً كبيراً. لكن المحبة الحقيقية مكلفة. لقد كلفت الله ابنه الوحيد، وعندما نسمح للمحبة الحقيقية أن تفيض من خلالنا، سوف يكلفنا هذا أيضاً. ربما نضطر لاستثمار بعض الوقت، أو المال، أو الجهد، أو الممتلكات - لكنه سيكون مكلفاً!

الله يعتمد علينا

بعد قليل سوف أغادر منزلي لكي أذهب لاحتساء القهوة مع زوجي، وبعدها سوف نذهب لتناول الغداء معاً. ربما نغيب لمدة ساعتين، وأثناء هذا الوقت سيكون هناك ٢٤٠ طفلاً قد تم اختطافهم لأغراض الاتجار الجنسي. هذا يعني أنه في كل دقيقة هناك طفلان تُدمّر حياتهما بسبب أنانية وطمع شخص ما، إلا إذا فعلنا شيئاً. ماذا يمكننا أن نفعل؟ يمكننا أن نهتم، ويمكننا أن نعرف، ويمكننا أن نصلي، ويمكننا أن نتصرف. يمكننا أن نساند الخدمات والمؤسسات التي لها سجل معروف في إنقاذ الأطفال والنساء من هذه الظروف المرعبة، أو يمكننا أن نختار أن نعمل في هذه الميادين إذا طلب منّا الله ذلك. إذا لم يمكننا العمل طوال الوقت، يمكننا التفكير في فعل شيء مؤقت في شكل مشروع أو القيام برحلة خدمة قصيرة.

عبودية الجنس

بينما تسير في الحارة الضيقة، تجد علامات التآكل والدمار تتسلل إليك من وسط الظلام. هذه المباني الحجرية تسندها قطع معدنية وأسلاك. يمتلئ الهواء برائحة القمامة المتعفنة والقاذورات البشرية. وخلف هذه الواجهة المتآكلة، تسمع صرخات نواح طفل، وصيحات غضب وهياج، ونباحاً عالياً لأحد الكلاب الضالة التي تجول في هذه الشوارع القاسية.

إذا سرت في هذه المنطقة ستخبرك حواسك بأمور كثيرة، لكن أكثر ما تتيقن منه هو ما يخبرك به إحساسك. لا يوجد شك في أن هذا المكان مكان شرير. وسيصعب عليك تخيل أن هذا المكان هو من صنع الأشرار الفاسقين الذين يبيعون الأطفال لأغراض الجنس.

أصبح هذا الجحيم الحي هو بيت «سامراوورك» عندما كان عمرها سبع سنوات فقط. عندما تم إنقاذها في محطة الأتوبيس في عمر الثانية عشرة، كانت قد تدهورت وأصبحت هيكلاً لفتاة لا حياة فيها- كانت جلداً على عظام. كانت ميتة عاطفياً وعيناها خاويتان لا تقويان على التعبير. فعلى مدار خمس سنوات كانت ضحية للمنحرفين الشهوانيين الذين كانوا يدفعون ثمناً أكبر لامتياز انتهاك جسدها الصغير. كانوا يدفعون ثلاثة دولارات بدلاً من دولار واحد لأنها كانت صغيرة جداً.

كان الدمار الذي حل بأعضائها الأنثوية شديداً للغاية، لدرجة أنها احتاجت إلى جراحة إصلاح موسعة حتى يمكنها أن تعيش حياة عادية. لكن الاحتياجات الملحة لجسدها كانت قليلة إذا قورنت بالدمار الذي عانت منه روحياً وعاطفياً.

تم تشخيص سامراوورك بمرض نقص المناعة (الإيدز). كانت يتيمة ولا تذكر أياً من والديها. وكالكثيرين مثلها، وقعت في شرك الشر الذي يفوق التخيل.

تقول الإحصائيات:

- ١,٢ مليون طفل يتعرضون لهذه التجارة كل عام، هذا بالإضافة إلى الملايين المأسورين في هذه التجارة بالفعل.
- كل دقيقتين يتم تجهيز طفل للاستغلال الجنسي.
- حوالي ٣٠ مليون طفل فقدوا طفولتهم بسبب الاستغلال الجنسي على مدار الثلاثين عاماً الماضية.

كان طبيب الأسنان الذي ذكرته سابقاً في هذا الفصل مشاركاً في أحد القوافل الطبية لخدمة جويس ماير في واحدة من دول العالم الثالث. هؤلاء الناس بينهم عدد قليل من الأشخاص العاملين لدى خدمة جويس ماير، لكن معظمهم متطوعون رائعون يقتطعون وقتاً من عملهم ويتحملون نفقاتهم الخاصة لكي يذهبوا معنا. وهم يعملون من اثنتي عشرة ساعة إلى ست عشرة ساعة يومياً، وعادة ما يعملون في أماكن تكون فيها درجة الحرارة أعلى بكثير مما اعتادوا عليه مع عدم وجود أجهزة تكييف أو حتى مراوح. وهم يعملون في قرى بعيدة، تحت الخيام، ويستطيعون مساعدة الناس الذين ربما لا يتلقون أية رعاية طبية من أي نوع. ويكون باستطاعتنا أن نقدم لهم علاجاً ينقذ حياتهم ويخفف آلامهم. ونقدم لهم فيتامينات، ونطعمهم، ونعرِّفهم كم يحبهم يسوع حقاً. ونحن نقدم لكل واحد الفرصة لقبول الرب يسوع، ومعظمهم يختارون أن يفعلوا هذا. تتجمع الدموع في عيني كلما تذكرت الأطباء وأطباء الأسنان والممرضات وكل المعاونين الطبيين الآخرين الذين أخبرونا بتأثر بالغ كيف غيرت مثل هذه الرحلات حياتهم للأبد. وبينما نحاول أن نعبر عن شكرنا لهم، ينتهي الأمر بأن يعبروا هم عن شكرهم لنا لأن عيونهم انفتحت على المعنى الحقيقي للحياة.

ذات مرة اصطحبنا معنا في رحلة إلى كمبوديا محاسبة تعمل لصالح خدمتنا. وبالرغم من أنها كثيراً ما رأت العروض التقديمية الخاصة بقوافلنا، إلا أن حياتها تأثرت بصورة حقيقية بما رأته شخصياً. قالت: «في الحقيقة أنا أشعر وكأنني كنت أعيش داخل فقاعة طوال حياتي». وكانت تعني أنها كانت منعزلة عن الواقع، وأعتقد أن هذا هو حال

معظمنا. أنا أعرف أنه ليس باستطاعة كل إنسان في العالم أن يذهب إلى دولة من دول العالم الثالث ليرى بعينيه الحياة التي يضطر الناس أن يعيشوها، لكننا يمكننا على الأقل أن نحاول أن نتذكر عندما نقرأ عنهم أو نراهم في التليفزيون أن ما نراه يحدث بالفعل لشخص ما - بل لأشخاص كثيرين. الله يحب هؤلاء الناس، وهو يعتمد علينا في أن نفعل شيئاً حيال ذلك.

سوء التغذية

ترى «ميهريت» العالم من منظور مختلف. ففي أنجاشا، وهي قرية إثيوبية صغيرة، تبذل ميهريت أقصى ما بوسعها لتكون مثل باقي الأطفال، لكنها ببساطة ليست مثل باقي الأطفال.

وُلدت ميهريت بصحة جيدة، لكن مع كل يوم إذ كان سوء التغذية يأكل جسدها، أدى هذا إلى تعوج عمودها الفقري أكثر فأكثر، فأصبح من الصعب عليها أن تسير، ومن المستحيل أن تجري وتلعب مع الأصدقاء. كما أنه أدى إلى حدوث ورم كبير ناتئ من الجانب الأيمن في ظهرها. كان كبيراً جداً لدرجة أنه لا يمكن إخفاؤه، وكان مؤلماً جداً لدرجة أنه لا يمكن تجاهله. كانت عظامها ضعيفة، وهي أيضاً كذلك.

وأكثر شخص كان يعرف ألم ميهريت هو أبوها «أبيبا». الشيء الوحيد الذي يريده أكثر من أي شيء آخر هو فقط أن يطعم أولاده ... ويعيد لابنته الغالية صحتها مرة أخرى. إذا أمكن لميهريت أن تبدأ في الحصول على الطعام المغذي الذي تحتاجه، يمكن إيقاف عملية

التدهور. لكن في الوقت الحالي، لا يظهر أمل في الأفق.

يوماً بعد يوم، يصارع أبيبا مع الشعور بالذنب لأنه غير قادر على إطعام أطفاله. كما أنه يعرف أنه إذا لم يحدث تغيير، سوف تسوء حالة ميهريت، وسرعان ما ستصبح غير قادرة على السير. وفي النهاية ستموت.

اليوم، تعرف ميهريت ألم الشعور بالجوع ... وألم كونها مختلفة عن كل الباقين. كما تعرف أن كل يوم جديد سيكون أصعب قليلاً من اليوم الذي سبقه.

بدأت خدمة جويس ماير بالشراكة مع إغاثة الأزمات الدولية في إمداد ميهريت بالطعام الذي تحتاجه لكي تعيش ولإيقاف تدهو حالة عمودها الفقري. لكن هناك الكثيرون جداً من الأطفال الصغار الغالين... كثيرون جداً مثل ميهريت... يحتاجون مساعدتنا لكسب هذه المعركة أمام سوء التغذية.

تقول الإحصائيات:

- الآن هناك حوالي ٩٦٣ مليون نسمة في العالم جائعون.
- كل يوم يموت ١٦٠٠٠ طفل تقريباً لأسباب متعلقة بالجوع - طفل واحد كل خمس ثوان.
- في عام ٢٠٠٦، مات حوالي ٩,٧ مليون طفل قبل أن يبلغوا عامهم الخامس. كل هذه الوفيات تقريباً حدثت في البلاد النامية - أربعة أخماس منهم كانوا في دول إفريقيا الجنوبية وجنوب آسيا، وهما الإقليمان اللذان يعانيان أيضاً من أعلى معدلات من الجوع وسوء التغذية.

شرخ في أساسات العالم

يبدو لي أن نظام العالم به شرخ في أساساته، ونحن جميعاً نجلس ساكتين ونراقبه وهو ينهار. إذا أصغيت جيداً سوف تسمع الناس يقولون في كل مكان: «إن العالم ينهار». هذا ما نسمعه في نشرات الأخبار، وفي المحادثات العامة. يبدو أن الجميع يتحدثون عن الظلم الحادث في العالم، لكن الكلام بدون فعل لا يحل شيئاً. وسؤالي هو: «من الذي سيثور على الظلم ويعمل على تصحيح الخطأ؟» لقد قررت أنني سأفعل ذلك. أعرف عدة آلاف قرروا أن يفعلوا نفس الشيء، لكننا نحتاج أضعاف ذلك بمئات الآلاف لينضموا إلينا حتى يمكن إتمام هذه المهمة.

أياً كان ما تستطيع فعله فهو أمر يستحق الفعل

قد تفكر قائلاً «يا جويس، ما أستطيع فعله لا يمثل شيئاً بالنسبة للمشكلات الموجودة في العالم». أنا أعرف شعورك هذا، لأنني شعرت به من قبل. لكن إذا فكرنا كلنا بهذه الطريقة، لن يفعل أحد أي شيء، ولن يتغير شيء. فمع أن مجهوداتنا الفردية قد لا تحل المشكلات، لكننا معاً يمكننا أن نصنع اختلافاً كبيراً. الله لن يحمّلنا مسئولية ما لم نستطع فعله، لكنه سيحملنا مسئولية الأشياء التي كان باستطاعتنا فعلها.

كنت قد عدت مؤخراً من رحلة إلى الهند، وكانت في صالة الألعاب الرياضية امرأة كنت أراها كثيراً. وفي ذلك اليوم سألتني إذا كنت أؤمن حقاً أن كل المجهود الذي تتطلبه هذه الرحلات سيساهم في حل أي شيء، بما أن الملايين لازالوا جوعى بغض النظر عن العدد الذي نقوم بإطعامه. فشاركتها بما وضعه الله في قلبي – وهو شيء حسم المسألة للأبد بالنسبة

لي . إذا كنت أنت أو أنا نعاني من الجوع لأننا لم نتناول طعاماً منذ ثلاثة أيام، وقدم لنا شخص ما وجبة واحدة تخفف من ألم معدتنا لمدة يوم واحد، هل نأخذها ونسعد بما حصلنا عليه؟ بالطبع سنفعل ذلك . وهكذا الحال مع الناس الذين نساعدهم. نحن نستطيع أن نضع برامج رعاية مستمرة لكثيرين منهم، لكن سيظل هناك دائماً من يمكننا أن نساعدهم مرة أو مرتين فقط . وبالرغم من ذلك فأنا أعرف أن مثل هذه القوافل جديرة بالقيام بها . إذا كان بإمكاننا أن نمنح طفلاً واحداً جائعاً وجبة واحدة، فهذا أمر جدير بالعناء . إذا كان بإمكاننا مساعدة شخص واحد أن يعيش بدون ألم لمدة يوم واحد، فهذا أمر جدير بالعناء . لقد عزمت على أن أفعل دائماً ما أستطيع فعله، وأن أتذكر دائماً ما قاله الله لي : «إذا كان ما يمكنك فعله هو فقط أن تخففي ألم شخص ما في مرة واحدة لمدة ساعة واحدة، فهذا أمر جدير بأن تفعليه» .

لقد فقد العالم مذاقه

أعتقد أنه يمكن القول بأن معظم ما يقدمه العالم هو بلا طعم – وأنا لا أتحدث عن الطعام . فعلى سبيل المثال، معظم الأفلام التي تنتجها هوليود بلا طعم . كثير من الحوارات وكثير من الصور المرئية طعمها سيئ . عادة عندما نرى أي نوع من التصرفات له مذاق سيئ، نسرع في إلقاء اللوم على «العالم» . وقد نقول أشياء مثل «إلى ماذا سيصل العالم؟» ومع ذلك فإن لفظ «العالم» يعني فقط الناس الذين يعيشون في العالم . إذا كان العالم قد فقد مذاقه، فهذا لأن الناس أصبحوا بلا طعم في اتجاهاتهم وأفعالهم . قال يسوع أننا ملح الأرض، لكن إذا فقد الملح مذاقه (قوته وجودته)، لا يصلح لشيء (انظر متى ٥ : ١٣) . كما قال أيضاً أننا نور

العالم، ولا يجب أن نخفي نورنا (انظر متى ٥ : ١٤).

فكر في الأمر بهذه الطريقة: كل يوم بينما تخرج من بيتك وتتوجه إلى عالم مظلم لا طعم له، يمكنك أن تكون النور والمذاق الذي يحتاج إليه. يمكنك أن تجلب الفرح لمكان عملك بأن تكون مصمماً على أن تحتفظ باتجاه التقوى باستمرار من خلال أموربسيطة مثل: أن تعبر عن الشكر بدلاً من أن تتذمر مثل معظم الناس، أن تتحلى بالصبر والرحمة، وأن تسارع إلى غفران الإساءة، وأن تكون لطيفاً ومشجعاً. حتى الابتسامة البسيطة والود مع الناس تعتبر طريقة لإضفاء المذاق على مجتمع لا طعم له.

أنا لا أعرف ذوقك في الطعام، لكني عن نفسي لا أحب الطعام الماسخ. ذات مرة عانى زوجي من مشكلة في معدته وأوصاه الطبيب أن يتبع نظاماً غذائياً بدون ملح لعدة أيام. وعلى ما أتذكر فقد كان لا يريد تناول الطعام. ديف بطبيعته لا يتذمر، لكن عند كل وجبة كنت أسمعه مراراً وتكراراً يقول «هذا الشيء لا طعم له على الإطلاق». كان يحتاج إلى القليل من الملح، القليل من التوابل - وهذا بالضبط هو ما يحتاجه العالم.

بدون المحبة وكل صفاتها الرائعة، تصبح الحياة بلا طعم ولا تستحق أن نعيشها. أريدك أن تقوم بتجربة. قل لنفسك: سوف أخرج إلى العالم اليوم وأضيف بعض التوابل. ثم اجعل ذهنك مركزاً قبل أن تخرج حتى من الباب على أنك ستخرج كسفير لله، وأن هدفك هو أن تكون معطاء، أن تحب الناس وتضفي مذاقاً جيداً لحياتهم. يمكنك أن تبدأ بالابتسام إلى الناس الذين تقابلهم على مدار اليوم. الابتسامة رمز القبول الذي هو

شيء يحتاجه بشدة معظم الناس الذين في العالم. استودع نفسك لله، وثق أنه سيهتم بك بينما تزرع بذاراً جيدة في كل مكان تذهب إليه من خلال اتخاذ قرارات تمثل بركة للآخرين.

التغيير يبدأ بك

أنا أدرك أنك لا تستطيع أن تفعل كل شيء، وأنا لا أشك في ذلك على الإطلاق. لابد أن تقول لا لبعض الأشياء وإلا ستمتلئ حياتك بالضغوط. أنا لا أستطيع أن أتطوع لتعليم الأطفال أو لتقديم الوجبات للمسنين، لكنني أقوم بأشياء أخرى كثيرة تصنع فرقاً إيجابياً في العالم. أعتقد أن السؤال الذي يجب على كل منّا أن يجيب عليه هو: «ما الذي أفعله لأجعل حياة شخص آخر أفضل؟»، وربما يكون السؤال الأفضل هو: «ما الذي فعلته اليوم لأجعل حياة شخص آخر أفضل؟»

قد تكون قراءة هذا الكتاب صعبة في بعض الأوقات لأنه على ما أرجو يثير قضايا غير مريحة، لكنها قضايا يجب أن يتناولها كل منّا. لن يحدث أي شيء جيد أبداً بالصدفة. إذا أردنا أن نكون جزءاً من الثورة، فهذا يعني أن هناك أموراً يجب أن تتغير، ولا يمكن للأمور أن تتغير إلا إذا تحرك الناس. يجب أن يقول كل منّا: التغيير يبدأ بي!

لن يحدث أي شيء صالح أبداً بالصدفة. إذا أردنا أن نكون جزءاً من الثورة، فهذا يعني أن هناك أموراً يجب أن تتغير، ولا يمكن للأمور أن تتغير إلا إذا تحرك الناس. يجب أن يقول كل منّا: التغيير يبدأ بي!

ثائرة المحبة

دارلين تشيك

رحلة القلب هي واحدة من أكثر الرحلات تعقيداً وغموضاً. فهناك الابتهاج والحزن، الرجاء والانتظار، الارتفاع والانخفاض ... وللأسف بالنسبة للكثيرين هناك خيبة الأمل الشديدة التي تجعل القلب يعمل بوظائفه، لكن لا يريد أن يشعر بأي شيء بعد الآن. عندما لا يكون لدى الإنسان إدراك لمحبة الله العظيمة التي يمكنه أن يستند عليها ويتقوى بها، عندها يجد قلب الإنسان طريقة للتعايش مع الواقع القاسي وإدارته بل والعيش بالرغم منه. وهذا هو الموضع الذي يجد فيه عدد لا يُحصى من الناس أنفسهم اليوم، من أغناهم إلى أفقرهم، إذ أن فقر القلب لا يهمه نوعية المكان الذي يختاره بيتاً له.

تحدث النبي إشعياء عن ثورة محبة جذرية في إشعياء ٦١ : ١١، إذ تصف الكلمة يوماً فيه ستجعل المحبة الناس يجدون الإنصاف... ويصنع الرب يسوع طريقاً في البرية. «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الأَرْضَ (بكل يقين) تُخْرِجُ نَبَاتَهَا، وَكَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ تُنْبِتُ مَزْرُوعَاتِهَا، هَكَذَا (بكل يقين) السَّيِّدُ الرَّبُّ يُنْبِتُ بِرّاً وَتَسْبِيحاً أَمَامَ كُلِّ الأُمَمِ (من خلال قوة التحقق الذاتية لكلمته)».

ثورة المحبة ليست مجرد فكرة عظيمة، بل مفهوم يتسم بالإلحاح الشديد ... خاصة إذا كنّا نؤمن بإمكانية تبدل الظلم المأسوي الذي نراه على الأرض اليوم .. بما في ذلك أثقل مأساة على الإطلاق، وهي مأساة انكسار قلب البشرية.

هذا الانكسار يواجهنا مرات ومرات، كما في وجه الأم الشابة التي ترضع طفلها الذي هاجمه المرض وافترسه نتيجة الإيدز. وهي تفعل كل ما باستطاعتها فعله، لكن أمامها الاختيار ... هل ترضع طفلها فتلتقط عدوى هذا المرض القاتل وهي تعرف ذلك، أم تتركه يموت جوعاً لعدم وجود الطعام البديل؟ أقل ما يقال عن قلب هذه المرأة هو أنه مكسور. فهي أم مُثلى، يملؤها السرور عندما تجد الفرصة لترى طفلها وهو ينمو في رعايتها.

إن رؤية الشبان والشابات وهم يقفون بلا طعام ولا ماء ولا مكان يذهبون إليه ولا شيء يفعلونه، أمر يكسر القلب لأقصى درجة، ويملأ القلوب بإدراك مستمر للحقيقة. إن قلوبهم وعقولهم مليئة بعدد لا يحصى من الأحلام، لكنها أحلام تتحقق فقط لو استطاعوا أن يجدوا طريقة يذهبون بها للمدرسة ويبتاعون شيئاً يأكلونه.

إن اليأس يدفع الناس لفعل أمور عجيبة، فيتسببون في المزيد من الألم والعنف الشديد نحو بعضهم البعض ... كم تقل قيمة الحياة الإنسانية كثيراً عند الناس عندما يواجهون الفقر المدقع، لكن القلب لا يمكنه أن يتحمل سوى قدر معين من الوجع.

يوجد صبي عمره ١٤ عاماً يقوم بتربية أخيه وأخته الأصغر وابن أخ أصغر منهما أيضاً في كوخ صغير مُغطى بالصفيح يسمونه البيت في جنوب القارة الإفريقية. هذا الصبي يعمل طوال اليوم في مزرعة حبوب صغيرة، محاولاً بكل جهده أن يؤمِّن لهم جميعاً، بما في ذلك نفسه، مكاناً في المدرسة، وأن يحصل على شيء لهم جميعاً ليأكلوه ويبقيهم أقوياء كل

يوم. مات والده من جراء الإيدز، وقامت مدينته بحرمان الأطفال كنسياً خوفاً من أن يكونوا هم أيضاً مرضى بهذا المرض. واحتمالات حدوث ذلك كبيرة، فلم يتم اختبارهم بعد. ذلك القلب الجسور لهذا الصبي ذي الأربعة عشر عاماً يزداد ضعفاً نتيجة العمل الشاق الذي لا يتوقف، والمرض، وعدم اليقين.

توجد أم شابة في سيدني بأستراليا، سكبت حياتها لأجل زوجها وأطفالها، ثم اكتشفت أن زوجها كان يخونها مع كثيرات، لمدة شهور طويلة، والآن يريد أن يتزوج من أخرى. هذه السيدة تشعر بالعزلة ونقص القيمة والمهانة، وعليها الآن أن تواجه مستقبلاً بدون زوجها. وليس هذا فقط، بل أيضاً في أيام كثيرة سيكون بدون أولادها، إذ يحارب الزوج للحصول على حق الوصاية عليهم. لقد انكسر قلبها لدرجة أنه أصبح من الصعب عليها أن تتنفس، أو أن ترى الطريق أمامها.

أتذكر أنني كنت أجلس في ضواحي أوغندا مع إحدى القائدات الرائعات لأحد برامج رعاية الأطفال المدهشة القائمة هنا. وكنا نتحدث، وبدأت تشاركني كيف أنه بالرغم من أنهم يفعلون الكثير للمساعدة في إنقاذ الأيتام في هذا الإقليم، إلا أن كمية الأطفال الذين في متناولهم ويفتقرون إلى وسائل البقاء على قيد الحياة هائلة. وقفت وبدأت أدلك كتفيها المتألمين بينما استمرت هي تتكلم عن قلبها المكسور، وعن إحباطها المستمر، وسرعان ما تحولت الكلمات إلى بكاء. سنوات من الحياة التي تحاول استغلال الوسائل بقدر الإمكان البشري، ومع ذلك تشاهد وتسمع أطفالاً ينامون وهم يتألمون من الجوع والوحدة، هذا الأمر تملّك على هذه النفس الـمُرهَقَة.

يمكن أن تستمر القصص من هنا إلى الأبدية، عن أناس يصارعون للبقاء على قيد الحياة، من أعماق إفريقيا إلى آسيا ذات الكثافة السكانية العالية، ومن الولايات المتحدة إلى أوز. يبدو أنه أينما نظرت، ستجد جدراناً كبيرة من انكسار القلب الرهيب. فبالرغم من الشاحنات المحملة بطرود الغذاء والتطعيمات، والمشيرين ومساندة المجتمع، لازلنا نحتاج إلى المزيد والمزيد لكسر هذه الحلقة التعيسة. ثورة المحبة ... هنا نجد مهمة حياتنا!

يرسل لنا لوقا ٤ هذه الرسالة بكل وضوح:

« رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ». (انظر لوقا ٤ : ١٨-١٩)

كل مرة فيها أقرأ هذا الجزء وأعيد قراءته، أتذكر أننا يجب أن نكون مركزين وواضحين في محاولاتنا لإعلاء شأن حياة الآخرين ... من أقل إشارة إلى أعظم تخطيط ... لأن هذا هو الوقت الذي يجب أن نقف فيه وننتقل من حالة السكون، من حياة الراحة والذات، ونقدم أنفسنا بأية طريقة ممكنة لإخوتنا وأخواتنا المحتاجين عبر الكرة الأرضية.

هناك كلمة عظيمة هي بحق إحدى أقوى الكلمات التي تدخلها المحبة إلى الحياة ... وهذه الكلمة هي الرجاء. تقول كلمة الله إن الرجاء الذي لنا هو مرساة للنفس (انظر عب ٦ : ١٩) ويقول مزمور ٣٩ : ٧ ... «والآن ماذا انتظرت يا رب؟ رجائي فيك هو». الرجاء دائماً حي، حتى عندما

يكون الموقف كئيباً ويبدو مستحيلاً. إن مهمتنا هي أن نوصل هذا الرجاء مع الإيمان والمحبة لمن يتألمون.

لقد اختبرت معنى أن يتمدد قلبي ويواجه التحديات لدرجة الإرهاق في محاولة لوضع حلول لمن يعيشون في وسط أسوأ البيئات الفقيرة، لكن المعجزة هي أنك بينما تجلس بين من لا يمتلكون شيئاً وتبدو المواقف بلا أمل، تشعر شعوراً قوياً بنعمة الله وهي في وسط هؤلاء الأشخاص الرائعين. وحتى وهم يصارعون ويجاهدون لمواصلة رحلة بقائهم، يشرق الله عليهم من جديد. لقد وجدت كثيرين من «أسرى الرجاء» كما يقول الكتاب المقدس في زكريا ٩ : ١٢ (كم أحب هذه الفكرة) ... الذين يؤمنون ببساطة لكن بقلب كامل، ويعرفون أن الله وحده هو الجواب وهو العائل.

إن غايتي الشخصية أن أحب الرب وأعبده بكل قلبي، هي الأولوية الأولى لي في حياتي الروحية... أن أطلبه وأحبه وأخدمه. فإن تعلُّم ثقل حياة العبادة، وقيمة حضوره، ونعمته العجيبة، هي عطية لا يمكن وصفها. وبالتأكيد سوف نحتاج إلى الأبدية كلها للتعبير عن «كلمة شكر» تليق بكل ما فعله الله ويستمر يفعله. وقد كان ما تعلمته عن تقديم ترنيمة إيمان وتعلية للرب يسوع في وسط المعركة، هو أحد الدروس العظيمة التي حاولت أن أتعلمها في أعماق قلبي. لكن الدرس المستمر لي هو عن المزيد الذي يطلبه الرب منّا من خلال العبادة. وكلما واصلت الاستماع إلى نبضات قلبه في الكلمة المقدسة، كلما تأكدت أن العبادة هي أكثر من مجرد الترانيم التي نرنمها. فهي حياة تُسكب، طالبة أن تكون هي يدي الله وقدميه على هذا الكوكب اليوم.

منذ سنوات كثيرة، قمت بزيارة بعض الأطفال الأفارقة الغالين في بيت لمرضى الإيدز. وكانوا كلهم يتامى، لكنهم كلهم كانوا مملوئين بحماس من يمتلكون الرجاء. وقفوا ورنموا معي ... كل شيء مستطاع، مما شجعني وحفزني إذ ملأت أصواتهم الصغيرة الجو بالحياة والفرح. كانت لحظة لا تُنسى، وذكرى لا تُنسى لقوة كلمة الله في حياتنا.

يقول عبرانيين ١٣ : ١٥ «فَلْنُقَدِّمْ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَيْ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ». ثم يكمل في الآية ١٦ ليقول «وَلكِنْ لاَ تَنْسُوا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالتَّوْزِيعَ (للمحتاجين من الكنيسة كتجسيد وبرهان على الشركة)، لأَنَّهُ بِذَبَائِحَ مِثْلِ هذِهِ يُسَرُّ اللهُ».

يعتبر ترنيم ترنيمة لله، والانضمام إلى نشيد الأبدية العظيم، أحد أعظم الأفراح هنا على الأرض. فهو يقوينا ويدفعنا ويشحننا في محضره لكي نعيش التكليف العظيم ... يشحننا بينما تمتد أيدينا نحو السماء... ثم يجهز أيدينا الممدودة باستعداد للخدمة. وكما قال أغسطينوس «يجب أن تكون حياتنا هللويا من الرأس إلى إصبع القدم».

لكن بالنظر إلى ما يطلبه خالق السماء والأرض، سنجد أن العبادة بالترانيم وحدها هي نقطة البداية فقط. هناك أكثر من أربعين مرة يحثنا فيها الكتاب المقدس أن نرنم ترنيمة جديدة، بل وأكثر من هذا أن نأتي بتقدمات وطاعة مُكلِّفة أمام الرب. لكن توجد حوالي ٢٠٠٠ إشارة إلى ضرورة المشاركة الفعالة عن طريق تقديم حياتنا كذبيحة، من خلال العناية بمن يتألمون في جوانب متعددة من الحياة، لكننا لابد أن نتذكر أنه بدون قضاء أوقات في الصلاة والتأمل في كلمة الله، وبدون تلك اللحظات

الرقيقة المدهشة في تعميق العلاقة مع المسيح ... سوف تصير أعمال خدمتنا بكل سهولة مجرد «أعمال»، وتصبح الخدمة متعلقة بنا بدلاً من أن تتعلق بمن نخدمهم.

بالتأكيد تساعد أوقات العبادة المتعمدة في جعل قلبك يتعرض للمواجهة، ويستسلم للتغيير في محضر الله. وبما أن رحلة المسيرة المسيحية كلها هي رحلة القلب، يمكنك إذاً أن ترى لماذا يعد تعلم العبادة بكل الكيان خطوة حاسمة في هذه العملية. الله دائماً يريد الحق في خدمتنا له ... والحق يتقرر في إطار قلبك، ولهذا فإن رعاية قلوبنا والحفاظ عليها له الأهمية القصوى فيما يتعلق بالرب.

« فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ». (أم ٤ : ٢٣)

لن أنسى أبداً التحدي الذي وضعه أمامنا القس «بيل هايبلز» من كنيسة «ويلوكريك» بجوار شيكاغو منذ سنوات قليلة، عندما قال إننا كمسيحيين وقادة مسيحيين لا يكفي أن نتكلم عن الظلم وأن نشاهد أفلاماً عنه. قال إننا يجب أن نسمح للفقر أن يلمسنا، ويحيط بنا ... وأن تصير روائح وحقائق البقاء على قيد الحياة شعوراً لا يمكننا أبداً أن ننساه. لا يجب أن نرسل فقط الأموال ونشعر أننا قد فعلنا واجبنا، بل يجب أن نكون مدعوين للعمل بمحبة الله العظيمة – وأن نشارك محبته وحياته، وأن نثق فيه أنه سيخلق طريقاً. هذه هي الرحلة التي دعينا كلنا للقيام بها. وهذا هو الموضع الذي تصير فيه محبتنا عاملة، وتصير فيه عبادتنا وحياتنا كلها لها دور.

« وَمَنْ قَبِلَ وَلَداً وَاحِداً مِثْلَ هَذَا بِاسْمِي فَقَدْ قَبِلَنِي». (مت ١٨ : ٥)

«من الذي سيعتني بأطفالي؟» هكذا صرخت أم تحتضر، عالمة أن أولادها سرعان ما سينضمون إلى الملايين المضاعفة الأخرى في كل الكرة الأرضية الذين يبحثون عن أم جديدة. لقد شاهدت أصدقاء، مرضى بالسرطان، يصرخون هذه الصلاة عينها. لا يمكنني أن أفكر في انكسار قلب أكبر من هذا، أو تأوه أعمق يخرج في أحلك الأوقات. أريد أن أصرخ إليها قائلة «نحن سنفعل هذا». وهذه بالتأكيد منطقة يجب فيها أن نشمر عن أذرعنا، ونعمل ونصلي ونصدق، ونتقدم بإيمان. ليس عليك أن تعيش في العالم الثالث لكي تجد الأيتام الذين يحتاجون إلى أسرة، أو من يشعرون بالوحدة ويبحثون عن الصداقة. كل منا يعيش في مدن فيها أطفال منخرطون في الأنظمة الحكومية التي تحاول قدر استطاعتها أن تسدد احتياجاً، يمكننا نحن الكنيسة، أن نساعد في تسديده.

أنا أحب الكنيسة ... فهي متنوعة للغاية، وتقف شامخة في كل الأرض بإحساس جديد من الثقة والتألق. لكن الكنيسة تبدو في أفضل حالاتها عندما تكون أولاً وقبل كل شيء تحب الله بكل كيانها ... ثم تقف الكنيسة تمد ذراعيها لتخدم المجتمع المتألم والعالم المكسور، لكي توصل يسوع إلى الناس بكل ما يتضمنه هذا من معنى، لا تدين الفقراء أو تنتقدهم، بل فقط تحبهم ... والمحبة مكلفة، وهي فعل وليست اسماً. معاً يمكننا حقاً أن نقف في الثغر بالنيابة عمن لا صوت لهم ... يمكننا أن نحب الرب إلهنا بكل قلوبنا ونفوسنا وفكرنا وقوتنا ... وأيضاً أن نحب أقرباءنا كأنفسنا. هذا مذهل حقاً!

كيف إذاً نتعامل مع هذا اليأس الذي يبدو عملاقاً؟ كيف نفتح الباب للعالقين في هذا السجن الخطير؟

لا يمكن لأحد منّا أن يتعامل مع هذ الأمر بمفرده. حتى العظماء الأذكياء المحبين للبشر يحتاجون إلى الآخرين وإلى خبرة الفِرَق المتعددة التي تعمل معاً للخير الأكبر لتحقيق أقصى منفعة لأكبر قدر من الناس. لكننا نحتاج بالفعل إلى أن نبدأ، ربما نكفل طفلاً، أو نكون صوتاً للمكسورين في مجتمعاتنا. ساعد بطريقة ما في نظام الرعاية إذا أمكنك ذلك (مثل رعاية الطوارئ، الرعاية قصيرة الأجل أو طويلة الأجل، الرعاية في عطلات نهاية الأسبوع)، أو اجمع نقوداً للأعمال الخيرية أو لاحتياج ما في قلبك، تحرك إلى ما هو أبعد من المبادرات في كنيستك، وحفز الجماعة للفعل. عش ببساطة - ولتركز على الحياة بهدف العطاء، وليس فقط بهدف الصرف... القائمة لا تنتهي.

لكن من المهم أيضاً أن نحرص على أن تكون قلوبنا وحياتنا مشحونة وحية لأية فرصة تأتي أمامنا بصورة يومية، سواء كانت عالمية أو محلية... تماماً مثل قصة السامري الصالح، الذي تخطى حالة الركود التي كانت في أيامه، وخرج عن مساره لكي يقدم المساعدة والإجابات بينما مر الآخرون بدون اهتمام. لقد تحنن هذا السامري ... ولم يتأثر عاطفياً فقط، بل تجاوب فعلياً أيضاً.

ويمكنني أن أقول إنك إذا كنت تجتاز فترة تشعر فيها أنك تحتاج إلى من يخدمك، بدلاً من أن تكون أنت الذي تعطي، فتشجع. أحط نفسك بجو من العبادة والتسبيح، املأ بيتك بالموسيقى التي تلهم قلبك، املأ سيارتك بشرائط كلمة الله، ابق بقرب العائلة والكنيسة والمجتمع الذي تعرف أنه سيغذيك ويشجعك ... واسمح لروح الرب أن يملأك باستمرار من الداخل إلى الخارج. سواء كنت تحتاج إلى الشفاء، أو إلى تسديد

احتياج مادي، أو معجزة في العلاقات .. فإن إلهنا قادر. اسمح لنفسك أن تقع بين يدي ربنا وقوته الآمنة. لأنه لن يتركك أو يهملك. والثقة فيه هي أعظم فرح ورجاء لديك. لكنني أريد أن أترك معك هذه التذكرة ... أن تحب الرب إلهك بكل قلبك، وفكرك، ونفسك، وقدرتك، وأيضاً أن تحب قريبك كما تحب نفسك. أنت شخص غالٍ وثمين للغاية. إياك أن تنسى ذلك!

من كل قلبي،

دارلين تشيك

رحلة القلب هي واحدة من أكثر الرحلات تعقيداً وغموضاً. فهناك الابتهاج والحزن، الرجاء والانتظار، الارتفاع والانخفاض ... وللأسف بالنسبة للكثيرين، هناك خيبة الأمل الشديدة التي تجعل القلب يعمل بوظائفه لكن لا يريد أن يشعر بأي شيء بعد الآن. عندما لا يكون للإنسان إدراك لمحبة الله العظيمة التي يمكنه أن يستند عليها ويتقوى بها، عندها يجد قلب الإنسان طريقة للتعايش مع الواقع القاسي وإدارته، بل والعيش بالرغم منه. وهذا هو الموضع الذي يجد فيه عدد لا يحصى من الناس أنفسهم اليوم، من أغناهم إلى أفقرهم، إذ أن فقر القلب لا يهمه نوعية المكان الذي يختاره بيتاً له.

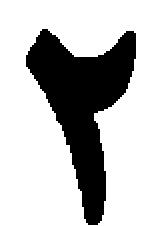
كما ذكرتنا دارلين تشيك، فإن النبي إشعياء تحدث عن ثورة المحبة الجذرية في إشعياء ٦١ : ١١، إذ وصف يوماً فيه ستؤدي المحبة إلى أن يجد الناس الإنصاف، ويصنع فيه الرب يسوع طريقاً في البرية: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الأَرْضَ (بكل يقين) تُخْرِجُ نَبَاتَهَا، وَكَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ تُنْبِتُ مَزْرُوعَاتِهَا، هَكَذَا

(بكل يقين) السَّيِّدُ الرَّبُّ يُنْبِتُ بِرّاً وَتَسْبِيحاً أَمَامَ كُلِّ الأُمَمِ (من خلال قوة التحقق الذاتية لكلمته) » .

أكثر من مجرد فكرة عظيمة

ثورة المحبة ليست مجرد فكرة عظيمة ، لكنها ضرورة لنا لكي نرى بعض المظالم المأسوية التي في العالم اليوم تتبدل ، بما في ذلك أثقل مأساة ممكنة – مأساة انكسار قلب البشرية . يقول مزمور ٢٧ : ٣ « إِنْ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ لاَ يَخَافُ قَلْبِي . إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ فَفِي ذَلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌّ » . وهذا ما يجب أن يحدث في قلوب كل البشر .

الفصل



جذور المشكلة

إن مفتاح السعادة ليس هو أن تجد شخصاً يحبك، بل أن يكون لديك شخص تحبه.

جذر أي شيء هو مصدره الأساسي - بدايته، ما يدعمه تحت السطح. وعادة ما تكون الجذور تحت الأرض. وبسبب هذا كثيراً ما نتجاهلها وننتبه فقط لما نراه على السطح. الشخص الذي يتألم من أحد ضروسه غالباً يحتاج إلى حشو جذور. جذر الضرس هو الجزء المتآكل، ويجب معالجته وإلا لن يتوقف الوجع. جذر الضرس لا يمكن رؤيته، لكنك تعرف أنه موجود لأن الألم شديد. العالم يتألم، وهذا الألم لن يتوقف أبداً إلا إذا وصلنا لجذر المشكلات التي تعذب الأفراد والمجتمعات. وأنا أرى أن الجذر هو الأنانية.

لقد حاولت أن أفكر في مشكلة ليست متأصلة في الأنانية، ولم أستطع أن أصل حتى إلى واحدة فقط. الناس لا يهمهم كيف يتسببون بتدمير حياة شخص آخر لكي يحصلوا على ما يريدون أو ما يشعرون أنه

أمر جيد. بالاختصار، الأنانية هي جذر وأصل كل متاعب العالم.

لقد حاولت أن أفكر في مشكلة ليست متأصلة في الأنانية، ولم أستطع أن أصل حتى إلى واحدة فقط.

الأنانية لها آلاف الوجوه

الأنانية لها آلاف الوجوه، وربما يكون هذا بالتحديد هو السبب الذي يجعلنا لا نعرف حقيقتها. نحن نراها في الرُضَّع الذين يصرخون عندما لا يحصلون على ما يريدون، وفي الأطفال الذين يأخذون لعب أطفال آخرين. وهي أمر واضح في رغبتنا في أن نبدو أفضل من غيرنا أو أن نؤدي شيئاً أفضل منهم. جوهر الأنانية هو أن تكون الأول في كل شيء. ومع أنه لا يوجد خطأ في أن نريد أن نفعل أفضل ما يمكننا عمله، فإن الخطأ هو في الاستمتاع برؤية الآخرين وهم يفشلون لكي ننجح نحن.

أؤمن أن كل أشكال الأنانية رديئة، وأنها تسبب المشكلات. وفي هذا القسم أريد أن أجذب انتباهك إلى ثلاثة أنواع محددة من الأنانية المعروفة في العالم اليوم وإلى النتائج السلبية التي تؤدي إليها.

الإساءة الجنسية. تبلغ «آن» من العمر ثلاثة عشر عاماً. قال لها أبوها أنها أصبحت الآن امرأة، وأنه قد آن لها أن تفعل ما تفعله النساء. عندما انتهى من تعريفها بمعنى أن تكون امرأة، شعرت بالخزي والخوف والقذارة. ومع أن أباها أكد لها أن ما فعله هو شيء جيد، إلا أنها تحيرت من طلبه أن تبقي هذا الأمر سراً، وتساءلت لماذا يجعلها هذا الأمر تشعر بهذا السوء. ومع مرور السنوات واستمرار أبيها في التحرش بها واغتصابها، انعزلت

آن عاطفياً لدرجة أنها لم تعد تشعر بأي ألم. لقد سلبها أبوها طفولتها، وعذريتها، وبراءتها، وإذا لم يتدخل الله، سيسلبها حياتها أيضاً - كل هذا لكي يحصل على ما يريد.

لقد ابتُلينا بحالات اغتصاب الأقارب التي نسمع عنها، لكن الحقيقة هي أن ٩٠ - ٩٥ بالمائة من كل هذه الحالات غير معروفة. لقد تعرضت للإساءة الجنسية من والدي لعدة سنوات، وحاولت في مرتين مختلفتين أن أخبر أشخاصاً آخرين بما كان يحدث لي، وبما أنهم لم يساعدوني، فقد ظللت أتألم وحدي إلى أن كبرت وبدأت أخيراً أشارك بحكايتي وأقبل شفاء الله. مات والدي في عمر السادسة والثمانين بدون أن يُعاقب رسمياً على جريمته. الناس الذين كان يعمل معهم، ويذهب معهم إلى الحفلات والرحلات، لم يعرفوا أبداً أنه كان يغتصب ابنته منذ أن كانت فتاة صغيرة.

نحن نرى ما يفعله الناس ونسرع في الحكم عليهم، لكننا نادراً ما نعرف الجذور المسببة لتصرفهم هذا. كثير من السيدات اللواتي نحكم عليهن أنهن «مشكلات في المجتمع» هن ضحايا لاغتصاب الأقارب. على سبيل المثال:

- ٦٦ بالمائة من كل العاهرات هن ضحايا للإساءة الجنسية في الطفولة.
- ٣٦,٧ بالمائة من مجموع النساء في السجون في الولايات المتحدة تعرضن للإساءة في الطفولة.
- ثلث الأطفال الذين تعرضوا للإساءة والإهمال سوف يتصرفون بالإساءة والإهمال تجاه أطفالهم في وقت لاحق.

- ٩٤ بالمائة من مجموع ضحايا الإساءة الجنسية كانوا أقل من الثانية عشرة من العمر عندما تعرضوا للإساءة لأول مرة.

إن الألم الحادث في عالمنا بسبب اغتصاب الأقارب والإساءة الجنسية وحدهما ألم مروع. وكل هذا بدأ لأن الناس كانوا أنانيين ولم يهتموا بمن الذي تألم، طالما حصلوا على ما كانوا يريدونه.

بالطبع ربما لن تقتل أو تسرق أو تكذب أو ترتكب أفعال عنف ضد الأطفال، لكنك غالباً أناني بطرق معينة. إذا جرؤنا على التغاضي عن أنانيتنا عن طريق توجيه الاتهام إلى من ارتكبوا جرائم أفظع من جرائمنا، فلن ننجح أبداً في التعامل مع مشكلات المجتمع اليوم. كلٌ منّا يجب أن يتحمل مسئولية التعامل مع سلوكه الأناني الخاص، أياً كان مستواه أو كيفية التعبير عنه.

الطمع. كثيراً ما تأخذ الأنانية شكل الطمع. الطمع هو الروح التي لا تشبع أبداً ودائماً تريد المزيد. إن مجتمعنا اليوم بالتأكيد موجه نحو الاستهلاك. أنا أندهش عندما أقود سيارتي وأرى كل المراكز التجارية ومحلات التسوق الموجودة أو التي يتم إنشاؤها. أينما نظرت تجد شيئاً يُعرض عليك لكي تشتريه. أغراض وأغراض والمزيد من الأغراض - وكل هذا مجرد أوهام. فهو يعدك بحياة أسهل وسعادة أكثر، لكن بالنسبة للكثيرين، كل هذا يؤدي إلى ديون ثقيلة.

إن الضغط والإغراء أن تشتري المزيد والمزيد يجعلنا نظل متأصلين في الأنانية، لكن الخبر السار هو أننا يمكن أن نتغير إذا كنا نريد ذلك حقاً. ليتنا نتعلم أن نشتري ما نحتاجه وبعضاً مما نريده، ثم نتعلم أن نعطي الكثير من ممتلكاتنا، خاصة الممتلكات التي لم نعد نستخدمها، لشخص

يمتلك أقل مما نمتلك نحن. دعونا نمارس العطاء إلى أن يصبح هو الشيء الطبيعي التلقائي الذي نفعله كل يوم من أيام حياتنا. بالنسبة لغالبية الناس سوف تكون هذه بالحقيقة ثورة في الطريقة التي يعيشون بها.

يقول الكتاب المقدس أن محبة المال هي أصل لكل الشرور (انظر ١تي ٦ : ١٠). والسبب الوحيد الذي يجعل الناس يحبون المال ويفعلون أي شيء مهما كان للحصول عليه، هو ببساطة أنهم يشعرون أن المال يجلب لهم أي شيء يريدونه، فَهُم يؤمنون أنه يستطيع أن يشتري لهم السعادة. الناس يقتلون ويسرقون ويكذبون لأجل المال - وهذا كله متأصل في مرض الأنانية. قرأت مؤخراً مقالة بقلم أحد الممثلين المشهورين قال فيها إن الناس يعتقدون أنهم إذا حصلوا على كل الأشياء التي يرغبون فيها سيصيرون سعداء، لكن هذا الوعد زائف. وأكمل كلامه ليقول إنه حصل على كل شيء يمكن أن يرغب فيه أي إنسان واكتشف أن هذا لم يجلب له السعادة، لأنه بمجرد أن يصل الإنسان، إلى هدف امتلاك كل ما يقدمه العالم، يظل وحيداً مع نفسه.

الطلاق. الأنانية هي أيضاً الجذر المسبب للطلاق. غالباً يتزوج الناس وتكون لهم أفكار خاطئة عن ما يجب أن يكون عليه الزواج. كثيرون منّا يقررون أن شريك الحياة هو الشخص الذي يجب أن يجعلنا سعداء، وعندما لا يحدث هذا، تبدأ الحرب. كم ستختلف الأمور كثيراً إذا تزوجنا وقررنا أن نفعل كل ما يمكننا لكي نجعل شركاءنا سعداء!

الآن ربما تفكر قائلاً «أنا لن أفعل هذا لأنني أعلم أنه سيتم استغلالي». في سنواتي الأولى كنت سأوافقك على هذا الرأي، لكن بعد أن عشت حياة طويلة، أؤمن أن الكتاب المقدس حقيقي، فهو يعلمنا أن المحبة لا

تسقط أبداً(انظر ١كو ١٣ : ٨) . كما يقول أيضاً إن ما يزرعه الإنسان «إياه» هو الذي سيحصده (غل ٦ : ٧) . إذا كنت أصدق الكتاب المقدس، وأنا أصدقه بالفعل، فأنا أصدق أنني مسئولة عن الحصاد الذي تلقيته في حياتي، لأنه مبني على البذار التي أزرعها . إذا زرعنا الرحمة، سوف نحصد الرحمة. وإذا زرعنا اللطف، سوف نحصد اللطف.

كنت دائماً أتمسك برأيي

عندما أنظر إلى السنوات الاثنتين والأربعين لزواجي من ديف، أرتعب من الأنانية التي كنت عليها، خاصة في السنوات الأولى. ويمكنني أن أقول بكل صدق إنني لم أكن أعرف شيئاً غير ذلك. ففي البيت الذي تربيت فيه كان كل ما أراه هو الأنانية، ولم يكن هناك من يعلمني شيئاً خلاف ذلك. لو كنت قد تعلمت أن أعطي بدلاً من أن آخذ، أنا متأكدة أن السنوات الأولى من زواجي كانت ستكون أفضل بكثير مما كانت عليه. ونتيجة وجود الله في حياتي، فقد رأيت أموراً تتغير وجروحاً قديمة تشفى، لكنني ضيعت سنوات كثيرة لا يمكنني أن أستعيدها.

وعلى النقيض تماماً من الطريقة التي تربيت بها، فقد تربى ديف في بيت مسيحي. كانت والدته امرأة تقية تصلي وتعلم أولادها أن يعطوا. ونتيجة لهذه التربية، اكتسب ديف صفات لم أكن قد رأيتها قط في حياتي كلها عندما قابلته. كان مثاله ذا قيمة هائلة بالنسبة لي. ولو لم يكن صبوراً للغاية، والصبر هو مظهر من مظاهر المحبة، أنا متيقنة أن زواجنا لم يكن ليستمر. لكنني أشكر الله أنه استمر. وبعد اثنتين وأربعين سنة من الزواج يمكنني أن أقول بصدق إنه يسير للأفضل طوال الوقت. أنا الآن أسعد من أي وقت مضى لأنني أهتم بهذه العلاقة أكثر من أي وقت مضى.

وأنا أستمتع حقاً برؤية ديف وهو يفعل ما يحب، وهو أمر مخالف لكل السنوات التي كنت فيها أغضب في كل مرة لا أنفذ فيها رأيي.

كنت دائماً أتمسك برأيي، ولم يتغير شيء إلى أن سئمت من أن حياتي كلها «تدور» حول نفسي ونفسي والمزيد من نفسي. لقد جاء يسوع لكي يفتح أبواب السجن ويحرر الأسرى (انظر إش ٦١ : ١). وقد حررني من أشياء كثيرة، وأعظمها هو نفسي. لقد تحررت مني! وأنا لا زلت أنمو كل يوم في هذه الحرية، لكنني أشكر الله على أنني أدركت أن الفرح الحقيقي لا يوجد في تحقيق ما أريده طوال الوقت.

ربما تكون أنت أيضاً مثلي، إذ لم تجد قدوة جيدة في حياتك وتحتاج إلى أن تتخلى عن بعض الأشياء التي تعلمتها في سنواتك الأولى. كن صادقاً مع نفسك: كيف تتجاوب عندما لا تحصل على ما تريد؟ هل تغضب؟ هل تتذمر وتشكو؟ هل تستطيع أن تثق في الله أنه يهتم بك، أم تعيش خائفاً من أنك إذا لم تهتم بنفسك لن يهتم بك أحد؟ إن صدقت أنك لابد أن تهتم بنفسك فسيؤدي بك هذا إلى الأنانية، التي تؤدي إلى الحياة البائسة. وأنا أشجعك على أن تتحول عن الأنانية اليوم وتبدأ في تقدير الآخرين والاهتمام بهم ومحبتهم بالحق.

الأنانية اختيار

معظمنا يقضون وقتاً كبيراً في التفكير في أنفسهم والحديث عنها ووضع الخطط لها. ومع أني أعلم وأؤكد على ضرورة أن نحب أنفسنا بطريقة متوازنة، إلا أنني لا أرى أننا يجب أن نحب أنفسنا كثيراً للدرجة التي نصبح فيها نحن مركز عالمنا، وأن يكون كل ما نهتم به هو أن نحصل على ما نريده. بالطبع يجب علينا أن نعتني بأنفسنا لأن لنا قيمة كبيرة في خطة الله على الأرض،

فقد أعطانا الحياة لكي نستمتع بها (انظر يوحنا ١٠ : ١٠). ولذلك يجب أن نفعل ذلك، لكننا لا يجب أن نفشل في إدراك أن الطريق الحقيقي للسعادة هو أن نقدم حياتنا، لا أن نحاول الحفاظ عليها لأنفسنا.

يقول يسوع إننا إذا كنا نريد أن نكون تلاميذه، فيجب علينا أن ننسى أنفسنا، وألا نعود نرى أنفسنا ومصالحنا، ونتبعه (انظر مر ٨ : ٣٤). أنا أعترف أن هذه الفكرة مخيفة، لكنني أعرف مميزاتها لأنني عشت من الحياة ما يكفي ليجعلني أجرب هذه الفكرة، وقد وجدت أنها ناجحة. يقول يسوع أيضاً إننا إذا تخلينا عن الحياة «السفلى» (الحياة الأنانية)، يمكننا أن نحصل على حياة «أعلى» (حياة غير أنانية)، لكن إذا احتفظنا بالحياة السفلى سنخسر الحياة العليا (انظر مر ٨ : ٣٥). وهو يمنحنا حرية اختيار الكيفية التي نعيش بها، فهو يخبرنا بالطريقة الناجحة ثم يسمح لنا أن نقرر أن نتبعها أم لا. يمكنني أن أظل في الأنانية وأنت أيضاً كذلك، لكن الأخبار السارة هي أننا لسنا مضطرين للبقاء فيها. فلدينا قوة الله التي تساعدنا أن نتغلب على ذاوتنا، وأن نعيش بهدف تحسين حياة شخص آخر.

الرحلة

الأنانية ليست سلوكاً نتعلمه، بل إننا مولودون بها. إنها جزء فطري داخل طبيعتنا. ويشير الكتاب المقدس إليها على أنها «الطبيعة الخاطئة». أخطأ آدم وحواء إلى الله وفعلا ما أوصاهما ألا يفعلاه، وقد انتقل مبدأ الخطية الذي أسساه إلى كل شخص مولود إلى الأبد. أرسل الله ابنه يسوع لكي يموت عن الخطايا، ويخلصنا منها. لقد أتى ليمحو أثر ما فعله آدم. وعندما نقبل الرب يسوع مخلصاً لنا، يأتي إلى حياتنا في أرواحنا. وإذا سمحنا للجزء المتجدد منا أن يسود على قراراتنا، سوف نتغلب على

الطبيعة الخاطئة التي هي في جسدنا. هذه الطبيعة لا تزول، لكن الشخص الأعظم الذي يسكن فينا يساعدنا على أن نتغلب عليها بصفة يومية (انظر غل ٥ : ١٦). هذا لا يعني أننا لا نخطئ أبداً، بل أننا يمكن أن نتحسن ونتقدم طوال حياتنا.

لا يمكنني بالتأكيد أن أقول إنني قد تغلبت على الأنانية بالكامل، وأنا أشك أن هناك شخصاً ما يمكنه أن يقول هذا. فهذا يعني أن نقول أننا لا نخطئ أبداً، إذ أن الخطايا كلها أصلها هو نوع ما من الأنانية. لم أتغلب على الأنانية بالكامل، لكن عندي رجاء أن أتقدم كل يوم. أنا في رحلة، وبالرغم من أنني قد لا أصل، فقد عزمت على أنه عندما يأتي يسوع ليأخذني إلى وطني، يجدني أسعى نحو الغرض (انظر في ٣ : ١٢-١٣). قال الرسول بولس: «فَأَحَيَا لاَ أَنا بْل اَلْمَسِيّحَ (المسيا) يَحَيَا فيَّ» (غل ٢ : ٢٠). كان بولس يعني أنه لم يعد يحيا لنفسه ومشيئته، بل لله ومشيئته. لقد تشجعت كثيراً ذات يوم عندما اكتشفت من خلال دراستي أن بولس قال هذه العبارة بعد عشرين سنة تقريباً من تجديده. لقد كانت الحياة الخالية من الأنانية رحلة بالنسبة له، كما هي بالنسبة لأي شخص آخر. قال بولس أيضاً: «أموت كل يوم (أواجه الموت كل يوم، وأموت عن ذاتي)» (١كو ١٥ : ٣١). بمعنى أن تقديم الآخرين على نفسه كان معركة يومية وتتطلب قرارات يومية. يجب على كل منّا أن يقرر كيف يعيش وما يعيش لأجله. ولا يوجد وقت أفضل لهذا من الآن. أنت وأنا لدينا حياة واحدة نعيشها وحياة واحدة نقدمها، لذلك فإن السؤال هو: «كيف إذاً سنحيا؟». أنا أؤمن بشدة أنه إذا أدى كل منّا دوره في إيثار الغير على نفسه، عندها يمكن أن نرى ثورة لها إمكانية تغيير العالم وحينئذٍ سنكون جزءاً منها.

ليس هناك بين البشر من هو جزيرة مكتفية بذاتها

لابد أننا كلنا سمعنا هذه العبارة الشهيرة للشاعر «جون دون»: «ليس هناك بين البشر من هو جزيرة مكتفية بذاتها». هذه الكلمات هي ببساطة تعبير عن حقيقة أن الناس يحتاجون بعضهم البعض، ويؤثرون بعضهم على بعض. وكما أثرت حياة والدي عليَّ بطرق سلبية، وأثرت حياة ديف عليَّ بطرق إيجابية، فإن حياتنا يمكن أن تؤثر وهي بالفعل تؤثر على الآخرين. لقد أوصانا يسوع أن نحب بعضنا بعضاً لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يعرف بها العالم أن يسوع موجود (انظر يو ١٣ : ٣٤-٣٥). الله محبة، وعندما نُظهر محبتنا بكلماتنا وأفعالنا، نحن نظهر للناس طبيعة الله. قال بولس إننا نحن سفراء الله، وممثلوه الشخصيون، وأنه يخاطب العالم من خلالنا (انظر ٢كو ٥ : ٢٠). كل مرة أفكر فيها في هذا النص الكتابي لا يسعني إلا أن أقول «يا لعظمة هذا الامتياز وهذه المسئولية».

أحد الدروس التي تعلمتها في الحياة هو أنني لا يمكن أن أحصل على الامتياز بدون المسئولية. وهذه إحدى المشكلات في مجتمعنا اليوم، فالناس يرغبون في ما لا يريدون أن يحصلوا عليه عن استحقاق! الأنانية تقول: «أعطني إياه. أنا أريده، وأريده الآن». لكن الحكمة تقول: «لا تعطني أي شيء لم أصل بعد للنضج الذي يُمَكِّنني من التعامل معه بشكل صحيح». العالم يفتقر إلى الامتنان، وهذا يرجع بنسبة كبيرة إلى أننا لم نعد نريد أن ننتظر أو نضحي لأجل أي شيء. لقد وجدت أن الأشياء التي أشكر عليها كثيراً، هي الأشياء التي كان عليَّ أن أعمل بأقصى جهدي وأنتظرها لأطول وقت. الأشياء التي تأتي بسهولة عادة لا تمثل لنا قيمة كبيرة.

لقد أصبحنا بطرق كثيرة نربي جيلاً من الأطفال ليصبحوا أنانيين

لأننا نعطيهم أشياء كثيرة ونعطيها لهم بسرعة. كثيراً ما نشتري لهم دراجة قبل أن يستطيعوا ركوبها بسنة، أو سيارة عندما يصلون لسن السادسة عشرة. نحن نسدد مصروفات الجامعة لهم، ونشتري لهم بيوتاً عندما يتزوجون، ونملأ منازلهم بالأثاث الفاخر. ثم عندما ينتهي الحال بأولادنا إلى الوقوع في مشكلة مالية، إذا كان ممكناً سنخرجهم منها، ونكون معهم في كل وقت يحتاجوننا فيه. نحن نفعل هذه الأشياء باسم المحبة، لكن هل نحن بالفعل نحب أولادنا أم أننا فقط نდللهم؟ أحياناً يكون السبب وراء قيام الآباء والأمهات بمثل هذه الأمور، هو أنهم يحاولون بذلك أن «يدفعوا ثمن» الوقت الذي لم يقضوه مع أولادهم عندما كانوا صغاراً. فإعطاء أولادهم أشياء كثيرة يخفف من شعورهم بالذنب، وسيكون إلقاء المال عليهم إذا كان هذا ممكناً، أمراً سهلاً عندما يكون للوالدين حياة منشغلة.

كلنا نحب أن نبارك أولادنا، لكننا لابد أن نمارس الانضباط في مقدار ما نفعله لأجلهم. ينصحنا الملك سليمان أن نستخدم «تأديب المعرفة» (انظر أم ١ : ٣). في بعض الأوقات قد تكون كلمة «لا» هي أفضل عطية يمكن أن نقدمها لأولادنا لأنها تساعدهم على أن يتعلموا الدروس القيمة الكامنة في الامتياز والمسئولية.

قدوة السخاء

كن قدوة في حياة السخاء، ليس فقط أمام أولادك، بل أيضاً أمام كل من تتعامل معهم. إذا كنت تعطي بدلاً من أن تأخذ في حياتك، فسرعان ما سيدرك الآخرون أنك مختلف عن الناس الذين يعرفونهم. وعندما يرون فرحك، قد يستطيعون أن يوصلوا بين النقاط ويدركوا أن العطاء

يجعل الشخص سعيداً أكثر من الأنانية. الناس يراقبون، وأنا أندهش مما يلاحظونه ويتذكرونه.

قال بولس إنك يجب أن تجعل كل الناس يعرفون ويرون عدم أنانيتك، ومراعاتك للآخرين، وروحك الحمولة (في ٤ : ٥). وقد شجعنا يسوع على أن نجعل كل الناس يرون أعمالنا الصالحة المُحِبة فيعرفوا اللّٰه ويمجدوه (انظر مت ٥ : ١٦). لم يكن يسوع يقصد أننا يجب أن نتباهى أو نفعل أشياء بغرض أن يرانا الناس، لكنه كان يشجعنا أن ندرك كم نؤثر على الناس من حولنا. بالتأكيد تؤثر السلوكيات السلبية على الآخرين، كما ذكرت من قبل، لكن السخاء أيضاً يؤثر على من حولنا بطرق إيجابية للغاية ويجعلنا سعداء.

وماذا عني؟

في هذه اللحظة قد تفكر قائلاً: «وماذا عني؟ من الذي سيفعل شيئاً لي؟» وهذا عادة هو ما يمنعنا من أن نعيش بالطريقة التي يريدنا اللّٰه أن نعيش بها. فالأمر دائماً يعود «عليّ». وماذا عني، ماذا عني، ماذا عني؟ لقد اعتدنا أن نرى إشباع رغباتنا لدرجة أن مجرد فكرة أن ننسى أنفسنا حتى ولو ليوم واحد أصبحت فكرة مخيفة. لكن إذا استطعنا أن نستجمع شجاعتنا ونحاول، سوف نُدهش من الحرية والفرح اللذين سنختبرهما.

لقد قضيت معظم حياتي أستيقظ كل صباح وأبقى في سريري أضع خططاً لنفسي. كنت أفكر في ما أريده، وما سيكون الأفضل بالنسبة لي، وكيف يمكنني أن أقنع أسرتي وأصدقائي بالتعاون معي في خططي. كنت أنهض وأواصل يومي مع نفسي برأيي. وكل مرة كانت الأمور فيها لا

تسير بطريقتي، كنت أشعر بالضيق ونفاذ الصبر والإحباط بل وبالغضب أيضاً. كنت أظن أنني تعيسة لأنني لم أكن أحصل على ما كنت أريد، لكنني كنت في الحقيقة تعيسة لأن كل ما كنت أفعله هو أنني كنت أحاول أن أحصل على ما كنت أنا أريده بدون أي اهتمام حقيقي بالآخرين.

والآن وأنا أكتشف أن سر الفرح هو في أن أقدم حياتي بدلاً من أن أحاول الاحتفاظ بها، فقد اختلفت أوقات الصباح لديّ. هذا الصباح قبل أن أبدأ العمل في هذا الفصل، صليت ثم قضيت وقتاً في التفكير في كل الناس الذين أعرف أنني سأتعامل معهم اليوم. ثم صليت بما جاء في رومية ١٢ : ١ والذي يتحدث عن تكريس أنفسنا لله كذبائح حية، مقدمين كل إمكانياتنا له لكي يستخدمها. وبينما كنت أفكر في الناس الذين سأعمل معهم أو ربما أراهم اليوم، طلبت من الله أن يظهر لي أي شيء يمكنني أن أفعله لهم. لقد قررت أن أشجعهم وأمدحهم. بالتأكيد يمكننا كلنا أن نجد شيئاً واحداً لطيفاً نقوله لكل شخص نقابله. أنا أثق أن الله سيقودني أثناء يومي.

إذا كنت تريد أن تكرس نفسك لله لكي يستخدمك لتحب الآخرين وتساعدهم، أقترح عليك أن تصلي هكذا: «يا رب، أنا أقدم لك عينيَّ، وأذنيَّ، وفمي، ويديَّ، وقدميَّ، وقلبي، ونقودي، ومواهبي، ومهاراتي، وقدراتي، ووقتي، وطاقتي. استخدمني لأكون بركة أينما توجهت اليوم».

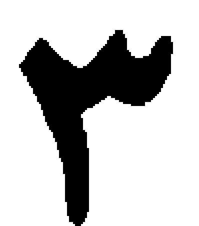
> «يا رب، أنا أقدم لك عينيَّ، وأذني، وفمي، ويديَّ، وقدميَّ، وقلبي، ونقودي، ومواهبي، ومهاراتي، وقدراتي، ووقتي، وطاقتي. استخدمني لأكون بركة أينما توجهت اليوم».

لن تعرف أبداً فرحة الحياة بهذه الطريقة إلا إذا جربتها. أنا أسمي هذا «العادة المقدسة» وهي تشبه كل العادات في أنها يجب ممارستها لكي تصبح عادة. في بعض الأيام، أظل أنشغل للغاية بنفسي وأنسى أن أمارس هذه العادة الجديدة، لكنني سرعان ما أتذكر عندما أفقد فرحي وحماسي للحياة أنني قد خرجت عن المسار الصحيح.

حاولت لسنوات عديدة أن أعيش بهذه الطريقة، وكانت بمثابة معركة، لأن «حياة الذات» محفورة بعمق في كل نسيج من كياننا، ولا تموت بسهولة. فقرأت كتباً عن المحبة، وراجعت مرات ومرات ما يقوله الكتاب المقدس عنها، وصليت لأجلها. تحدثت عنها مع الأصدقاء، ووعظت عنها، وفعلت كل ما يمكنني لكي تظل سائدة في تفكيري. في بعض الأوقات عندما أدرك أنني أصبحت أنانية مرة أخرى، لا أتضايق، لأن شعوري بالضيق من نفسي يبقيني مركزة على نفسي. عندما أفشل، أطلب من الله أن يسامحني وأبدأ من جديد. وأنا أرى أن هذه هي أفضل طريقة. نحن نقضي أوقاتاً كثيرة جداً في الشعور بالسوء من أنفسنا بسبب الأخطاء التي ارتكبناها – وهذه مضيعة للوقت. الله وحده يمكن أن يسامحنا، وهو مستعد أن يفعل هذا إذا كنا فقط نطلب منه.

نعم، أنا أؤمن بشدة أن جذور مشكلة العالم هي الأنانية، لكننا يمكن أن نعيش في العالم ونرفض أن نكون مثل العالم. إذا قررت أن تنضم إليَّ في بدء ثورة محبة، إذا قررت أن تغير اتجاهك بشكل كامل وجذري في الطريقة التي تحيا بها، وأن تبدأ بقوة في أن تعيش لكي تُحِب لا أن تُحَب، عندها يمكن أن تكون جزءاً من الحل بدلاً من أن تكون جزءاً من المشكلة. هل أنت مستعد أن تبدأ؟

الفصل



ما من شيء صالح يحدث بالصدفة

«أنا ساهر على كلمتي لأجريها»

إرميا ١ : ١٢

لم تحدث أية ثورة من الثورات التي غيرت العالم بالصدفة. في بعض الأحوال كانت الثورات تبدأ بأناس قليلين يناقشون التغييرات التي يجب أن تحدث. وسواء كانت هذه الأحداث المغيرة للتاريخ قد نبعت من شعور عام بعدم الارتياح أو من ثورة مخططة جيداً، فهي لم تحدث من تلقاء ذاتها. بل كانت أحداثاً متعمدة ومقصودة وحماسية واستراتيجية. لقد بدأت لأن شخصاً ما رفض أن يظل لا يفعل شيئاً. كان هناك شخصٌ ما رفض أن «يترك الأمور تتكشف من ذاتها». شخصٌ ما رفض أن يكون سلبياً وعاطلاً بينما يتفشى الظلم. فالثورات تحدث لأن شخصاً ما يقرر أن يتحرك.

تحرك الآن !

الكتاب المقدس مليء بالوصايا التي تحثنا أن نكون نشطين وفعالين. وفي

حين أن الوصية أن نكون فعالين لا سلبيين تعتبر وصية بسيطة، إلا أن الملايين من الناس يتجاهلونها تماماً. ربما يظنون أن الأمور ستتحسن من تلقاء نفسها، لكن هذا لن يحدث. فما من شيء جيد يحدث بالصدفة. بمجرد أن تعلمت ذلك، تغيرت حياتي للأفضل.

إن مجرد تمني أن يحدث شيء ما، لن يؤدي إلى النتائج التي نرغب فيها، إذ يجب أن نفعل بقوة ما يجب فعله لكي نحقق هذه النتائج. لن نجد أبداً رجلاً ناجحاً قضى حياته في تمني النجاح ووصل إليه. ولن نجد أبداً رجلاً لم يفعل شيئاً لكنه بطريقة ما أصبح ناجحاً. وهذا المبدأ نفسه ينطبق على المشاركة في ثورة المحبة. إذا كنا نريد أن نحب الناس كما علمنا يسوع، سيكون علينا أن نفعل هذا عن عمد، فهو أمر لن يحدث بالصدفة.

يقول الكتاب المقدس إننا يجب أن نحرص أن نكون لطفاء وأن نفعل الخير (انظر ١ تس ٥ : ١٥). وكلمة انظروا كلمة قوية تعني «الاشتياق، والسعي، والطلب». إن كنا نتحين الفرص فلابد أننا سنجدها، وسوف يحمينا هذا من أن نكون بطالين وغير مثمرين. يجب أن نسأل أنفسنا هل نحن متيقظون وساهرون أم سلبيون وعاطلون؟ الله نفسه ساهر وفعال! وأنا مسرورة أنه هكذا، وإلا كانت الأمور في حياتنا ستتدهور بسرعة. الله لم يكتف بخلق العالم وكل ما نراه ونستمتع به، لكنه أيضاً يحفظ هذا العالم، لأنه يعرف أن الأمور الصالحة لا تحدث هكذا فحسب، بل تحدث نتيجة التصرف الصحيح (انظر عب ١ : ٣).

ذلك النشاط المتوازن الذي يأتي من الله يحفظنا من أن نكون عاطلين وغير مثمرين، وبالتالي يعمل كحماية لنا. فالبقاء في حالة النشاط وفعل

الأشياء الصحيحة سوف يمنعنا من فعل الأشياء الخاطئة. يبدو أننا ليس علينا أن نبذل أي جهد لكي نفعل ما هو خطأ، فإن طبيعتنا الطبيعية تنحرف إلى هذا الاتجاه إذا لم نختر أن نفعل ما هو صواب.

على سبيل المثال، نحن ليس علينا أن نختار المرض، فكل ما علينا فعله هو أن نقترب منه، وعندها سوف نلتقطه. لكننا يجب أن نختار الصحة. الجسد السليم يعني أنني يجب أن أختار باستمرار الاختيارات الجيدة من حيث التدريبات الرياضية والنوم والتغذية. لابد أن أختار ألا أقلق أو أتوتر، لأنني أعرف أن هذا سيجعلني أتعب وربما يسبب لي بعض الأعراض الجسدية الأخرى. الجسد السليم يعني أنني يجب أن أستثمر صحتي بشكل فعال، لكنني يمكن أن أمرض بسهولة عن طريق عدم فعل أي شيء للعناية بنفسي.

الجسد كسول

يعلمنا الرسول بولس بكل وضوح أن الجسد كسول، وشهواني، ويرغب في أمور خاطئة كثيرة (انظر رو ١٣ : ١٤). أشكر الله أننا لسنا جسداً فقط، بل لدينا أيضاً روح، وهذا الجزء الروحي من الإنسان المسيحي هو الذي تسكن فيه طبيعة الله. الله صالح، وحقيقة أنه يعيش فينا تعني أنه يوجد صلاح فينا. يمكننا بأنفسنا أن ننضبط ونسود على الجسد - لكن هذا يتطلب مجهوداً، فهذا يتطلب التعاون مع الروح القدس الذي يقوينا ويمكننا من أن نفعل الأمور الصالحة. يقول بولس إننا يجب ألا نغذي الجسد، وأنا أرى أن إحدى الطرق التي يمكننا بها أن نغذي الجسد هي ببساطة ألا نفعل شيئاً!

وعدم فعل أي شيء هو سلوك إدماني. فكلما زاد عدم فعلنا لأي شيء، زادت رغبتنا في ألا نفعل أي شيء. أنا على يقين أنك قد اختبرت من قبل البقاء في المنزل طوال اليوم، ووجدت أنك كلما بقيت هناك أكثر، أصبح من الأصعب عليك أن تنهض. عندما تنهض في البداية تشعر وكأن كل شيء متيبس ومتعب، لكن عندما تواصل الضغط على نفسك للتحرك، ترجع إليك طاقتك.

هذا الصباح استيقظت بمزاج سيئ إلى حد ما. فقد عملت بجهد طوال عطلة نهاية الأسبوع في مؤتمر، ولازلت متعبة قليلاً. بالإضافة إلى ذلك، فقد تعرضت لإحباط شخصي من جهة شيء ما كنت أتمناه. كنت أرغب في الاستلقاء على الأريكة والشعور بالأسف على نفسي طوال اليوم، لكن بما أنني لي خبرة من السنوات التي كنت فيها أفعل هذا ووجدت أنه أمر عقيم، فقد قررت أن أختار اختياراً آخر. لقد قررت أن أبدأ في كتابة هذا الفصل بنشاط. كانت هذه هي طريقتي في الحرب ضد ما شعر به جسدي! كلما كتبت لمدة أطول، شعرت أنني أفضل.

في المواقف التي يغرينا فيها جسدنا أن نكون كسالى، يمكننا أن نبدأ في التغلب عليه من خلال طلب مساعدة الله واتخاذ قرارات حاسمة أي من خلال النشاط وليس الخمول. وبينما نتقدم ونتصرف بموجب قراراتنا، سنجد أن مشاعرنا تلحق بقراراتنا. لقد أعطاني الله روح الانضباط والتحكم في النفس للأيام التي تشبه هذا اليوم، لكن الأمر متروك لي أن أختار إذا كنت سأستخدم ما أعطاه لي أو أتبع فقط طرق الجسد.

كتب بولس أيضاً عن «المسيحيين الجسديين» الذين هم أشخاص قبلوا الرب يسوع المسيح مخلصاً لهم، لكنهم لم يعملوا أبداً مع الروح القدس على تنمية نضوجهم الروحي. في ١ كورنثوس ٣ : ١-٣ قال بولس

للمسيحيين إنه اضطر أن يكلمهم كأناس غير روحيين وكجسديين تسود فيهم الطبيعة الجسدانية. بل إنه لم يستطع حتى أن يعلِّمهم التعاليم القوية، بل اضطر أن يلتزم بما سماه «رسائل اللبن العقلي». وقد قال إنهم غير روحيين لأنهم سمحوا للنزوات العادية أن تتحكم فيهم. هل تسمح لنزواتك العادية أن تتحكم فيك؟ لقد تعرضت اليوم لإغراء أن أسمح لنزواتي العادية أن تتحكم فيَّ، وللأمانة أقول إنني قد أظل أقاوم هذا الإغراء طوال اليوم عن طريق البقاء في نشاط، وفعل شيء ما أثق أنه سوف يأتي بثمر جيد. لا يمكنني أن أتحمل تكلفة الاستسلام لمشاعري لأنني ليس لديَّ يوم لأضيعه.

السلبية ليس لها مجازاة

لا يمكن لأي منّا أن يتحمل تكلفة ضياع الوقت في الجلوس وعدم فعل أي شيء. الله لا يكافئ السلبية، فالسلبيون لا يستخدمون إرادتهم الحرة لفعل ما يعلمون أنه صواب، بل ينتظرون أن يشعروا بالرغبة في فعل شيء ما أو أن تدفعهم قوة خارجية غامضة. وهم يتمنون أن يحدث شيء جيد، خاصة لهم، وأثناء انتظارهم ليروا هل يحدث هذا الشيء الجيد أم لا، يتمسكون بعدم عمل أي شيء. لكن الله لا يثني على هذا الموقف، فهو في الواقع في غاية الخطورة.

إن قرارك ألا تفعل شيئاً هو قرار على أي حال، وهو القرار الذي يضعفنا أكثر فأكثر، فهو يعطي الشيطان فرصة أكبر ليتحكم فينا. فالمساحة الخالية هي في واقعها مكان، وكلمة الله تعلمنا أنه إذا أتى الشيطان ووجد فراغاً سوف يشغل بسرعة هذه المساحة (انظر مت ١٢ : ٤٣-٤٤). عدم العمل يشير إلى أننا نتفق مع ما يحدث ونوافق عليه أياً كان. فإذا كنا لا نفعل

شيئاً لتغيير ما يحدث، فلابد أننا نرى أنه أياً كان ما يحدث فهو جيد.

افعل شيئاً

في رحلاتنا التبشيرية لخدمة المعوزين، اصطحبنا العديد من الناس، لكنهم لم يتجاوبوا بطريقة واحدة. الجميع شعروا بالتعاطف عندما رأوا الظروف الرهيبة التي يعيش فيها الناس في القرى البعيدة في إفريقيا والهند أو أجزاء أخرى من العالم. الكثيرون بكوا، والغالبية شعروا بالغضب من هذه الأحوال المروعة. لكن لم يقرر الجميع أن يفعلوا شيئاً لتغيير هذه الأوضاع. الكثيرون صلوا إلى الله لكي يفعل شيئاً، وكانوا مسرورين أن خدمتنا تقدم شيئاً لهؤلاء الناس. لكنهم لم يفكروا أبداً في أن يسألوا الله بجدية عما يمكنهم هم أن يفعلوه. بل أتجرأ وأقول أن معظمهم عادوا لبيوتهم وانشغلوا بحياتهم مرة أخرى، وسرعان ما نسوا ما رأوه. لكن أشكر الله أن هناك البعض الذين صمموا على أن يجدوا طرقاً يصنعون بها اختلافاً. تذكر أن اللامبالاة تختلق الأعذار، لكن المحبة تجد طريقا. كل إنسان يمكنه أن يفعل شيئاً ما!

> تذكر أن اللامبالاة تختلق الأعذار، لكن المحبة تجد طريقاً.

أتذكر امرأة قررت أنها يجب أن تساعد بطريقة ما. وظلت لفترة ما لا تستطيع أن تحدد ما تفعله، إذ لم تكن لديها أموال إضافية تتبرع بها، ولم تستطع أن تذهب لتعيش في حقل مرسلي. لكن بينما استمرت تصلي لأجل هذا الموقف. شجعها الله أن تبحث في ما تمتلكه، وليس في ما لا تمتلكه. فأدركت أنها تجيد خبز الكعكات والفطائر والحلوى. فسألت راعيها إن كان يمكنها أن تخبز هذه الأصناف أثناء عطلة نهاية الأسبوع

وتعرض منتجاتها للبيع في أيام الآحاد بعد الكنيسة على أن يتم توجيه الأموال إلى الإرساليات. وأصبحت هذه هي طريقتها هي وأعضاء آخرين في الكنيسة للمشاركة في الإرساليات، وقد حفظها هذا في حالة من النشاط والعمل لمساعدة أشخاص آخرين.

أعرف أيضاً سيدة كانت تشتاق إلى أن تفعل شيئاً لدرجة أنها قامت بقص شعرها الطويل الجميل وباعته لكي تساعد الأيتام. قد يبدو هذا مبالغاً فيه بعض الشيء - لكن ما يمكنني أن أقوله عن يقين هو أنه أفضل بكثير من عدم فعل أي شيء. إن عدم فعل أي شيء هو أمر خطير، لأنه يفتح الأبواب للشيطان لكي يكون عاملاً في حياتنا.

امرأة أخرى قابلتها في عيادة للعلاج الطبيعي، وبعد أن حضرت مؤتمراً كنت أتكلم فيه عن حاجتنا لأن نصل إلى الآخرين، نظمت يوماً خاصاً للعلاج الطبيعي وقررت تخصيص العائد كله لمساعدة الفقراء. وقد جمعت ألف دولار للإرساليات، وشهدت أيضاً أن يوم العطاء هذا كان يوماً مغيراً لحياتها ولحياة من حضروا. وقد شهدت عن مقدار الحماس الكبير الذي شعر به الجميع في العمل معاً لمساعدة الفقراء والمحتاجين.

كلنا نحتاج إلى أن نُحَب، لكنني أؤمن أن فرحنا الشخصي يرتبط بقوة بمحبتنا نحن للآخرين. هناك شيء جميل يحدث في قلوبنا عندما نعطي.

الخمول يرحب بالعدو

من السهل أن نستلقي على الأريكة أو أن نضطجع في وضع الاسترخاء ونطلب أن يهتم الله بكل ما يجب عمله. لكن هذا يجعلنا عاطلين وغير مثمرين ومكشوفين لهجمات العدو. إذا كانت أذهاننا خالية من الأفكار

الجيدة، سيسهل على العدو أن يغرينا لعمل أمورغير صحيحة، بل والأمور التي تعتبر خطية أيضاً. يحثنا الكتاب المقدس كثيراً أن نكون نشطين لأن هذا يحفظنا من الكسل وعدم الإثمار. إذا فكرنا جيداً في ما يمكننا عمله للآخرين، لن يكون هناك مجال في عقولنا للأفكار الخاطئة.

يمكن أن يشعر العاطلون بسهولة بالإحباط والاكتئاب والشفقة على النفس، ويمكن أن يسقطوا في كل أنواع الخطية. بل إن الرسول بولس قال إنه إذا ترملت امرأة وهي شابة، فيجب أن تتزوج مرة أخرى. وإلا قد تتحول إلى ثرثارة وفضولية (انظر ١تي ٥ : ١١-١٥). بل زاد بولس على ذلك إذ قال إن بعض الشابات الأرامل نظراً لكونهن غير عاملات قد انحرفن بالفعل وراء الشيطان. إلى أي مدى يعتبر النشاط أمراً مهماً؟ أرى أن كتابات بولس تؤكد على أنه أمر مهم للغاية.

في الحقيقة يشجعنا الله بطول الكتاب المقدس ألا نكون خاملين أو بطالين. في أيام العهد القديم، إذا مات شخص ما، كان مسموحاً للإسرائيليين أن يحزنوا عليه لمدة ثلاثين يوماً فقط (انظر تث ٣٤ : ٨). في البداية ربما يبدو هذا الأمر أنه لا يراعي مشاعر الناس، لكن الله وضع هذه الشريعة لأنه يعرف أن التمادي في الحزن وإهمال العمل يمكن أن يؤدي إلى مشكلات خطيرة.

يجب أن نظل نشطين - ولا أقول إلى درجة الإفراط لئلا نذبل - لكن للدرجة التي تبقينا في الاتجاه الصحيح. التوازن أمر مهم جداً. لا يمكننا أن نقضي وقتنا كله في مساعدة الآخرين، لكن من الناحية الأخرى، فإن عدم قضاء أي وقت بهذه الطريقة يخلق مشكلات كبيرة. إذا كنت تفكر في شخص ما تعرفه وهو غير عامل، وغير نشيط، وسلبي، ربما تدرك أيضاً

أنه في غاية التعاسة لأن الخمول وقلة الفرح أمران متلازمان.

منذ عدة سنوات، انتقلت عمتي للعيش في تجمع سكني خاص بكبار السن. وطوال السنوات الثلاثة أو الأربعة الأولى كانت لا تريد أن تفعل شيئاً. كانت حزينة لأنها اضطرت أن تترك بيتها، ولم تكن لها رغبة في المشاركة في الحياة الجديدة التي أتيحت لها. وبالرغم من أنه كانت أمامها أنشطة وفرص كثيرة يمكن من خلالها أن تساعد الآخرين، إلا أنها أصرت على ألا تفعل شيئاً. كانت تجلس يوماً بعد يوم في شقتها شاعرة بالإحباط. ساءت حالتها الجسدية، وأصبح من الصعب التعامل معها. وأخيراً قررت أنها لا يمكنها أن تجلس هكذا وألا تفعل أي شيء، فاشتركت في مجموعة لدراسة الكتاب المقدس وزيارة المرضى في مستشفى المسنين التي كانت بجوار التجمع السكني. أصبحت تمارس الألعاب، وتذهب إلى الحفلات، وتكوِّن صداقات كثيرة. وسرعان ما أخبرتني أنها أصبحت أسعد مما كانت من قبل في حياتها وأنها تشعر أن صحتها ممتازة.

إن حالة الشخص الخامل تسير من سيئ إلى أسوأ إلى أن يبدأ الخمول في التأثير على كل منطقة من حياته. لأنه بهذه السلبية يسمح لنفسه أن تتقاذفها الظروف والبيئة المحيطة به. فهو يسمح لمشاعره أن تقوده، وبما أنه لا يرغب أبداً في أن يفعل أي شيء، فهو يكتفي بالمشاهدة والشكوى بينما تنهار حياته. وهو يريد أن يفعل أموراً كثيرة، لكنه غارق في شعور لا يمكن وصفه. فهو يشعر بالكسل، وليست لديه أفكار إبداعية، بل إنه ربما يبدأ في التفكير أن هناك خطأ ما في جسده وأن هذا هو سبب افتقاره إلى الطاقة. وتصبح الحياة بالنسبة له سلسلة من المشكلات التي لا يمكن التغلب عليها.

كثيراً ما نسمح لأنفسنا بالخمول بعد أن نمر بتجربة فشل أو سلسلة من الإحباطات، أو عندما تحل بنا مأساة، وهذا ما سوف أتناوله في نهاية هذا الفصل. عندما تحدث مثل هذه الأمور، ربما نريد أن نستسلم، لكن إذا فعلنا ذلك يكون إبليس منتظراً أن يثب علينا مستغلاً هذا الموقف. لا يمكننا لأي سبب من الأسباب أن نترك السلبية تفسح المجال للعدو في حياتنا.

النشاط يساعدني أن أتغلب علي الأيام السيئة

بالرغم من أنني أواجه اليوم «يوماً سيئاً» ، فهناك الملايين في العالم الذين يظنون أن يومي هذا يعتبر احتفالاً بالمقارنة بما يواجهونه هم. فعلى مدار أكثر من عشرين عاماً ظل جيش المتمردين في شرق إفريقيا يستعبد الأطفال عن طريق إجبارهم أن يكونوا جنوداً في حرب أشعلها أفراد ميليشيا العصابات الذين كانت لهم الجرأة أن يسموا أنفسهم جيش الرب للمقاومة. هذه العصابات ترهب الجزء الشمالي من أوغندا، فهم يخطفون الأطفال الصغار حتى في عمر السابعة ويجبرونهم أن يصبحوا جنوداً أو عبيداً للجنس، وأن يؤدوا وظائف مهينة أخرى. بعض الإحصائيات تقول أنه تم اختطاف حوالي ثلاثين ألفاً إلى أربعين ألفاً من الأطفال. وما بدأ كتمرد ضد الحكومة الحاكمة تحول إلى مذبحة للأبرياء على يد قائد يدَّعي أنه يريد أن يخلق مجتمعاً مبنياً على الوصايا العشر، في حين أنه ينتهك كل وصية منها.

هذا الرجل، جوزي كوني، كان قبلاً خادم كاهن في الكنيسة الكاثوليكية. والآن يحاول الخلط بين العهد القديم والقرآن والطقوس

القبلية لكي يضع عقيدته الخاصة. كانت تكتيكاته وحشية. في وقت كتابة هذا الكتاب تم عقد هدنة وإطلاق سراح الكثير من الأطفال، لكن في كثير من الأحيان يكون آباء هؤلاء الأطفال وأمهاتهم قد قتلوا، ولم يعد لهم بيت يرجعون إليه. معظم الأطفال أُجبروا على تعاطي المخدرات وأصبحوا مدمنين. لقد أُجبروا على ارتكاب أعمال عنف لا تصدر عن الكبار، ومع ذلك يفعلها الأطفال. لقد أُجبر الأطفال الصغار على أن يطلقوا النار على عائلاتهم بالكامل. فماذا يفعلون الآن؟ يتجولون في الطرق مملوئين بالغضب محاولين أن يجدوا طريقة ينسوا بها ما فعلوه. سوف يحتاجون إلى المساعدة، ويمكنني أن أصلي إلى الله اليوم أن يستخدمني. يمكنني أن أحول تفكيري عن نفسي عن عمد، وأن أفكر في أشخاص مثل هؤلاء الذين وصفتهم للتو، وأن أفكر في أشخاص يعانون من مشكلات حقيقية.

لازلت أتذكر نظرات اليأس المرسومة على وجوه الناس والتي رأيتها عندما حظيت بامتياز السفر إلى أوغندا. ويمكنني أن أستمر في بذل كل جهد لأرسل المعونة لهم. يمكنني أن أتخيل محاولة رسم بسمة على وجوههم بدلاً من الغضب الذي رأيته عندما زرتهم أولاً. يمكنني أن أتخيل ما يمكن أن تصبح عليه حياتهم بعد أن نساعدهم في بناء قرية جديدة يمكنهم فيها أن يجدو آباء وأمهات بالتبني، وطعاماً جيداً، ومحبة، وتعليماً، ومعرفة سليمة أيضاً عن يسوع وعن خطته لحياتهم.

الجندي الطفل

«من فضلك يا رب، لا أريد المزيد من القتل. ليس اليوم. لا يمكنني أن أشاهد المزيد». كانت هذه هي صلاته.

كان «ألان» يسمع من على بُعد أصوات الصرخات والقذائف المدوية من المدافع، فيصيبه الرعب والفزع. إنه يعرف جيداً جداً ما تدل عليه هذه الأصوات. كيف يمكنه أن ينسى؟ لقد كانت هي الأصوات ذاتها التي سمعها قبل أن يهجم الجنود على قريته ويخطفوا أمه وأباه بعنف، ويضربوهما بوحشية حتى الموت، لكي يخيفوا المختطَفين الآخرين ويجبروهم على الطاعة.

في ذلك اليوم المروع، ترك المتمردون ألان ورحلوا. لكن بعد أن اختبأ ألان ومعه خمسة أولاد آخرون بين الشجيرات لمدة أسابيع، نائمين على الأرض بدون أي طعام أو ماء، وجدهم المتمردون. كان ألان عمره سبعة أعوام فقط.

منذ اللحظة التي تم اختطافه فيها، كان يتعرض للضرب مرتين أو ثلاث مرات يومياً ولا يحصل سوى على القليل من الطعام والماء. «انهض يا ولد، جاء الوقت لتشاهد أصدقاءك وهم يموتون»، هكذا صاح الجندي المتمرد في ألان. انوا يجبرونه على أن يرى رغماً عنه الجنود وهم يضربون أصدقاءه على رؤوسهم إلى أن ينطرحوا أرضا بدون حراك في بركة مخيفة من دمائهم. وتحت تهديد الموت، أجبره المتمردون على ارتكاب أعمال شر شنيعة أيضاً.

الليلة، عندما يتم إرسال ألان لجمع الحطب للنار، ينوي هو أن يهرب. سوف يركض بأقصى طاقته ... سوف يركض حتى يفقد وعيه إن اضطر لذلك، فالحرية هي حلمه. ربما إذا ركض لمسافة بعيدة، سيمكنه أن يعيش لمدة يوم بدون قتل، وربما يبدأ في التعافي.

يعيش ألان حالياً في قرية جديدة في جولو بأوغندا، وهي قرية مصممة لاستضافة الجنود الأطفال ومساعدتهم. وتقوم خدمة جويس ماير بالشراكة مع خدمات واتوتو بتنمية هذه القرية لكي تصل إلى الأطفال المتضررين.

تقول الإحصائيات:

- قام جيش الرب للمقاومة باختطاف أكثر من ثلاثين ألف طفل ليعملوا كجنود أو كعبيد للجنس في أوغندا.
- في عام ٢٠٠٧، كان هناك ما يقرب من ٢٥٠ ألف جندي طفل على مستوى العالم.

بينما كنت أقرر إذا كان يجب عليَّ أن أظل في هذه الحالة المنحدرة طوال اليوم، تلقيت رسالة إلكترونية من بعض الأصدقاء الذين خدموا الله معنا لأكثر من خمسة وعشرين عاماً، وكانت تحوي أخباراً عن ابنهم الذي يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً، والمصاب بسرطان الغدة الدرقية في مرحلة خطيرة وقاتلة. إذا نظرت فيما هو أبعد من نفسي وأدركت أن هناك الكثير الذي يحدث في العالم بخلافي، سوف أبدأ تدريجياً في الشعور بأن انغماسي في مشكلاتي أصبح أقل، وأن شكري على بركاتي أصبح أكثر.

أندهش عندما أفكر كيف أن الكثير من مشكلاتنا مرتبط بما نفكر فيه. طالما كنت أفكر في ما كنت أريده ولم أحصل عليه، سوف تنخفض معنوياتي وتنخفض وتنخفض. لكن عندما أفكر في ما أمتلكه وفي المآسي التي يواجهها الآخرون، أدرك أنني في الحقيقة ليست عندي مشاكل على الإطلاق. وبدلاً من أن أشفق على ذاتي، أصبح شاكرة!

أنا أشكر الله دائماً أنه يظل يذكِّرني أن أبقى عاملة وأن أفعل شيئاً جيداً، لأننا نغلب الشر بالخير (انظر رو ١٢ : ٢١). هل أساء شخص معاملتك؟ لماذا لا تصلي لأجله؟ سوف يجعلك هذا تشعر بتحسن. هل هناك شيء جعلك تشعر بخيبة الأمل؟ اطلب من الله أن يظهر لك أناساً آخرين يشعرون بخيبة الأمل أكثر منك، وحاول أن تشجعهم. هذا سيساعدهم، وسيجعلك تشعر بتحسن في الوقت نفسه.

العالم يزداد عنفاً طوال الوقت. وبينما أنا أواصل الكتابة تلقيت رسالة أخرى – رسالة نصية تخبرني أن هناك كنيسة في مدينة أخرى تعرضت لإطلاق نار عشوائي في الليلة الماضية. مات شخصان وأصيب خمسة أشخاص. تذكرت ما قاله الكتاب المقدس في متى ٢٤، عندما كان يسوع يتحدث عن علامات الأزمنة الأخيرة ويقول: أنه وسط كل هذا العنف والاحتياج الشديد، ستبرد محبة معظم الناس. وهذا هو ما يجب أن نحاربه. لا يمكن أن نسمح للمحبة أن تختفي، لأننا إذا فعلنا ذلك، نكون قد سلمنا الكوكب للشر.

عندما علمت بإطلاق الرصاص على الكنيسة، كان يمكنني أن أقول «يا له من أمر محزن!». كان يمكنني أن أشعر بالسوء لمدة دقائق قليلة ثم أعود إلى إحباطاتي الشخصية. لكنني رفضت أن أفعل هذا، لأنني لن

أعيش بهذا الاتجاه. بعد أن سمعت بالأزمة، فكرت لدقائق قليلة وقررت أن أطلب من ابني أن يتصل بالراعي ويرى ما يمكننا أن نفعله لنساعدهم. ربما كانت الأسر التي فقدت أحباء لها تحتاج إلى شيء، أو ربما يساعدهم أن يعرفوا فقط أن هناك من يهتم بهم.

أتعجب عندما أفكر في المرات الكثيرة التي اجتزنا فيها في أوقات صعبة ولم يكن هناك حتى من يتصل بنا. أنا أعتقد أن الجميع يظنون أن الجميع يفعلون ذلك، ولهذا لا يفعل أي شخص شيئاً.

مهمة من هذه؟

هذه القصة سمعتها منذ سنوات عن أربعة أشخاص أسماؤهم: «كل واحد»، و «واحد ما»، و «أي واحد»، و «ولا واحد». كان هناك عمل هام يجب أن يتم، وكان «كل واحد» متأكداً أن «واحداً ما» سوف يقوم به. «أي واحد» كان يمكن أن يقوم به، لكن «ولا واحد» قام به. غضب «واحد ما» من هذا، لأنها كانت وظيفة «كل واحد». ظن «كل واحد» أن «أي واحد» يمكن أن يقوم بالعمل، لكن «ولا واحد» أدرك أن «كل واحد» لن يقوم به. وفي النهاية، ألقى «كل واحد» باللوم على «واحد ما» عندما قام «ولا واحد» بفعل ما كان يمكن أن يفعله «أي واحد».

قرأت مرة عن حادثة مروعة تبين مبادئ هذه القصة عملياً – مأسوياً – في الحياة الواقعية. في عام ١٩٦٤ تعرضت «كاثرين جينوفيز» لطعنة ماتت على إثرها بعد خمس وثلاثين دقيقة، بينما كان ثمانية وثلاثون من الجيران يشاهدونها. كان رد فعلهم هو البرود واللامبالاة، وهذا نتيجة الفتور والاغتراب المدني. في وقت لاحق، كشف باحث من مركز «لاتان

ودارلي» أنه لم يقم أي واحد بالمساعدة، لأنه كان هناك الكثيرون الذي يشاهدون. نظر المشاهدون بعضهم لبعض متسائلين ماذا يفعلون. وبما أنه لم يكن هناك من يفعل أي شيء، فقد قرروا أنه لا يجب أن يكون هناك من يفعل أي شيء.

تقل فرصة الناس في نوال المساعدة كلما زاد عدد المتفرجين. كان هناك طالب تظاهر أنه يعاني من نوبات صرع. في ٨٥ بالمائة من المرات التي كان بجانبه شخص واحد فقط، كان يتلقى المساعدة. لكن عندما كان هناك العديد من الناس يقفون ويشاهدون، كان يتلقى المساعدة في ٣١ بالمائة فقط من المرات.

هذه الدراسة تثبت أنه كلما ازداد عدد الناس الذين لا يفعلون شيئاً، زاد عدم فعل الناس لأي شيء. لكن إذا كانت هناك ولو مجموعة صغيرة من أشخاص ملتزمين يبدأون في مد أيديهم للآخرين بالرعاية والمحبة، بالابتسامات وكلمات المدح، بالتقدير والاحترام، إلخ، يمكن لهذه الحركة أن تنمو. وهذا ما يحدث بالفعل.

لقد أثبتت الدراسات أننا نتأثر كثيراً بما يفعله الناس من حولنا. فنحن ننظر أحدنا إلى الآخر طلباً للإرشاد، حتى عندما لا نعي أبداً أننا نفعل ذلك. معظم الناس سيتفقون مع الأغلبية حتى إذا لم يوافقوا في الحقيقة، فَهُم يفعلون ذلك فقط لكي يظلوا جزءاً من المجموعة.

إذا أردنا أن نكون جزءاً من ثورة المحبة، يجب علينا كمسيحيين مؤمنين أن نكون قدوة للآخرين بدلاً من أن ننصهر في نظام العالم. إذا كان هناك من له من الجرأة ما يجعله يتحرك، أو من له من المحبة ما يجعله يساعد، ربما ظلت كاثرين جينوفيز على قيد الحياة.

هل تصلي صلوات يستطيع الله أن يستجيبها؟

أريد أن أقترح عيك شيئاً تضيفه إلى صلواتك اليومية. في كل يوم اسأل الله ما الذي يمكنك أن تفعله لأجله. ثم أثناء مواصلتك لحياتك اليومية، راقب الفرص لتفعل ما ترى أن يسوع كان سيفعله لو كان مازال هنا على الأرض بجسده. إذا كنت مسيحياً مؤمناً، فهذا يعني أن الله يعيش فيك الآن، وأنت سفيره. لذلك احرص على أن تمثله جيداً. لقد قضيت سنوات كثيرة في صلواتي الصباحية أخبر الله بما أريده أن يفعله لي، لكن مؤخراً فقط أضفت هذا الجزء الجديد: «يا رب، ما الذي يمكنني أن أفعله لك اليوم؟».

مؤخراً كنت أطلب من الله أن يساعد صديقة لي كانت تجتاز في وقت عصيب للغاية. كانت تحتاج إلى شيء ما، لذا طلبت من الله أن يعطيه لها. ولدهشتي، كانت إجابته عليّ هي: «كفي عن سؤالي أن أسدد هذا الاحتياج. اسأليني أن أريك ما يمكنك أنت أن تفعليه». وقد أدركت أنني كثيراً ما أطلب من الله أن يفعل أشياء لي في الوقت الذي يريد هو فيه مني أن أفعل هذه الأشياء بنفسي. إنه لا يتوقع مني أن أفعل أي شيء بدون مساعدته، لكنه أيضاً لن يفعل كل شيء لي بينما أجلس أنا بدون عمل. الله يريدنا أن نكون منفتحين ومشاركين. إنه يريدنا أن نستخدم مصادرنا لنساعد الناس، وإذا كان ما لدينا غير كاف لتسديد احتياجاتهم، يمكننا أن نشجع آخرين على الاشتراك معنا حتى يمكّننا معاً أن نفعل ما يلزم فعله.

الله يريدنا أن نكون عاملين ومشاركين.

أشجعك أن تصلي صلوات يستطيع الله أن يستجيبها. أنت وهو شريكان. وهو يريد أن يعمل معك ومن خلالك. اطلب منه أن يظهر لك ما يمكنك أن تفعله، واعتمد عليه في أن يعطيك ليس فقط الإبداع، بل المصادر التي تمكنك من تحقيق هذا أيضاً.

لا تفزع عندما أقول «استخدم مصادرك»، فأنا أتحدث عما هو أكثر من المال. إن مصادرنا تشمل طاقتنا، ووقتنا، ومهاراتنا، وممتلكاتنا المادية، تماماً كما تشمل نقودنا. قد تشتمل مساعدة شخص ما على المال، لكنها غالباً ما تشتمل على الوقت، وأنا أعتقد أن وقتنا أصبح ضيقاً جداً في مجتمعنا لدرجة أن تحرير شيك للفرد المحتاج أصبح أسهل من استقطاع الوقت للاهتمام به. لقد أصبحت أؤمن أن ما أسميه خدمة «الشخص المتاح» هي غالباً أكثر ما يحتاجه الناس.

لي صديقة تعيش في مدينة كبيرة يمثل فيها المشردون مشكلة ضخمة. في إحدى الليالي في الشتاء، كانت عائدة لبيتها من العمل، ومرت برجل يطلب مالاً. كان الجو بارداً ومظلماً، وكان يوماً طويلاً وتشتاق إلى العودة للبيت. لم ترد أن تخرج محفظتها في هذه الظروف غير الآمنة، ففتشت في جيبها لتجد بعض العملات المعدنية. وبينما كانت أصابعها تبحث بدون جدوى، بدأ الرجل يخبرها أن معطفه قد سُرق منه في ملجأ المشردين الذي قضى فيه الليلة السابقة، وبعدها استمر يصف لها بعض المشكلات الأخرى التي كان يواجهها. وبينما كانت تحاول إخراج بعض العملات، كانت تومئ برأسها في الأوقات المناسبة وتقول «هذا سيئ للغاية». وعندما وجدت النقود أخيراً، ألقت بها في إناء هذا الرجل. فابتسم وقال «شكراً لكِ على الحديث معي». تقول صديقتي إنها أدركت في تلك الليلة أن الخمسين سنتاً التي أعطتها له كان لها تقديرها عنده،

لكن ما كان يعني الكثير للرجل هو فكرة أنه يوجد شخص استمع إلى ما قاله، وتجاوب معه.

لدينا فريق من الناس من خدمتنا يحاولون أن يساعدوا من يعيشون في الأنفاق تحت جسر وسط المدينة. وقد وجدوا أن كلاً من هؤلاء الناس كانت له حياة قبل الأنفاق، وكلهم لديهم قصص. أحياناً تكون هناك مأساة حدثت لهم وأدت بهم إلى الظروف الحالية. وهم يقدرون الشطائر، وتوصيلهم إلى الكنيسة بالسيارات حيث يمكنهم الاستحمام والحصول على ملابس نظيفة. لكن أكثر ما يقدرونه هو أن يعتني بهم شخص للدرجة التي تجعله يتحدث معهم لفترة طويلة تجعله يكتشف من هم وما حدث لهم.

أريد أن أشجعك أن تفعل كل ما يمكنك فعله لتساعد الآخرين. إذا كانوا يريدون فقط أن تكون موجوداً عندما يحتاجونك، فاصرف وقتاً في فعل ذلك. اسأل الله عما يريدك أن تفعله - وهو سوف يجيب صلاتك حتى يمكنك أن تفعل ذلك.

ممارسة الصلاح بقوة

هل تؤمن أن العالم مليء بالظلم؟ هل تعتقد أنه يجب فعل شيء ما تجاه الأطفال الذين يموتون من الجوع؟ هل ينبغي أن يساعد أحد ١,١ مليون نسمة الذين لا يجدون مياه شرب آمنة؟ هل يجب أن يعيش الناس في الشوارع أو تحت الجسور؟ هل يجب على الأسرة التي كنت تذهب معها إلى الكنيسة لسنوات أن تعاني من مأساة ولا يتلقّون حتى مكالمة تليفونية من أي شخص ليعرف لماذا لم يأتوا إلى الكنيسة منذ ثلاثة شهور؟ إذا تعرضت كنيسة تنتمي لطائفة أخرى في مدينتك للحريق، هل من اللائق أن تصلي فقط وألا تفعل شيئاً عملياً لمساعدتهم؟ هل تؤمن أن شخصاً ما

يجب أن يفعل شيئاً ما تجاه الظلم؟ أعتقد أنك أجبت على كل الأسئلة السابقة إجابة سليمة، لذلك عندي سؤال واحد أخير. ماذا ستفعل؟ هل تكون أنت ذلك «الشخص» الذي يفعل ما يلزم فعله؟

عندما أسألك عما ستفعله، هل تشعر بالخوف لأنك تتساءل عن ما الذي سيتطلبه «فعل شيء ما»؟ أنا أتفهم هذا النوع من الشعور بالذعر. ففي النهاية إذا قررت حقاً أن أنسى نفسي وأن أبدأ بقوة في محاولة المساعدة، ما الذي سيحدث لي؟ من سيهتم بي إذا لم أهتم بنفسي؟ قال الله إنه سيهتم بنا، لذلك أعتقد أننا يجب أن نعرف ما إذا كان يعني حقاً ما قاله أم لا. لماذا لا تكف عن «الاهتمام بالذات»، وترى إذا كان الله سيقوم بهذا أفضل منك. أنا أثق أننا إذا كنّا نهتم بعمله، الذي هو مساعدة المتألمين، سوف يهتم هو بعملنا.

فقط استمر في التحرك

في نهاية هذا الفصل، أريد أن أقول إنني أدرك أن هناك أشياء تحدث في الحياة تجعلنا نريد أن نعتزل عن العالم لفترة من الزمن. أنا أدرك أن معظم تغيرات الحياة تحدث وتتطلب فترة من التكيف، وأنا أدرك أن الخسارة أو الصدمات يمكنها أن تجعل الناس لا يريدون أن يتفاعلوا مع الآخرين أو أن يمدوا أيديهم لهم، وأنا أتعاطف مع كل هذه الأمور. وإذا كنت قد عانيت من خسارة ما، وتركتك فاقداً للإحساس ولا ترغب في فعل أي شيء، فأنا أفهم ما تشعر به، لكنني أريد أن أشجعك أن ترغم نفسك على الاستمرار في التحرك. إبليس يريد أن يعزلك، لأنك بمفردك قد لا تكون لديك القوة لأن تهزم أكاذيبه. أعرف أنه ربما يبدو سخيفاً أن أقول لك اذهب وساعد شخصاً آخر، لكنني أؤمن بكل قلبي أن هذا التصرف حماية لك، كما أنه

هو الحل لمشكلات العالم.

دعني أكرر مرة أخرى: أنا أؤمن بشدة أننا نحتاج إلى ثورة محبة. كلنا جربنا الأنانية والاكتئاب، والإحباط والشفقة على النفس - ورأينا ثمار ذلك، فالعالم مليء بنتائج هذه الأمور. دعونا نتفق معاً أننا سوف نعيش الحياة بطريقة الله. احـرص على أن تكـــون بركة للآخــــــرين (انظر غل ٦ : ١٠). البس المحبة (انظر كو ٣ : ١٤). هذا يعني أن تتعمد أن تكون نشيطاً في الوصول إلى الناس. اسهر وصلِّ لأجل الحصول على الفرص، كن رقيباً لله! كان يسوع ينهض كل يوم ويبدأ في عمل الخير (انظر أع ١٠ : ٣٨). يبدو الأمر بسيطاً. أتعجب كم فاتنا هذا الأمر طوال هذا الوقت.

الفصل

٤

عندما يعترض الله طريقك

«الآن هو الوقت المقبول، وليس غداً، وليس عندما تتاح فرصة أخرى مناسبة. اليوم هو الوقت الذي يمكننا فيه أن نفعل أفضل ما لدينا، وليس في يوم ما في المستقبل أو في سنة ما في المستقبل».

و.إ. ب. دوبوا

أثناء رحلاتي للخدمة، أقيم عادة في فنادق. وعندما أكون في غرفتي دائماً أضع على الباب علامة «ممنوع الإزعاج» لكي لا يضايقني أحد. وإذا كان وضع مثل هذه العلامة على باب غرفة الفندق أمراً مقبولاً، إلا أن وضع علامة مثل هذه على حياتي هو أمر غير مقبول.

هل لاحظت من قبل أن الله لا يفعل دائماً الأشياء بحسب جدول مواعيدنا أو بالطرق المريحة لنا؟ قال بولس لتيموثاوس إنه بوصفه خادماً

لله وخادماً للإنجيل، يجب أن يتمم واجباته سواء كان هذا مريحاً له أو غير مريح (انظر ٢تي ٤ : ٢). وأنا أشك أن تيموثاوس كان مدمناً للراحة مثلما نحن اليوم، ومع ذلك فقد اعتبر بولس أنه من الضروري أن يُذكِّره أن يكون مستعداً لأن يعترض الله طريقه بشكل غير مريح له. وإذا كان تيموثاوس بحاجة إلى أن يسمع هذا، فأنا على يقين أننا نحن أيضاً نحتاج أن نسمعه كثيراً، لأننا غالباً نرتبط بالراحة أكثر من تيموثاوس. كل ما عليَّ أن أفعله لكي أدرك كم تعني الراحة بالنسبة لي هو أن أصغي لنفسي وأنا أشكو عندما يكون لديَّ أي جهاز ولو صغير جداً ولا يعمل جيداً – غسالة الأطباق، جهاز التكييف، مجفف الشعر، غسالة الملابس، الميكروويف، أو أشياء أخرى لا حصر لها.

كثيراً ما أشاهد الناس في مؤتمراتنا في أمريكا يشكون لأنهم اضطروا أن يوقفوا سياراتهم على بعد عدة مبان من مقر المؤتمر، بينما في الهند يسيرالناس لمدة ثلاثة أيام لكي يصلوا إلى مؤتمر للكتاب المقدس. أرى الناس في أمريكا يزعجون من حولهم لكي يذهبوا إلى دورة المياه أو لكي يحصلوا على كوب ماء أو لكي يجيبوا على مكالمة تليفونية، بينما الناس في الهند يجلسون في القذارة معظم اليوم بدون مبالغة، دون أن يفكروا حتى في النهوض من أماكنهم. في بلادي يشكو الناس إذا كان الجو بارداً جداً أو حاراً جداً، لكن عندما أذهب إلى الهند لا أسمع الشكوى سوى من الناس الذين أحضرتهم معي، بما فيهم أنا.

أنا أؤمن حقاً أننا مدمنون للراحة. وأنا لا أقول إننا يجب أن نتخلى عن أساليب الراحة الحديثة التي لدينا، كما أدرك بالتأكيد أننا نريد ما اعتدنا عليه، لكننا نحتاج أن يكون لنا الفكر الصحيح من جهة ما هو

مريح وما هو خلاف ذلك. إذا استطعنا أن نتحلى بهذا الفكر، فلنشكر الله (حرفياً). لكن إذا لم نستطع ذلك، فلا يجب أن يمنعنا هذا أبداً عن فعل أي شيء يطلبه منّا الله.

أتذكر منذ عدة سنوات أنه كان هناك زوجان مصابان بالعمى يريدان أن يأتيا إلى الاجتماعات الدراسية مساء الأربعاء، والتي كانت تُقام في مركز اجتماعات في سانت لويس. عادة كانا يستقلان الأتوبيس، لكن تم إلغاء الرحلة التي كانا يستقلانها، وكانت الطريقة الوحيدة التي يمكنهما بها أن يستمرا في الحضور هي أن يمر عليهما شخص ما ويوصلهما للاجتماع، ثم يصطحبهما للمنزل مرة أخرى. يا لها من فرصة رائعة! ظننت أن الناس سوف يقفون في طابور راغبين في تقديم المساعدة، لكن لم يكن هناك من هو مستعد أن يفعل ذلك لأنهما كانا يعيشان في منطقة تعتبر «بعيدة عن الطريق».

هذا يعني أن توفير وسيلة انتقال لهذين الزوجين كان أمراً غير مريح. أتذكر أنني اضطررت أن أجعل أحد موظفينا يفعل ذلك، مما يعني أننا كان علينا أن ندفع أجراً لهذا الشخص. أندهش كثيراً من كم نحن مستعدون أن «نساعد» إذا كنا سنتقاضى نقوداً في المقابل. يجب أن نتذكر أن محبة المال هي أصل لكل الشرور. يجب ألا نسمح للمال أن يكون هو دافعنا الرئيسي في الحياة. كلنا نحتاج إلى المال، لكننا أيضاً نحتاج أن نفعل أموراً للآخرين، وحقيقة أن أفعال المحبة واللطف هذه أحياناً ما تكون غيرمريحة لنا هو في الواقع أمر مفيد لنا. كثيراً ما تكون مثل هذه الفرص «أوقات اختبار»، أي أوقاتاً يتفقدنا الله لكي يرى إذا كنّا مُكرسين أم لا. إذا كنت مستعداً أن تفعل شيئاً لطيفاً تجاه شخص آخر بدون مقابل وربما بدون

تقدير أيضاً، فهذه علامة إيجابية على أن قلبك الروحي بحالة جيدة.

عندما أراد الله أن يرى إذا كان بنو إسرائيل سيطيعون وصاياه، قادهم في الطريق الطويل الشاق في البرية (انظر تث ٨ : ١-٢). أحياناً يفعل الله معنا الشيء ذاته. نحن مستعدون للغاية أن «نطيع» الله عندما يكون هذا سهلاً، وعندما ننال المكافأة على مجهوداتنا بسرعة. لكن ماذا إذا كان هذا الأمر غير مريح لنا، إذا لم يتوافق مع خطتنا، وإذا بدا أنه لا يعود علينا بأي شيء؟ ما مقدار طاعتنا في هذه الحالة؟ هذه أسئلة نحتاج كلنا أن نسألها لأنفسنا لأنه من المهم جداً أن نكون صادقين فيما يتعلق بتكريسنا. من السهل أن نقف في الكنيسة ونرنم «أسلم لك الكل»، لكن ماذا نفعل عندما يكون التسليم أكثر من مجرد ترنيمة، وعندما يكون مطلباً فعلياً؟

يا رب، ليس هذا هو الوقت المناسب

يخبرنا الكتاب المقدس قصة شخص لم يتبع يسوع لأن هذا كان غير مريح بالنسبة له. كان اسمه فيلكس، وقد طلب من بولس أن يأتي ويعظه بالإنجيل. لكن عندما بدأ بولس يحدثه عن الحياة الصحيحة، وعن طهارة الحياة، والتحكم في العواطف، ارتعب فيلكس وخاف، وطلب من بولس أن يذهب وقال أنه سوف يستدعيه في وقت آخر مناسب له (انظر أع ٢٤ : ٢٥). وأنا أجد هذا أمراً شيقاً جداً، لا لكونه مضحكاً، بل لأنه يرسم بوضوح ما نحن عليه. نحن لا يضايقنا أن نسمع عن محبة الله الكبيرة لنا وعن الخطط الصالحة التي لديه لحياتنا، لكن عندما يبدأ الله في تقويمنا أو تأديبنا بأية طريقة، نحاول أن نقول له أن «الآن» ليس هو الوقت

المناسب. وأنا أشك في أن الله يختار أبداً أي وقت نعتبره نحن «الوقت المناسب»، وأعتقد أن الله يفعل ذلك عن قصد!

عندما كان بنو إسرائيل يرتحلون عبر البرية، كانت السحابة تقودهم في النهار وعمود النار في الليل. عندما كانت السحابة تتحرك، كان عليهم أن يتحركوا. وعندما كانت تقف، كانوا يمكثون في المكان الذي يقفون فيه. الشيء المثير هو أنه لم يكن هناك نمط أو خطة يعرفونها فيما يتعلق بالوقت الذي تتحرك فيه السحابة، فقد كان عليهم ببساطة أن يتحركوا عندما تتحرك السحابة (انظر عد ٩ : ١٥-٢٣). ويقول الكتاب المقدس إنها كانت أحياناً تتحرك في النهار وأحياناً في الليل. أحياناً كانت تستقر لعدة أيام، وأحياناً تستقر ليوم واحد. وأنا أشك حقاً في أنهم في الليل كانوا يعلقون علامة «ممنوع الإزعاج» على فتحات خيامهم لكي يُعرِّفوا الله أنهم لا يريدون من يزعج راحتهم. عندما كان الله يقرر أن الوقت قد جاء للتقدم، كانوا يحزمون حقائبهم ويتبعونه، وعندما يقرر الله أن الوقت قد حان للانتقال إلى المستوى التالي من رحلتنا فيه، يجب ألا نقول أبداً «ليس هذا هو الوقت المناسب!».

ألم يكن من الأفضل أن يقدم الله للشعب جدول مواعيد شهري يبين فيه كل أيام التحركات حتى يكونوا مستعدين ذهنياً وعاطفياً وجسدياً؟ يا تُرى لماذا لم يفعل الله ذلك؟ هل كان هذا لمجرد أنه يعترض طريقنا عن عمد لكي يرى فقط استجابتنا له؟

الله يعرف الأفضل، وتوقيته دائماً هو التوقيت الصحيح. وحقيقة أنني لا أشعر أنني مستعدة أن أتعامل مع شيء ما في حياتي لا يعني أنني لست مستعدة حقاً. الله هو رئيس «لجنة الطرق والوسائل». وطرقه ليست هي

طرقنا، لكنها أعلى وأفضل من طرقنا (انظر إش ٥٥ : ٩).

لماذا لا يكون الأمر أسهل من ذلك؟

إذا كان الله يريدنا أن نساعد الناس، لماذا لا يجعل الأمر أسهل وأقل تكلفة؟ اسمح لي أن أجيب على هذا السؤال بسؤال آخر. هل ضحى يسوع بأي شيء ليشتري حريتنا من الخطية والعبودية؟ أتساءل لماذا لم يجعل الله خطة الخلاص أسهل؟ ففي النهاية، كان يمكنه أن يضع أية خطة يريدها ويقول «هذه الخطة ستنجح». يبدو أنه في اقتصاد الله الأشياء الرخيصة ليست جديرة باقتنائها. قال الملك داود إنه لن يقدم لله شيئاً لم يكلفه شيئاً (انظر ٢صم ٢٤ : ٢٤). وقد تعلمت أن العطاء الحقيقي لا يُعتبر عطاء ما لم يمكنني أن أشعر به. فإذا أعطيت كل ملابسي وكل أغراض منزلي القديمة التي لم أعد أستخدمها، قد يكون هذا لفتة لطيفة، لكنه لا يتساوى مع العطاء الحقيقي. العطاء الحقيقي يحدث عندما أعطي لشخص ما شيئاً ما أريد أن أحتفظ به. أنا متأكدة أنك مررت بأوقات الامتحان هذه التي يطلب فيها الله منك أن تتخلى عن شيء تحبه. لقد أعطانا الله ابنه الوحيد لأنه يحبنا، فما الذي ستجعلنا المحبة نفعله؟ هل يمكننا على الأقل أن نتخلى عن الراحة في بعض الأوقات لكي نساعد شخصاً محتاجاً؟

شاهدت مؤخراً قصة في التليفزيون عن خطيبين كانا يحبان أحدهما الآخر كثيراً، وكانا سيتزوجان قريباً. لكن للأسف، أصيبت الفتاة في حادث سيارة وظلت في غيبوبة لعدة شهور. ظل الشاب الذي كانت ستتزوجه بجانبها يوماً بعد يوم، وأخيراً أفاقت، لكنها كانت مصابة

بتلف بالمخ، مما يعني أنها سوف تظل كسيحة وغير قادرة على فعل أشياء كثيرة لنفسها طوال الوقت، لكن هذا الشاب لم تخطر بباله مجرد فكرة عدم الاستمرار في التخطيط للزواج. فدخلت الفتاة الكنيسة على كرسي متحرك، ولم تكن تقوى على الكلام بوضوح نظراً لإصاباتها، لكن الفرح الغامر كان واضحاً عليها. ظل هذا الرجل بقية حياته يعتني بها، واستمتعا بالحياة معاً. وبمساعدته وتشجيعه، اشتركت في الأولمبياد الخاصة واستطاعت أن تحقق أموراً مذهلة.

ربما كان السهل والمفهوم بالنسبة لمعظمنا أن يرحل هذا الشاب ببساطة. فقد كان البقاء معها يعني بالنسبة له عدم الراحة، والاحتياج إلى التضحية اليومية، لكنه لم يتركها ويرحل كما يفعل الكثيرون عندما يواجهون مواقف غير مريحة بالنسبة لهم، بل ظل معها واختبر فرحاً أكثر بكثير مما يختبره معظمنا.

إذا كنت تشبهني، فأنت بالحقيقة تستمتع بالقراءة عن أناس ضحوا بالكثير لأجل منفعة الآخرين. لكنني أعتقد أن الله يريد منك ومني ما هو أكثر من مجرد قراءة قصص هؤلاء الناس. ربما يريدك الله أن تكون لك قصة خاصة بك.

عدم الراحة لأجل راحة شخص آخر

أحياناً يعترض الله طريق شخص ما ويطلب منه أو منها أن يفعل شيئاً غير مريح بالنسبة له لكي يجعل الحياة أكثر راحة لشخص آخر. يجب أن نفهم طرق الله وإلا سوف نقاوم ما يجب أن نتمسك به. والحقيقة البسيطة هي هذه: يجب علينا أن نعطي لكي نكون سعداء، والعطاء لا يكون عطاء حقيقياً ما لم نشعر بالتضحية فيه.

بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا والتلاميذ الآخرون كلهم نالوا إكراماً عظيماً. لقد وقع عليهم الاختيار ليكونوا التلاميذ الاثني عشر، الرجال الذين سيتعلمون من يسوع ثم يحملون الإنجيل إلى العالم. كانوا كلهم مشغولين عندما دعاهم يسوع. كانت لهم حياتهم وعائلاتهم وأعمالهم. وبدون سابق إنذار، ظهر يسوع وقال لكل منهم «اتبعني». يقول الكتاب المقدس أن بطرس وأندراوس تركا الشباك في البحر وتبعاه (انظر مت ٤ : ١٨-٢١). هل تتساءل عن معنى اعتراض الله لطريقك؟ لم يخبر يسوع التلاميذ أن يصلوا لأجل هذا الأمر أو يفكروا فيه، أو يرجعوا البيت ويتحدثوا مع زوجاتهم وأطفالهم بخصوصه، بل قال فقط «اتبعني».

وهم لم يسألوا كم ستمتد فترة غيابهم أو ما هو الراتب المقدم لهم. لم يسألوا عن المستحقات أو التعويضات أو زمن السفر أو نوعية الفندق الذي سيمكثون فيه، بل إنهم لم يسألوه حتى عن التوصيف الوظيفي، بل بكل بساطة تركوا الكل وتبعوه. وحتى وأنا أقرأ هذا الآن لابد أن أعترف أنه يبدو أمراً قاسياً إلى حد ما، لكن ربما يكون الأمر أنه كلما عَظُمَت الفرصة، عَظُمَت التضحية.

أتذكر وقتاً كنت فيه أشكو من بعض الأشياء التي كان الله يطلبها مني، لأنني شعرت أن الآخرين لم يكن موضوعاً عليهم هذه المتطلبات نفسها. وقال الله لي ببساطة «يا جويس، لقد طلبتِ مني الكثير. هل تريدينه أم لا؟» لقد طلبت من الله أن أكون قادرة على مساعدة الناس في كل أنحاء العالم، وكنت أتعلم أن امتياز فعل هذا الأمر سوف يكون في أوقات كثيرة غير مريح وغير ملائم لي.

من المستحيل أن تحصل على الحصاد دون أن تزرع البذار. قال الملك سليمان إننا إذا انتظرنا أن تتحسن كل الأحوال قبل أن نزرع، فلن نحصد أبداً (انظر جا ١١: ٤). بمعنى أننا يجب أن نعطي ونطيع الله عندما يكون هذا غير مريح وعندما يكون الأمر مكلفاً. ربما كان هؤلاء الاثنا عشر هم الذين وقع عليهم الاختيار لأنهم كانوا مستعدين أن يفعلوا ما لم يكن الآخرون مستعدين أن يفعلوه. ومع أن الكتاب المقدس لا يقول إن يسوع دعا أي شخص وقوبل بالرفض، لكن ربما حدث ذلك. ربما كان عليه أن يتحدث إلى الآلاف لكي يجد في النهاية اثني عشر. على الأقل أعتقد أن هذا هو الحال اليوم، فالناس الذين على استعداد للتضحية، واختبار عدم الراحة، وقبول مقاطعة خططهم قليلون. الكثيرون يتغنون بمحبتهم ليسوع وهذا حسن، لكننا يجب أن نتذكر أيضاً أنه مع أن الغناء ممتع، إلا أنه لا يتطلب تضحيات، لكن المحبة الحقيقية تتطلب التضحية.

أؤمن أنه لا يوجد الكثير من المحبة الحقيقية في العالم لأن هذا الأمر يتطلب الجهد ودائماً يكلفك شيئاً ما. يجب أن نتذكر هذه الحقيقة إذا كنّا نريد أن نشارك حقاً في ثورة المحبة. من الحكمة دائماً أن تحسب التكلفة قبل أن تتعهد بأي نوع من الالتزام، وإلا فالمحتمل أنك لن تكمل ما بدأته.

عندما يعترض الله طريقك

كلما درست رجال ونساء الكتاب المقدس الذين نعتبرهم «عظماء»، رأيت أنهم كلهم قدموا تضحيات هائلة، ولم يكن هناك شيء مريح في ما طلب الله منهم أن يفعلوه.

اضطر إبراهيم أن يترك بلده وأقرباءه وبيته ويذهب إلى مكان لم يخبره

الله حتى باسمه إلى أن وصل إليه. ربما كان يظن أن الرحلة ستوصله إلى قصر ملوكي أو ما شابه ذلك، لكن بدلاً من ذلك، ظل يرتحل من مكان إلى مكان، ويعيش في خيام مؤقتة. وانتهى به الحال في مصر، في أرض قاسية وشديدة، في وسط مجاعة (تك ١٢ : ١٠). ومع أن ما ضحى به كان كبيراً، إلا أنه كان له امتياز أن يكون الرجل الذي عقد الله معه اتفاق العهد، ومن خلاله أصبح لكل عشائر الأرض الفرصة لنوال بركة الله (انظر تك ٢٢ : ١٨). يا له من أمر رائع!

أنقذ يوسف الأمة من المجاعة، لكن لم يحدث ذلك إلا بعد أن نقله الله بعنف من بيته المريح، حيث كان هو المفضل لدى أبيه، ووضعه في مكان غير مريح لسنوات كثيرة. وقد فعل الله هذا لكي يضع يوسف في المكان المناسب في الوقت المناسب، لكن يوسف لم يستطع أن يعرف هذا إلا بعد أن حدث. ونحن كثيراً ما لا نفهم لماذا نكون في المكان الذي نحن فيه، ونقول «يا رب، ما الذي أفعله هنا؟» أعرف أنني قلت هذا لله مرات كثيرة، ومع أنه لم يرد أن يجيب عليَّ في ذلك الوقت، أستطيع الآن أن أنظر للوراء وأدرك أن كل مكان وُجدت فيه، ساهم في ما أنا عليه اليوم.

أنقذت أستير اليهود من الهلاك، لكن الله بالتأكيد قاطع خطتها لكي يجعلها تنفذ خطته هو. كانت فتاة صغيرة لديها خطط لمستقبلها، وفجأة بدون سابق إنذار، طُلب منها أن تدخل جناح النساء الخاص بالملك وتنال نعمة لديه، حتى يمكنها أن تكشف خطة هامان الشرير الذي كان يريد أن يهلك اليهود.

طُلب منها أن تفعل أشياء تخاطر بحياتها، لكن عمها قال لها بحكمة «لأَنَّكِ إِنْ سَكَتِّ سُكُوتاً فِي هَذَا الْوَقْتِ يَكُونُ الْفَرَجُ وَالنَّجَاةُ لِلْيَهُودِ مِنْ

مَكَانٍ آخَرَ، وَأَمَّا أَنْتِ وَبَيْتُ أَبِيكِ فَتَبِيدُونَ. وَمَنْ يَعْلَمُ إِنْ كُنْتِ لِوَقْتٍ مِثْلِ هَذَا وَصَلْتِ إِلى الْمُلْكِ؟» (أس ٤ : ١٤).

لو لم تكن قد قدمت هذه التضحية، كان الله سيجد شخصاً آخر، لكن إنقاذ شعبها كان هو مصيرها. كان هو قصدها في الحياة. انتبه لئلا يفوتك قصدك في الحياة فقط لأنك لا تريد أن يعترض الله طريقك!

ويمكن أن تستمر قائمة الناس الذين دخلوا إلى الطاعة المضحية إلى ما لا نهاية. يقول عنهم الكتاب المقدس «وهم لم يكن العالم مستحقا لهم» (عب ١١ : ٣٨).

هؤلاء الناس الذين نقرأ عنهم اختبروا عدم الراحة لكي يسهلوا على شخص آخر حياته. مات يسوع حتى يمكننا نحن أن تكون لنا الحياة، وأن يكون لنا أفضل. الجنود يموتون حتى يمكن للمدنيين أن يظلوا في أمان في بيوتهم. الآباء يذهبون للعمل حتى تعيش عائلاتهم حياة جيدة، والأمهات يختبرن أوجاع الولادة لكي يقدمن حياة جديدة للعالم. واضح أنه لكي يحصل أي شخص على أي شيء، عادةً ما يكون هناك شخص آخر يجتاز الألم أو عدم الراحة.

هذا الفصل هام للغاية لأنه إذا كان الاشتراك في ثورة المحبة مجرد فكرة تمنحنا شعوراً طيباً، فسوف تغير فكرك بشأن الاشتراك فيها عندما تدرك أنك ستحتاج أن تفعل بعض الأشياء التي تفضل ألا تفعلها حتى يمكنك أن تسلك بالمحبة. قد تضطر إلى أن تحتمل شخصاً تفضل أن تبتعد عنه، لأن المحبة تحتمل إخفاقات وضعفات الآخرين. قد يكون عليك أن تبقى في مكان غير ممتع لك، فقط لأنك أنت النور الوحيد في الظلمة. قد يكون

عليك أن تترك مكاناً ما لأن الظروف المحيطة بك تغريك أن تخطئ. كان إبراهيم يعيش وسط عبدة الأوثان بما فيهم عائلته، لذلك لا عجب أن الله طلب منه أن يبتعد عن هذا المكان وعن هؤلاء الناس. أحياناً يضطر الله أن يفصلنا عن ما هو مألوف بالنسبة لنا لكي يُظهر لنا ما يريدنا أن نراه.

إذا اتخذت هذا القرار: ألا تمانع عدم الراحة أو اعتراض الله لطريقك، عندها يمكن لله أن يستخدمك .

إذا اتخذت هذا القرار: ألا تمانع عدم الراحة أو اعتراض الله لطريقك، عندها يمكن لله أن يستخدمك.

ويمكنك أن تصنع فرقا في العالم. لكن إن بقيت مدمناً لراحتك الخاصة، سوف يكون على الله أن يَعْبُر عنك ليبحث عن شخص له معدة أقوى تهضم الأمور القاسية في الحياة.

سدوم وعمورة

ربما سمعت عن سدوم وعمورة والشر المرعب الذي كان في هاتين المدينتين. لكن لماذا كان أهلهما يفعلون الشر في عيني الله؟ كثيراً ما نعتقد أن انحرافهم الجنسي هو ما أوصل لله أخيراً إلى هذا الغضب وجعله يهلكهم، لكن ما جعل الله يقاومهم ويهلكهم كان في الحقيقة موقفاً مختلفاً. لقد ذُهلت عندما رأيت الحق الكامن وراء هلاكهم، وقد اكتشفت هذا أثناء بحثي في الكلمة المقدسة عن الحاجة إلى إطعام الفقراء. «هَذَا كَانَ إِثْمَ أُخْتِكِ سَدُومَ: الْكِبْرِيَاءُ وَالشَّبَعُ مِنَ الْخُبْزِ وَسَلاَمُ الاطْمِئْنَانِ كَانَ لَهَا وَلِبَنَاتِهَا ،وَلَمْ تُشَدِّدْ يَدَ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ، وَتَكَبَّرْنَ وَعَمِلْنَ الرِّجْسَ

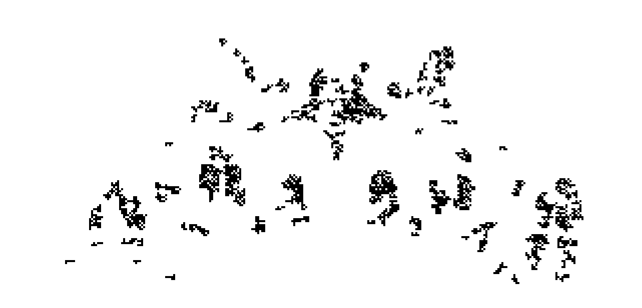
أَمَامِي فَنَزَعْتُهُنَّ كَمَا رَأَيْتُ». (حز١٦ : ٤٩-٥٠).

كانت مشكلة أهل سدوم وعمورة أنهم كان لهم الكثير جداً ولم يشاركوا المحتاجين به. كانوا عاطلين وبالغوا في حياة الراحة، مما أدى بهم إلى ارتكاب الأفعال المشينة. ويتضح لنا من هذا أن الخمول والراحة الزائدة ليسا مفيدين لنا، ويؤديان بنا إلى المزيد والمزيد من المتاعب. إن الفشل في المشاركة بما لدينا مع من يمتلكون أقل منا، ليس مفيداً لنا، بل إنه في الحقيقة خطر علينا، لأن هذا الأسلوب الأناني من الحياة يفتح الباب للشر أن يتقدم. وهذه الأمور لا تعتبر فقط غير صالحة لنا، بل إنها مُعادية لله أيضاً. فهو يتوقع منّا أن نكون قنوات يتدفق هو من خلالنا، ولا خزانات نحتفظ بكل شيء لدينا لأنفسنا.

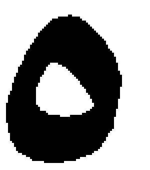
نحن نقدر كل وسائل الراحة المتاحة لنا اليوم، لكنني أعتقد بشكل ما أن إبليس يستخدم هذه الوسائل لكي يدمر أي استعداد لدينا لاختبار عدم الراحة لأجل طاعة الله ومساعدة المحتاجين. لقد أصبحنا مدمنين للسهولة، ونحتاج أن ننتبه جيداً، فأنا مثل معظم الناس أحب الأشياء اللطيفة المريحة. أنا أحب الراحة، لكنني أيضاً أجتهد ألا أشكو عندما لا أحصل على الأشياء بالطريقة التي أريدها. كما أني أدرك أن عدم الراحة هو في معظم الأوقات جزء من مساعدة الآخرين، وأنا أعرف أن الله قد دعاني لكي أساعد الآخرين، ولكي أفعل هذا بقلب سليم.

أنا لا أحب أن يقاطعني أحد أثناء الكتابة، فهذا أمر غير المريح بالنسبة لي، لأنه في هذه الحالة يكون عليَّ أن أجتهد للعودة إلى التيار الذي كنت أعمل فيه. منذ لحظات قليلة تعرضت لهذا الاختبار. رنّ جرس هاتفي، ورأيت أنها سيدة كنت أعرف أنها تحتاج إلى أن أستمع إليها ربما لبعض

الوقت وهي تتحدث عن زواجها المضطرب . بالطبع لم أكن أريد أن أتوقف ، لكني شعرت أنني يجب أن أفعل ذلك لأن هذه المرأة بالذات كانت امرأة مشهورة ، ولم يكن لديها من يمكنها أن تثق فيه وتحكي معه . عندما يكون هناك شخص مشهور في العالم ، فهذا لا يعني أنه لا يعاني من الوحدة . كانت وحيدة ، كانت امرأة معروفة دولياً وتعاني من مشكلة ، وأراد الله أن يعترض تيار كتابتي عن المحبة لكي يجعلني أمارسها عملياً ! ! فكّر في هذا .. الله يريدنا أن نمارس ما نقول أننا نؤمن به !



الفصل



المحبة تجد طريقاً

لن يسود الفشل عليَّ أبداً إذا كان إصراري على النجاح قوياً بالدرجة الكافية.

أوج ماندينو

الرغبة محفزقوي. واجهت أخيراً حقيقة أنني إذا كنت أريد حقاً أن أفعل شيئاً ما، فسوف أجد طريقة لفعله. كثيراً ما يسألني الناس كيف أفعل كل ما أفعله، وأقول ببساطة «لأني أريد أن أفعله». وأنا أدرك أن الله قد أعطاني نعمة ووضع رغبات في قلبي، لكن حقيقة أنني أريد أن أفعل أشياء معينة هي التي تحفزني أن أفعلها. أريد أن أفعل ما يريدني الله أن أفعله، أريد أن أسعد الناس وأريد أن أتمم خطته لحياتي، أو كما قال الرسول بولس «أريد أن أكمل السعي».

ربما تسأل: «ماذا لو لم تكن لديَّ الرغبة؟» من المؤكد أنك لديك الرغبة أن تفعل مشيئة الله وإلا لما كنت قد واصلت قراءة هذا الكتاب بعد أن قرأت الفصل الأول. إذا كانت لك علاقة بالله من خلال يسوع

المسيح، فأنت لديك رغبة لفعل الصلاح لأنه هو أعطاك قلبه وروحه. يقدم لنا حزقيال ١١ : ١٩ الوعد بهذا «وَأُعْطِيهِمْ قَلْباً وَاحِداً (قلباً جديداً)، وَأَجْعَلُ فِي دَاخِلِكُمْ رُوحاً جَدِيداً، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ (الذي تقسى) مِنْ لَحْمِهِمْ وَأُعْطِيهِمْ قَلْبَ لَحْمٍ (قلباً حساساً ومتجاوباً مع لمسة إلههم)». قد نكون كسولين أو سلبيين أو أنانيين ونحتاج إلى التعامل مع هذه الأمور في أوقات معينة، لكننا كمؤمنين من المستحيل أن يكون لنا قلب الله ولا نريد أن نطيعه ونساعد الناس.

أعتقد أن السؤال الصحيح هو: إلى أي مدى تريد ذلك؟ هل تريد أن تفعل مشيئته أكثر مما تريد أن تفعل مشيئتك؟ هل تريد ذلك بالدرجة التي تجعلك تضحي بأشياء أخرى لتحصل عليه؟

قابلت مؤخراً شاباً أخبرني بمدى تعاسته. واستمر يخبرني كيف أنه عرف أن الله يدعوه ليأتي إلى موضع أسمى، لكنه شعر أنه غير مستعد أن يقدم التضحية المطلوبة. شعرت بالحزن لأجله لأنني لا أريده أن يفقد الفرح الذي يمكن أن يجده في الوجه الآخر للتضحية. وأنا أصلي أن يغير رأيه.

إذا كنّا نريد حقاً أن نفعل شيئا ما، فسوف نجد طريقة نفعله بها. وما لم نعترف بهذا، سنقضي حياتنا كلها مخدوعين من أعذارنا بشأن السبب الذي يجعلنا لا نستطيع أن نفعل الأشياء. إن الأعذار في غاية الخطورة، وأنا أرى أنها أحد الأسباب الرئيسية التي تجعلنا لا نحقق التقدم الذي نرجوه. ربما تريد أن تمارس التدريبات الرياضية، لكنك تقدم عذراً للسبب الذي يجعلك لا تقوم بهذا. ربما تريد أن تقضي وقتاً أكثر مع أسرتك، لكنك لديك عذر لعدم فعل ذلك. ربما تدرك أنك تحتاج أن تعطي المزيد من نفسك لمساعدة الآخرين، وربما تريد أن تفعل ذلك، لكن توجد

دائماً أسباب (أعذار) تجعلك لا تفعل هذا عملياً. إبليس هو الذي يعطينا الأعذار، وما لم ندرك أن الأعذار تبقينا مخدوعين وغير طائعين، سوف نظل نعيش بدون فرح وبدون ثمر.

القريب الصالح

قال يسوع «تُحبُّ الرَّبَّ إلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ» (لو ١٠ : ٢٧). ثم قال للناموسي الذي كان يخاطبه إنه إذا فعل هذا سيحيا، مما يعني أنه سيتمتع بالحياة الفعالة المباركة التي لا نهاية لها في ملكوت الله. أراد الناموسي أن يبرئ نفسه من أي توبيخ فقال «وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟» أراد أن يعرف بالضبط من هم هؤلاء الناس الذين كان يفترض أن يظهر لهم المحبة، وأجابه يسوع بحكاية.

كان هناك رجل مسافر هاجمه اللصوص وأخذوا ما معه وضربوه. ثم تركوه بين الحياة والموت، ملقى على جانب الطريق. مر كاهن (رجل دين) ورأى الرجل المحتاج إلى المساعدة، فتجاوزه من على الجانب الآخر من الطريق. لا أعرف هل كان هذا الرجل يسير بالفعل على الجانب الآخر أو أنه عبر الطريق لكي لا يمكن للرجل المصاب حتى أن يراه فيطلب منه المساعدة، لكنه على أي حال حرص على ألا يضطر أن يسير بجوار الرجل المتألم. ثم أتى رجل دين آخر، وكان لاوياً، ومر أيضاً من على الجانب الآخر للطريق. ربما كان هذان الرجلان المتدينان يسرعان للوصول إلى الكنيسة ولم يكن لديهما وقت ليصنعا ما كانت الكنيسة في الحقيقة تعلمهما أن يصنعاه. يتجاوب المتدينون مع الاحتياجات عادة بكلمات دينية لكن بدون تقديم أية مساعدة عملية. أنا أعتقد أن هذه إحدى أكبر المشكلات التي نواجهها اليوم في المسيحية. نحن نفتخر بما يفترض أننا

«نعرفه»، لكن في حالات كثيرة لا نفعل الكثير بهذه المعرفة التي لدينا. نحن نتكلم كثيراً، لكننا لا نظهر، دائماً للناس ما يحتاجوا أن يروه – أي المحبة العاملة.

بعد أن ترك الرجلان هذا الشخص الذي كان في أمس الحاجة للمساعدة، أتى رجل سامري. لم يكن رجل دين. كان مسافراً في هذا الطريق، وعندما لاحظ الرجل المحتاج أشفق عليه وتحنن وذهب إليه وضمد جراحه. بعد هذا وضعه على حصانه، وأخذه إلى الفندق القريب، وأعطى لصاحب الفندق أجر يومين وأخبره أن يعتني بالرجل إلى أن يرجع، وعندئذ سوف يسدد المصروفات الإضافية. ثم سأل يسوع ذلك الناموسي مَن مِن الرجال الثلاثة أثبت أنه قريب (انظر لوقا ١٠ : ٢٧-٣٧)؟

يجذب انتباهي في هذه القصة عدة جوانب. أولاً كما ذكرت من قبل، فإن رجال الدين لم يفعلوا شيئاً. يجب أن نرفض ألا نفعل شيئاً! حتى إذا كان ما نستطيع فعله صغيراً، فيجب بكل الطرق أن نجد وسيلة لنفعل شيئاً لتسديد الاحتياجات التي يجذب الله انتباهنا إليها. أنا أعترف أن هناك مرات يكون فيها كل ما نستطيع عمله هو الصلاة أو ربما تقديم بعض التشجيع الشفهي، لكننا يجب على الأقل أن نكون جادين بالدرجة التي تجعلنا نبحث عن طريقة للمساعدة. يجب على الأقل أن نفكر في هذا الأمر وألا نفترض أننا لا يمكننا أن نفعل شيئاً، أو الأسوأ من ذلك أن نجد عذراً لكي لا نفعل شيئاً لأننا لا نريد التعرض للإزعاج.

الشيء الثاني الذي يدهشني في هذه القصة هو أن السامري كلف نفسه بعض العناء لكي يساعد الرجل. أتخيل أن رحلته قد تعطلت كثيراً. بالتأكيد كان ذاهباً إلى مكان ما يريد أن يذهب إليه لأنه ترك

الرجل المصاب فترة طويلة تكفي لأن يهتم بعمله ثم يرجع إليه. وقد استثمر الوقت والمال، وكان مستعداً أن يتحمل عدم الراحة لكي يعتني بشخص محتاج.

كما أرى أيضاً أن السامري لم يسمح لاحتياج طارئ أن يشتته عن قصده الأصلي. وهذا أيضاً مهم، لأن الناس أحياناً ينساقون بمشاعر الشفقة لدرجة أنهم لا يستطيعون التركيز على أهدافهم للمدة الكافية لتحقيقها. ابنتنا سارة تحب وتحب وتحب أن تساعد الناس، وهذا أمر حسن. لكن بالأمس فقط اتصلت بي وطلبت مني أن أصلي لأجلها لكي يكون عندها توازن ورؤية واضحة بشأن من الذين يجب أن تساعدهم، وإلى أي مدى. فهي أم لابنتين توأم يجب أن تهتم بهما، وهي تدرِّس لمجموعة من المهتمين بالتربية في كنيستها، كما أن لديها أيضاً بعض الالتزامات التي تشعر أنها تحتاج أن تكون أمينة تجاهها، ومع ذلك تظل تسمع عن الاحتياجات وتريد دائماً أن تساعد! كثيراً ما تنخرط في المساعدة بدون حتى أن تفكر ملياً في ماذا سيعني ذلك أو كيف يمكنها أن تمد يد المساعدة بدون أن تهمل أولوياتها الأخرى. والنتيجة هي أنها أحياناً نتيجة رغبتها الصالحة أن تساعد الآخرين، تجد نفسها محبطة وتشعر بالارتباك، وهذه ليست مشيئة الله على الإطلاق.

شجعت سارة على أن تفعل ما فعله السامري في قصة يسوع، وأريد أن أشجعك أنت أيضاً أن تفعل كذلك. كن مستعداً أن تغير خططك وتتحمل عدم الراحة، وكن مستعداً أن تعطي بعضاً من وقتك ومالك إذا لزم الأمر لكي تساعد في تسديد الاحتياج. لكن لا تحاول أن تفعل كل شيء بنفسك عندما يكون هناك آخرون يمكنهم أن يساعدوا أيضاً، فقد

استعان السامري بصاحب الفندق ليساعده في تسديد الاحتياج حتى يمكنه أن يظل مركزاً على الشيء الذي كان في طريقه أن يفعله.

يبدو أن الشيطان لا يهمه على أي جانب من الطريق نقف طالما لم نكن في وسط الطريق. أي أن الناس إما أنهم لا يفعلون أي شيء أو يحاولون أن يفعلوا كل شيء وعندها يصابون بالإحباط، وفي النهاية يشعرون بالتعرض للاستغلال. كل جانب من حياتنا يتطلب التوازن، حتى منطقة مساعدة الآخرين. لقد تعلمت بالطريقة الصعبة أنني لا يمكنني أن أفعل كل شيء وفي الوقت نفسه أفعل أي شيء منها جيداً، وهذا صحيح بالنسبة لنا جميعاً. لكنني لا يمكنني أن أسمح لخوفي من زيادة الانخراط في المساعدة أن يمنعني من الاشتراك على الإطلاق.

كما أرى أيضاً أن السامري لم يضع حدوداً للتكلفة التي سيكون مستعداً أن يتحملها لسداد هذا الاحتياج، فقد قال لصاحب الفندق إنه سوف يعطيه تكلفة رعاية ذلك الرجل المصاب أياً كانت عندما يرجع. نادراً ما نرى شخصاً مستعداً أن يفعل أي شيء يلزم فعله!

وكما قلت من قبل فإننا أحياناً يكون علينا أن نضع حدوداً لكي نحمي أولوياتنا الأخرى، لكن في هذه الحالة واضح أن الرجل كان لديه أموال كثيرة، لذلك لم يحتج أن يضع قيوداً عليها. فتصرف من منطلق السخاء، وليس من منطلق الخوف. ربما لا يطلب الله من أي منا أن يفعل كل ما يلزم لحل مشكلة ما أو تسديد احتياج ما، لكنه يريد أن يفعل كل واحد منا ما يستطيع فعله. وإذا طلب الله منا أن نفعل كل شيء، فيجب علينا عندئذ أن نفعل كل شيء! إن تقديم كل ما لدينا يعتبر تحدياً لإيماننا وتمديداً لنا لمستويات جديدة، لكنه أيضاً يعطينا حرية معرفة أنه لا يوجد

شيء في العالم له سلطة علينا.

أتذكر وقتاً طلب فيه الله مني أن أقدم كل ما ادخرته من أموالي الخاصة بما في ذلك بطاقات مشتريات كنت قد تلقيتها كهدايا. كان هذا المستوى الجديد من التضحية بالكل قاسياً لأنني كنت أدخر الأموال منذ فترة طويلة، وكنت أنوي أن أذهب للتسوق في الوقت المناسب. والغريب في الأمر أن بطاقات المشتريات كانت هي الأصعب، فقد كنت أمتلك بطاقات جيدة جداً جاءتني في عيد ميلادي، وكنت أستمتع بمعرفة أنها متاحة لي لأستخدمها وقتما أردت. كنت معتادة على العطاء، لكن عطاء كل ما أملك كان مستوى جديداً. وبعد وقت من الجدال مع الله وتقديم كل الأعذار التي يمكن أن أفكر فيها، أطعت أخيراً. كان ألم التخلي عن ممتلكاتي ألماً وقتياً، لكن فرح الطاعة ومعرفة أن الممتلكات ليست لها سلطة عليَّ كان أبدياً.

كانت هذه هي أول مرة أجتاز فيها امتحاناً بهذه الطريقة، لكنها لم تكن الأخيرة. إن الله يختار أوقاتاً للامتحان، وهي ضرورية لمنفعتنا، فهي تحفظنا من أن نتعلق أكثر من اللازم بالأشياء. الله يريدنا أن نستمتع بما يعطيه لنا، لكنه أيضاً يريدنا أن نتذكر أننا وكلاء، ولسنا مالكين. هو السيد، ووظيفتنا هي أن نخدمه بفرح بكل قلوبنا وكل المصادر التي لدينا.

من هو قريبي؟

من الذي يجب أن تساعده؟ ومن هو قريبك؟ إنه أي شخص يأتي في طريقك ولديه احتياج. قد يكون شخصاً يحتاج أن تصغي إليه، أو ربما يكون شخصاً يحتاج إلى تشجيع أو مدح. يمكن أن يكون شخصاً

يحتاج القليل من وقتك أو ربما يكون شخصاً يمكنك أن تسدد أو تساعد في تسديد احتياج مالي لديه. ربما يكون قريبك شخصاً يشعر بالوحدة ويحتاج فقط إلى مودتك له.

أخبرني ديف مؤخراً أن الله كان يتعامل معه لكي يخصص بعض الوقت للتعامل بمودة مع الآخرين. كنت دائماً أرى أنه ودود جداً، لكنه شعر أن الله يريده أن يصرف وقتاً أكثر في هذا الأمر، فأصبح يسأل الناس كل أنواع الأسئلة عن أنفسهم لكي يظهر لهم أنه يهتم بهم كأفراد. كثيرون من الذين يقضي وقتاً معهم لا يعرفهم على الإطلاق، وربما لن يراهم مرة أخرى. أحياناً يكونون كباراً في السن أو أشخاصاً من بلد أخرى لا يتحدثون الإنجليزية جيداً وربما يشعرون بالغربة إلى حد ما. وقد حكى لي مؤخراً عن رجل معاق كان الآخرون يحدقون فيه في الكافيتريا. قضى ديف وقتاً في الحديث مع هذا الرجل، بالرغم من أن إعاقته جعلت فهم كلامه أمراً صعباً.

كثيراً ما نتجنب الناس الذين يختلفون عما نحن عليه بشكل ما، لأن هذا يجعلنا نشعر بعدم الراحة أو العجز. ربما يجب أن نفكر أكثر في كيف يشعرون وليس في ما هو مريح بالنسبة لنا.

إن قائمة الأشياء التي يمكن بها أن نكون أقرباء صالحين لمن حولنا لا تنتهي، لكن إذا كنا نريد حقاً أن نساعد الناس ونكون بركة، سوف نجد طريقة لهذا. تذكر أن اللامبالاة تختلق الأعذار، لكن المحبة تجد طريقاً.

أشياء صغيرة لها تأثير كبير

لم يكن يسوع يهدر وقته، لذلك يمكننا أن نستنتج أن كل شيء فعله

كان له معنى وكان يحوي درساً عظيماً يجب أن نتعلمه. دعونا نفكر في الوقت الذي قرر فيه أن يغسل أرجل تلاميذه (انظر يوحنا ١٣ : ١-١٧). ماذا كان المغزى من كل هذا؟ كانت لديه عدة دروس أراد أن يعلمها للتلاميذ، أحدها هو ضرورة خدمة بعضنا البعض. يسوع هو ابن الله، هو الله المعلن في الأقنوم الثاني من الثالوث. لذا يكفي أن نقول إنه شخص مهم للغاية، وبالتأكيد لم يكن عليه أن يغسل رجل أي شخص، خاصة من كانوا تلاميذه. لكنه فعل ذلك لأنه أراد أن يعلمهم أنهم يمكن أن يكونوا في موضع سلطان وفي الوقت نفسه يكونون خداماً. كثيرون اليوم لا يستطيعون أن يتعلموا هذا الدرس الهام.

في أيام يسوع، كانت أرجل الناس قذرة إلى حد كبير. كان الناس يسافرون في طرق قذرة ويرتدون أحذية ما هي إلا بضعة أشرطة متصلة بنعل. وكانت عادة تلك الأيام هي غسل أرجل الضيوف عندما يدخلون بيتاً، لكن الخدام هم الذين كانوا يؤدون هذه الوظيفة، وليس رب البيت. خلع يسوع رداءه وارتدى منشفة الخادم، وكانت هذه إشارة أخرى قصد منها أن يعلمهم درساً. أراد أن يوضح أننا يمكننا أن نخلع عنا «مكانتنا» في الحياة لفترة تكفي أن نخدم فيها شخصاً آخر بدون أن نخاف من أن نفقدها.

رفض بطرس ـ المتحدث الأكبر وسط التلاميذ ـ بشدة أن يسمح ليسوع أن يغسل رجليه، لكن يسوع قال إنه إذا لم يغسل رجلي بطرس، فلن يكون الاثنان صديقين حقيقيين. أي أنهما يجب أن يفعلا أشياء أحدهما للآخر لكي تكون علاقتهما سليمة وقوية. كم من الزيجات كان يمكن إنقاذها أو على الأقل تحسينها بشكل كبير لو أن الزوجين طبّقا هذا المبدأ!

منذ سنوات قليلة قررت أنني لن أرضى بأن تكون لي أية علاقة من جانب واحد بعد الآن - تلك العلاقة التي أقوم فيها بكل العطاء ويقوم الطرف الآخر بكل الأخذ. هذا النوع من التعامل لا يعتبر علاقة حقيقية، لكنه في النهاية دائماً ما يؤدي إلى الاستياء والمرارة. إن مسألة فعل الأشياء بعضنا لبعض ليست ضرورة فحسب، بل إنها أيضاً احتياج. وهذا جزء من الحفاظ على العلاقات الجيدة.

إن مسألة فعل الأشياء بعضنا لبعض ليست ضرورة فحسب،
بل إنها أيضاً احتياج.

نحن نفعل الكثير لأجل أولادنا، لكنهم هم أيضاً يفعلون أشياء لأجلنا. ما يفعلونه قد يكون شيئاً يمكننا أن نفعله بأنفسنا بسهولة، لكنهم يحتاجون أن يعطونا كما يأخذون منا، ونحن نحتاج منهم أن يفعلوا ذلك.

العطاء لا يجب أن يكون دائماً استجابة لاحتياج شديد. قد ننقاد إلى أن نفعل شيئاً للناس الذين لا يبدو أنهم يحتاجون إلى ما يمكننا أن نفعله لهم على الإطلاق. حسناً، إذا لم يكن هناك احتياج، فلماذا نفعل ذلك إذاً؟ ببساطة لأن العطاء من أي نوع يشجع الناس ويجعلهم يشعرون أنهم محبوبون، وكلنا نحتاج إلى الشعور بأننا محبوبون، بغض النظر عن كمية «الأشياء» التي نمتلكها. استخدم المصادر التي لديك لتكون بركة، ولن تنفذ مصادرك أبداً.

أشياء صغيرة تعني الكثير

اصطحبنا فريق «ديليريوس» إلى الهند في رحلة تبشيرية، وتلقى «ستو»، عازف الدرامز في ذلك الوقت، هدية عبارة عن شريط جلدي صغير من فتاة فقيرة كانت ترتديه كسوار في يدها. كانت لفتة المحبة الصغيرة هذه من فتاة لا تمتلك سوى القليل جداً، أمراً غيَّر حياة ستو. فقد قال على الملأ إنه طوال حياته لن ينسى أبداً الدرس الذي تعلمه من هذا. إذا كان هناك شخص لا يمتلك سوى القليل جداً ومع ذلك كان مستعداً أن يعطي، فماذا يمكنه هو أن يفعل؟ نعم، الأشياء الصغيرة يمكن أن يكون لها تأثير هائل.

ما هي الأشياء الصغيرة التي يمكنك أن تفعلها؟ غسل يسوع أرجل التلاميذ وقال إننا سننال البركة ونصير سعداء إذا اتبعنا مثاله. فيما يلي قائمة على سبيل المثال لا الحصر لبعض الأشياء التي يقول الكتاب المقدس إننا يمكن بل ويجب أن نفعلها بعضنا لبعض:

- أن نسهر بعضنا على بعض.
- أن نصلي بعضنا لأجل بعض.
- أن نحرص أن نكون بركة.
- أن نبحث عن أفعال اللطف التي يمكن أن نظهرها للآخرين.
- أن نتعامل بالمودة ونضيف الغرباء.
- أن نصبر بعضنا على بعض.
- أن نحتمل أخطاء الآخرين وضعفاتهم.
- أن نبرئ الآخرين.
- أن نسامح بعضنا البعض.

- أن نعزي بعضنا البعض.
- أن نكون أمناء.
- أن نكون أوفياء.
- أن نبني بعضنا البعض – أي أن نشجع الآخرين، ونذكِّرهم بنقاط قوتهم عندما يشعرون بالضعف.
- أن نفرح لأجل الآخرين عندما يباركهم الله.
- أن نقدم بعضنا البعض (أي أن نسمح لشخص ما أن يتقدمنا أو نعطيه أفضل ما في شيء ما).
- أن نراعي بعضنا البعض.
- أن نحفظ أسرار الناس ولا نفضح أخطاءهم.
- أن نرى الصالح في بعضنا البعض.

هذه القائمة كما قلت هي مجرد أمثلة، فالمحبة لها وجوه كثيرة أو طرق كثيرة يمكننا أن نراها بها. وسوف نناقش بعضها لاحقاً في هذا الكتاب. والأفكار التي سردتها هنا هي أشياء بسيطة نسبياً يمكننا كلنا أن نفعلها إذا أردنا ذلك. معظم هذه الأفكار لا تستلزم منا خططاً خاصة ، لكننا يمكن أن نفعلها أثناء اليوم كلما واتتنا الفرص لذلك.

فَإِذاً حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَلاَ سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ.
(غلاطية ٦: ١٠)

المحبة يجب أن تعبر عن نفسها

كثيراً ما نفكر في المحبة على أنها شيء، لكن المحبة أيضاً فعل. يجب أن تفعل المحبة شيئاً لكي تظهر على حقيقتها. وجزء من طبيعة المحبة هي

أنها تستلزم التعبير عنها. يسألنا الكتاب المقدس كيف يمكن لمحبة الله أن تحيا فينا وتثبت فينا إذا كنا نرى احتياجاً ونغلق قلوبنا وعواطفنا عنه (انظر ١يوحنا ٣ : ١٧)؟ سوف تضعف المحبة وتزداد ضعفاً إذا لم يمكن إظهارها. في الحقيقة، قد تصير غير فعالة بالمرة. إذا بقينا فاعلين عن عمد وقمنا بعمل الأشياء للآخرين، يمكننا أن نحمي أنفسنا من الأنانية والخمول وعدم الإثمار. إن أعظم فعل للمحبة هو أن يسوع وضع نفسه لأجلنا، ونحن يجب علينا أن نضع نفوسنا لأجل بعضنا البعض. يبدو هذا مبالغاً فيه، أليس كذلك؟ لحسن الحظ أن الغالبية العظمى منا لن يدعوهم الله أبداً لأن يقدموا حياتهم الجسدية لأجل شخص آخر، لكننا لدينا فرص كل يوم «نضع» فيها أنفسنا لأجل الآخرين. كل مرة تتخلى فيها عن رغبة أو احتياج لديك وتستبدله بفعل محبة لأجل شخص آخر، أنت بذلك تضع نفسك للحظة أو ساعة أو يوم.

إذا امتلأنا من محبة الله، ونحن كذلك لأن الروح القدس يملأ قلوبنا بالمحبة في الميلاد الجديد، فيجب علينا أن نسمح للمحبة أن تتدفق منّا. إذا أصبحت المحبة راكدة بسبب الخمول، فلن تصلح لشيء. لقد أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد (انظر يوحنا ٣ : ١٦). هل فهمت هذا؟ إن محبة الله دفعته أن يعطي! إذا قلنا إننا نحب الناس ولم نفعل لهم شيئاً، فهذه المحبة لا قيمة لها. ضع لافتة كبيرة على منزلك، أو ربما في عدة مواضع، تسألك «ما الذي فعلته اليوم لأساعد شخصاً ما؟» سيساعدك هذا أن تتذكر هدفك وأن تنمي عادات جديدة وتصبح ثائراً بالمحبة.

المحبة مرتبطة بالفعل، فهي ليست نظرية أو مجرد كلمات. الكلمات مهمة ويمكننا أن نستخدمها فعلياً كطريقة نحب بها الناس، لكننا يجب أن

نستخدم كل الوسائل الممكنة للاستمرار في إظهار المحبة بعضنا لبعض.

ما الذي يمكننا عمله اليوم لنظهر المحبة لشخص ما؟ اصرف وقتاً في التفكير في هذا الأمر، وضع خطة. لا تعش يومك بدون أن تزيد من فرح شخص آخر.

الفصل

٦

اغلب الشر بالخير

كل ما يلزم لكي ينتصر الشر هو ألا يفعل الصالحون شيئاً.

إدموند بيرك

عدم فعل أي شيء هو أمر سهل، لكنه أيضاً في غاية الخطورة، لأنه حيث لا توجد مقاومة للشر، يتضاعف الشر. كثيراً ما نسقط كلنا في فخ التذمر من الأشياء الخطأ في مجتمعنا وحياتنا، لكن التذمر لا يفعل شيئاً سوى إصابتنا بالإحباط أكثر وأكثر. فهو لا يغير شيئاً، لأنه لا توجد بداخله قوة إيجابية.

تخيل كم الفوضى الذي سيحدث في العالم إذا كان كل ما يفعله الله هو التذمر من كل شيء فسد منذ أن خلقه. لكن الله لا يتذمر، بل يظل صالحاً وعادلاً، وهو يعلم أنه يمكن أن يغلب الشر بالخير! الشر قوي بلا شك، لكن الخير أقوى.

يجب أن نكف وندرك أن الله يعمل من خلال شعبه. نعم، الله صالح في كل وقت، لكنه اختار أن يعمل على هذه الأرض من خلال أولاده – أنت وأنا. ومما يدعو للاتضاع أن ندرك أنه كان يمكن أن يفعل أكثر من ذلك بكثير لو أننا كنّا مكرسين للمحبة وفعل الخير طوال الوقت. لابد أن نتذكر وصية يسوع في متى ٥ : ١٦ « فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ».

الخير قوي

كلما زاد تجاوبنا مع الشر بالشر، زاد الشر. أتذكر فيلماً اسمه «إيل سيد» يحكي قصة الرجل الذي وحَّد إسبانيا وأصبح بطلاً عظيماً باستخدام المبدأ الذي أتحدث عنه. ظل المسيحيون لقرون عديدة يحاربون المغاربة، كانوا يبغضون ويقتلون أحدهم الآخر. في المعركة أمسك إيل سيد بخمسة من المغاربة، لكنه رفض أن يقتلهم، لأنه أدرك أن القتل لم يكن ذا فائدة أبداً. كان يؤمن أن إظهار الرحمة لأعدائه سوف يغير قلوبهم، وعندها يمكن للمجموعتين أن تعيشا في سلام. ومع أنه في البداية اعتُبر خائناً بسبب أفعاله، إلا أن هذه الأفعال في النهاية أثبتت نجاحها، وقد تم تكريمه كبطل.

قال أحد المغاربة الذين أمسك بهم: «أي شخص يمكنه أن يقتل، لكن الملك الحقيقي فقط هو الذي يستطيع أن يظهر الرحمة لأعدائه». وبسبب فعل الرحمة هذا، أصبح أعداء إيل سيد من ذلك الوقت فصاعداً أصدقاء وحلفاء له. يسوع ملك حقيقي، وهو ملك صالح ومحب ورحيم للكل. ألا يجدر بنا أن نتبع مثاله؟

الآن هل يمكنك أن تفكر في أي شخص يمكنك أن تظهر له الرحمة؟ هل هناك شخص أساء معاملتك ويمكنك أن تفعل الخير له؟ إن الرحمة والخير، خاصة لأعدائك، قد يكونان من أقوى الأشياء التي يمكن أن تفعلها في حياتك.

الصلاة تنجح

في السنوات الماضية، رأينا الشر يتزايد بسرعة من خلال الأمور الشريرة التي تعرض في التليفزيون وتُصوَّر في الأفلام. وقد ذهلت منذ عدة سنوات عندما بدأ الوسطاء الروحيون في عرض برامج على شاشة التليفزيون. وكانوا يعرضون أن يخبروا الناس بمستقبلهم مقابل أجر. أي شخص مستعد أن يدفع عدة دولارات في الدقيقة يمكنه أن يتصل ويحصل على ما يسمونه «قراءة المستقبل». كثيراً ما كنت أشكو من هذا الأمر، وأقول تعليقات مثل: «أعتقد أن السماح بمثل هذه الأشياء في التليفزيون هو أمر رهيب. كثيرون جداً يضيعون نقودهم وينخدعون». وسمعت آخرين كثيرين يقولون نفس الشيء. وفي أحد الأيام ألقى الله بهذه الفكرة في قلبي «لو كنت أنت وغيرك ممن يشكون قد صرفتم هذا الوقت في الصلاة بخصوص الوسطاء الروحيين، كنت استطعت بالفعل أن أفعل شيئاً حيال هذا الأمر». وبدأت أصلي وأطلب من الآخرين أن يفعلوا الشيء ذاته، ولم يمض وقت طويل حتى انكشف دجل وخداع هذا النوع من البرامج وتم حذف معظمها، إن لم يكن كلها، من البث التليفزيوني.

كثيراً ما نميل إلى التذمر مما «يفعلونه»، تماماً كما فعلت عندما «بدأوا» يبثون برامج الوسطاء الروحيين في التليفزيون، ولكننا لا نفعل شيئاً لتحسين الموقف. الصلاة أمر صالح له القدرة على الانتصار على الشر،

لذلك يجب أن نصلي بخصوص أي شيء نجد أننا نريد أن نتذمر عليه. الله يعتبر الشكوى والتذمر أمراً رديئاً، لكن الصلوات المليئة بالإيمان قوية وفعالة. الصلاة تفتح الباب لله لكي يعمل ويفعل خيراً.

التجاوب الصحيح تجاه الشر

أثناء محاولة بني إسرائيل أن يجتازوا البرية لكي يصلوا إلى أرض الموعد، واجهوا تجارب وصعوبات، وتجاوبوا معها بالشكوى والتذمر والدمدمة. كانوا منغمسين في الشر بكل أنواعه، وكانت واحدة من خطاياهم هي التذمر، فقد سمحت هذه الخطية للمهلك أن يدخل إلى حياتهم وكثيرون منهم ماتوا (انظر ١كو ١٠ : ٨-١١). لو كانوا قد تجاوبوا مع التجارب بالبقاء شاكرين لله وعابدين ومسبحين له، وظلوا يعملون الخير بعضهم نحو بعض، أعتقد أنهم كانوا سيجتازون البرية في وقت أقل بكثير. لكن بدلاً من ذلك، سقط معظمهم في أطراف الصحراء ولم يبلغوا مقصدهم أبداً. وأنا أتساءل كم من المرات التي لا نرى فيها أبداً النتائج الجيدة التي نرجوها ويكون السبب هو أننا نتجاوب مع الأمور الشريرة التي تحدث بالتذمر بدلاً من أن نتجاوب معها بالصلاة والتسبيح والشكر والاستمرار في مساعدة الآخرين المحتاجين؟

الإيمان والمحبة

لسنوات كثيرة جداً جداً كانت النسبة الأكبر من التعاليم التي سمعتها في الكنيسة والمؤتمرات هي عن الإيمان، والكتب التي قرأتها كانت عن الإيمان. يبدو أن الموضوع الرئيسي للتعليم في العالم المسيحي كله هو «ثق

بالله وكل شيء سيكون على ما يرام».

بدون إيمان لا يمكننا أن نرضي الله (انظر عب ١١ : ٦)، ولذلك فنحن بكل تأكيد لابد أن نضع إيماننا فيه وأن نثق فيه، لكن هناك شيئاً آخر في كلمة الله أرى أنه يكمل الصورة التي نحتاج أن نراها. وسوف أشاركك بهذا، لكن اسمح لي أولاً أن أخبرك ببعض اختباراتي في السنوات الأولى لرحلتي مع الله.

قبلت يسوع مخلصاً لي في عمر التاسعة، لكنني لم أفهم ما لي فيه أو كيف يمكن للعلاقة معه أن تغير حياتي، لأنني لم يكن لي «تعليم مستمر» في الأمور الروحية. كان البيت الذي نشأت فيه غير سوي، وهذا أقل ما يقال عنه. كان والدي مدمناً للكحوليات، وكان يخون والدتي مع نساء كثيرات، كما أنه كان يسيء إليَّ جنسياً بصفة منتظمة. وتستمر القائمة وتستمر، لكنني متأكدة أنك تفهم الصورة جيداً.

لننتقل بعد ذلك إلى حياتي في عمر الثالثة والعشرين، تزوجت من ديف وبدأت أذهب معه للكنيسة. كنت أحب الله وأريد أن أتعلم، لذلك التحقت بفصول سمحت لي في النهاية أن أتثبت في العقيدة، وبدأت أذهب للكنيسة بانتظام. تعلمت عن محبة الله ونعمته، كما تعلمت أيضاً الكثير من التعاليم الكنسية التي كانت مهمة لتأسيس إيماني.

في عمر الثانية والثلاثين وجدت نفسي محبطة لأن مسيحيتي بدت أنها لا تساعدني في حياتي العملية اليومية. كنت أؤمن أنني سأذهب إلى السماء عندما أموت، لكني كنت أحتاج إلى المساعدة لأحيا كل يوم على الأرض في سلام وفرح. كانت نفسي مليئة بالألم من الإساءة التي تعرضت

لها في طفولتي، وكنت أظهر هذا الألم يومياً في اتجاهاتي وعدم قدرتي على الحفاظ على علاقات سليمة.

تخبرنا كلمة الله أننا إذا طلبناه باجتهاد سوف نجده (انظر أم ٨ : ١٧). بدأت أطلب الله بنفسي ليعرفني ما الذي لم أكن أفهمه، وكانت لي مقابلة معه قربتني منه أكثر. فجأة بدا حاضراً جداً في حياتي اليومية، وبدأت أدرس باجتهاد لكي أعرفه بشكل أفضل. بدا الأمر وكأنني أينما توجهت كنت أسمع عن الإيمان. تعلمت أنني يمكنني أن أطبق إيماني في ظروف كثيرة، مما فتح الباب لله أن يتدخل ويساعدني.

كنت أؤمن بكل قلبي أن المبادئ التي كنت أتعلمها صحيحة، لكني كنت لم أزل أعاني من إحباط هائل لأنني كنت لا أستطيع تفعيل هذه المبادئ في حياتي، على الأقل ليس للدرجة التي كنت أحتاجها بشدة. في ذلك الوقت كان الله يستخدمني في الخدمة، وكانت خدمتي للآخرين كبيرة إلى حد ما. وكنت قد حققت تقدماً هائلاً، لكنني كنت أشعر في أعماقي بأن هناك شيئا مفقوداً، لذلك بدأت مرة أخرى أطلب الله بجدية. ومن خلال بحثي ودراستي المتعمقة تعلمت أنني كنت مفتقدة إلى الدرس الرئيسي الذي أتى يسوع ليعلمنا إياه: أن نحب الله، ونحب أنفسنا، ونحب الآخرين (انظرمت ٢٢ : ٣٦-٣٩). لقد تعلمت الكثير عن الإيمان في مسيرتي مع الله، لكنني لم أتعلم عن قوة المحبة.

اتكل على الرب وافعل الخير

خلال السنوات العديدة لرحلتي في التعلم عن هذا الموضوع الرائع، أدركت أن الإيمان يعمل فقط من خلال المحبة. وبحسب غلاطية ٥ : ٦ فإن

الإيمان في الواقع يتفعل وينشط ويتم التعبير عنه في المحبة.

قادني الروح القدس إلى أن أدرس مزمور ٣٧ : ٣ «اتكل (ثق واعتمد واستند) على الرب وافعل الخير». ذُهلت عندما أدركت أنني كان عندي فقط نصف ما أحتاج أن أعرفه لأتواصل بشكل صحيح مع الله. كان لديَّ جزء الإيمان (الاتكال)، ولكن لم يكن لديَّ جزء «فعل الخير». كنت أريد أن يحدث لي الخير، ولكني لم أهتم كثيراً بفعل الخير للآخرين، خاصة عندما كنت أشعر بالألم أو أجتاز في أوقات امتحانات شخصية.

فتح مزمور ٣٧ : ٣ عيني لأرى أنني كنت أتكل على الله، لكنني لم أكن أركزعلى فعل الخير، وأدركت أنني لم أكن الوحيدة التي تفتقر إلى هذه المنطقة، بل أن معظم المسيحيين الذين كنت أعرفهم كانوا يعانون من نفس الحالة. كلنا كنا منشغلين «بالإيمان» بالله للحصول على الأشياء التي نريدها. كنّا نصلي معاً ونطلق إيماننا من خلال صلاة الاتفاق، لكننا لم نتقابل معاً ونناقش ما يمكننا فعله للآخرين أثناء انتظارنا لتسديد احتياجاتنا. كان لنا الإيمان، لكنه لم يكن عاملاً بالمحبة!

لا أريد الأمر أن يبدو وكأنني كنت غارقة في نفسي، لأن الحال لم يكن هكذا. كنت أعمل في الخدمة وكنت أريد أن أساعد الناس، لكن مع رغبتي في المساعدة كانت هناك دوافع كثيرة غير نقية. كان الوجود في الخدمة يمنحني شعوراً بالقيمة الذاتية والأهمية. كان يعطيني مكانة وقدراً معيناً من النفوذ، لكن الله كان يريدني أن أفعل كل شيء كنت أفعله بدوافع نقية، ولازال أمامي الكثير لأتعلمه. كانت هناك أوقات قمت فيها بأفعال محبة لأساعد الناس، لكن مساعدة الناس لم تكن هي المحفز الأول لي. كان يجب أن أكون أكثر إصراراً وتعمداً في محبة الآخرين، كان لابد أن

تكون هذه المحبة هي الشيء الأساسي في حياتي، وليست نشاطاً جانبياً.

اسأل نفسك ما الذي يحفزك أكثر من أي شيء آخر، وأجب بأمانة. هل هو المحبة؟ إذا لم يكن كذلك، هل تنوي أن تغير تركيزك لينصب على ما هو مهم لله؟

أصلي بكل قلبي أن يجعل الله هذه الكلمات تقفزمن هذه الصفحة إلى قلبك. لقد كان تعلم الحق عن قوة المحبة أمراً غيّر حياتي، ولذلك أريد أن يعرفه كل إنسان. أنا لا أقول إنك لا تعرف، لأنك في الحقيقة قد تعرف عن محبة الآخرين أكثر مني. لكن لئلا تكون لا تعرف، أصلي أن يكون ما أشاركك به لهيباً يشعل النار فيك ويشجعك أن تشترك في ثورة المحبة التي أؤمن أن لها القدرة على تغيير العالم!

حرض نفسك والآخرين

تخيل كم سيختلف العالم إذا قام كل من يقول منّا إنه يعرف المسيح بعمل محبة واحد لشخص آخر كل يوم. سوف تكون النتائج مذهلة. تخيل الآن ماذا سيحدث لو أننا كلنا وضعنا هدفاً أن نقوم بعمل شيئين بمحبة ولطف وفائدة لشخص آخر كل يوم. أنا متأكدة أنك فهمت ما أقصده. سوف تكون النتائج مدهشة. سوف يتغير العالم بسرعة، لأننا نستطيع حقاً أن نغلب الشر بالخيرإذا تعهدنا كلنا أن نعيش بالطريقة التي يريدنا يسوع أن نعيش بها.

قد تسأل وتقول «لن يحدث هذا أبداً، فلماذا نحاول إذاً؟» لا تسمح لنفسك أن تنهزم بالتفكير السلبي قبل حتى أن تبدأ. لقد قررت بالفعل أنني سأقوم بدوري وأصلي لأجل الآخرين لكي يقوموا بدورهم. كما أنني

سأتحدث إلى آخرين وأشجعهم أن يفعلوا ما باستطاعتهم لأجل غيرهم. سوف يكون رائعاً إذا تركزت الكثير من محادثاتنا حول الطرق التي يمكننا بها أن نساعد الآخرين، والأفكار الإبداعية الخاصة بالأشياء التي يمكن فعلها لهم.

لي ثلاث صديقات يسبحن في هذا الأسلوب الرائع للحياة، وعندما نتقابل لتناول الغداء أو احتساء القهوة معاً، غالباً ما نستخدم وقتنا في الحديث عن الأشياء التي وضع الله على قلوبنا أن نفعلها للآخرين أو الطرق الإبداعية الجديدة التي يمكننا بها أن نكون بركة. وأنا أرى أن محادثات مثل هذه تسر الله جداً، وهي بالتأكيد أفضل من الجلوس والتذمر على كل شيء خطأ يجري في العالم. أريد أن أشجعك أن يكون لك دور قيادي في ثورة المحبة. اعمل قائمة بأشخاص تعرفهم، وقدم لهم الدعوة لجلسة تخطيط حول الطرق العملية لتسديد الاحتياجات. شاركهم بمبادئ هذا الكتاب، وابحث عن هدف. ابحث عن أشخاص يحتاجون إلى المساعدة، وابذلوا جهداً جماعياً لمساعدة هؤلاء الأشخاص.

إن فكرة تشجيع الآخرين أن يصمموا على فعل أعمال خير ليست فكرة جديدة، فقد تحدث كاتب الرسالة إلى العبرانيين عنها حين قال: «وَلْنُلاَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضاً لِلتَّحْرِيضِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ» (عب ١٠ : ٢٤).

أرجو أن تلاحظ أن هذه الآية تقول إننا يجب أن نهتم باستمرار أن نلاحظ بعضنا بعضاً، وأن ندرس ونفكر كيف يمكننا أن نحرض الآخرين للقيام بأعمال حسنة وأفعال محبة ومساعدة. وهو يشجع من يكتب إليهم الرسالة أن يفعلوا نفس الشيء الذي أشجعكم أن تفعلوه اليوم.

هل يمكنك أن تتخيل كم يكره الشيطان اجتماعنا معاً لبحث طرق خلاقة لفعل الخير بعضنا نحو بعض؟ فهو يفضل أن نمارس النقد والإدانة واصطياد الأخطاء والنميمة والتذمر. أنا أعرف أن فعل الصواب سوف يتطلب تشكيل عادات جديدة والقيام بأفعال محبة مقصودة، لكن النتائج ستكون رائعة.

كن غنياً في الأعمال الصالحة

يوصي بولس تيموثاوس، الواعظ الشاب، أن يوصي الناس «أَنْ يَصْنَعُوا صَلاَحاً، وَأَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فِي أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، وَأَنْ يَكُونُوا أَسْخِيَاءَ فِي الْعَطَاءِ كُرَمَاءَ فِي التَّوْزِيعِ (على الآخرين)» (١تي ١٨ :٦). واضح من هذا أن بولس كان يشعر أن الناس يحتاجون إلى من يذكّرهم أن يفعلوا مثل هذه الأمور. إن وصية الإصرار على الأعمال الصالحة وصية جديرة بأن يتذكرها الناس اليوم. وأنا أشجعك لا أن تذكّر الآخرين فقط، بل أن تجد طرقاً تذكّر بها نفسك أيضاً. ليكن عندك مكتبة جيدة من الكتب والرسائل التي تدور حول موضوع المحبة، واقرأها أو اسمعها كثيراً. افعل كل ما تحتاج فعله لكي تضمن ألا تنسى الشيء الأهم عند الله.

العالم يراقب المسيحيين، وما يروننا نفعله أمر مهم جداً. شجع بطرس المؤمنين أن تكون سيرتهم حسنة ومكرمة بين الأمم، أي غير المؤمنين في ذلك الوقت. قال إنه حتى إذا كان غير المؤمنين يريدون أن يفتروا على المؤمنين، ففي النهاية سوف يمجدون الله إذا رأوا الأعمال الحسنة وأفعال المحبة (انظر ١بط ٢ : ١٢).

إذا كان جارك يعرف أنك تذهب إلى الكنيسة كل أحد، أؤكد لك

أنه يراقب سلوكك أيضاً. في طفولتي كان جيراننا يذهبون بانتظام إلى الكنيسة. في الحقيقة كانوا يذهبون عدة مرات في الأسبوع، لكنهم أيضاً كانوا يفعلون أشياء كثيرة كان يجب ألا يفعلوها. أتذكر أن أبي كان دائماً يقول «إنهم ليسوا أفضل مني، فهم يسكرون، وينطقون بكلمات قبيحة، ويتلون النكات القذرة، ويتصرفون بعصبية، فهم مجرد مجموعة من المرائين». كان أبي يبحث عن عذر، وكان سلوكهم يسكب وقوداً على النار.

أنا أدرك تماماً أننا كمسيحيين لسنا كاملين، وأن الناس الذين يريدون أن يجدوا عذراً لعدم الإيمان بيسوع أو اتباع المسيحية سوف يراقبوننا دائماً وينتقدوننا، لكننا يجب أن نفعل كل ما باستطاعتنا لكي لا نعطيهم سبباً يدينوننا من خلاله.

ابحث عن طرق تبارك بها الآخرين

أحاول دائماً أن أكون منفتحة أن يريني الله أي شيء يريدني أن أفعله من شأنه أن يشهد للآخرين أو أن يكون بركة لشخص ما. منذ أيام قليلة، كنت في صالون التجميل. كانت هناك شابة في المكان وكان واضحاً عليها أنها حبلى في طفلها الأول. كانت قد اضطرت للبقاء في الفراش لمدة شهرين بسبب آلام الوضع المبكرة، وكانت رحلتها هذه لصالون التجميل هي الفرصة الأولى لها للخروج من المنزل لبعض الوقت. كان موعد ولادتها خلال أسبوع، وكانت تقوم بطلاء أظافر يديها وقدميها. تكلمنا قليلاً وبدأت أشعر أنه سيكون أمراً لطيفاً أن أباركها عن طريق سداد أجر الخدمة التي حصلت عليها في ذلك اليوم. فانتظرت قليلاً لأرى إذا كانت هذه الرغبة ستظل بداخلي، وبما أنها بقيت بداخلي فقد

دفعت عنها حسابها عندما دفعت حسابي. بالطبع شعرت بالمفاجأة، لكنها شعرت بالبركة أيضاً. لم أعطِ الموضوع أكبر من حجمه، بل فقط قمت به. ربما في يوم من الأيام تراني هذه الشابة في التليفزيون أو ترى أحد كتبي وتتذكر أنني فعلت حقاً ما أقول إني أؤمن به.

أنا لا أفعل أشياء مثل هذه لكي يراني الناس، لكن ما يراه الناس يتحدث إليهم بصوت أعلى بكثير من الكلمات وحدها. كل من كانوا في صالون التجميل كانوا يعرفون أنني خادمة ومعلمة للكتاب المقدس. ومع أني لم أخبر تلك الشابة أي شيء عن نفسي، فأنا متأكدة أن الآخرين أخبروها بعد أن انصرفت. وهكذا فإن عمل محبة واحد حقق عدة أغراض. فقد أسعدني، وأسعدها، وكان قدوة لمن يشاهدون، وكان شهادة تمجد الله. كان أمامي اختيار آخر: كنت أستطيع الاحتفاظ بنقودي وعدم فعل أي شيء. كان هذا سيكون سهلاً، لكنه لن يشبع روحي هكذا أبداً.

لا تهتم بما يظنه الناس

قد تقول «يا جويس، لكنني كنت سأشعر أنني غريب حقاً إذا عرضت أن أسدد فاتورة شخص ما لا أعرفه». وإذا كان هذا هو شعورك فأنا أتفهمه تماماً، إذ أتساءل كيف سيفكرون في الأمر أو كيف سيتجاوبون، لكن عندها أتذكر أن هذه الأمور ليست من شأني، فما يهمني فقط هو أن أكون سفيرة للمسيح.

في أحد الأيام حاولت أن أشتري فنجاناً من القهوة لامرأة كانت تقف في الصف خلفي في مقهى ستاربكس، لكنها رفضت بشكل قاطع. في

الحقيقة كان رد فعلها علنياً مما أحرجني، وفي البداية قلت لنفسي: «حسناً لن أفعل هذا مرة أخرى». كان ديف معي، وذكرني أن هذا بالضبط هو ما يريده الشيطان، لذلك غيرت رأيي. مثل هذه الأوقات ليست سهلة، لكن هذه الحادثة جعلتني للأسف أدرك كم أن هناك الكثيرين الذين لا يعرفون كيف يقبلون بركة من شخص آخر – ربما لأن هذا لا يحدث معهم أبداً.

أحياناً أقوم بأشياء بدون أن يعرف أحد أنني فعلتها، لكن هناك أوقات لا يمكنني فيها أن أخفي ما أفعله. لذلك قررت أنه طالما كان قلبي صحيحاً، فهذا هو كل ما يهم في الأمر. كل عمل محبة هو طريقة بها أطيع الله وأغلب الشر الذي في العالم. أنا لا أعرف ما هي نوعية الأمور الشريرة التي حدثت للناس، وربما كانت أعمال المحبة التي أظهرها ستساعد على شفاء الجروح التي في نفوسهم. كما أني أؤمن أيضاً أن اللطف نحو الآخرين هو طريقة أرد بها على الشيطان بسبب الألم الذي سببه في حياتي. إنه شرير لأقصى درجة، فهو مرتكب كل الشرور التي نجتاز بها في العالم، ولذلك فإن كل فعل محبة وخير ولطف يشبه تسديد طعنة له في قلبه الرديء الشرير.

إذا كنت قد تعرضت لإساءة المعاملة وتمنيت كثيراً أن تجد طريقة ترد بها على الشيطان بسبب الألم الذي سببه لك، إذاً افعل الخير مع أكبر عدد ممكن من الناس. هذه هي طريقة الله، وسوف تنجح لأن المحبة لا تسقط أبداً!

اشتريت نفساً بالمحبة

يقول الكتاب المقدس إن الله اشترانا بثمن غالٍ – بدم ابنه يسوع المسيح (انظر ١كو ٦ : ٢٠ ، ١بط ١ : ١٩ ، رؤ ٥ : ٩). هذا الصلاح المذهل كان

مضاداً للشر الذي عمله الشيطان، وفتح طريقاً لكل الناس لينالوا غفران خطاياهم ويستمتعوا بعلاقة شخصية مع الله.

كما ذكرت من قبل فإن والدي ظل لسنوات كثيرة يسيء إليَّ جنسياً، وتسببت أعماله الشريرة في تدمير نفسي، وتركتني مجروحة وغير قادرة على الحياة بصورة طبيعية حتى شفاني يسوع. وكان التغلب على ما فعله بي والقدرة على مسامحته عملية طويلة. في البداية قررت ألا أكرهه بعد، لأن الله جعلني أدرك أن محبتي له وكراهيتي لأبي الجسدي لا يمكن أن يسكنا معاً في قلب واحد. طلبت من الله أن يساعدني وبالفعل اقتلع هو الكراهية من قلبي، لكنني مع ذلك كنت لا أريد أن أتعامل مع أبي وبقيت بعيدة عنه قدر الإمكان.

كانت صحة أمي العقلية متدهورة لعدة سنوات، وفي السنة التي تزوجت فيها من ديف، أصيبت بانهيار عصبي نتيجة معرفة ما فعله أبي بي وعدم معرفتها كيف تتعامل مع هذا الأمر. كانت قد ضبطته وهو يسيء إليَّ في عمر الرابعة عشرة، ولكن كما قلت لأنها لم تعرف ماذا تفعل، فلم تفعل شيئاً. واتضح أن عدم فعل شيء كان قراراً سيئاً للغاية لنا جميعاً. فلمدة سنتين ظلت تتلقى علاجاً من الصدمات وقد محوا ذاكرتها عن الإساءة الجنسية، وأنا لم أكن أريد أن أفعل أي شيء يجعلها تتذكر مرة أخرى. لذلك فمع أنه كان صعباً عليَّ أن أقترب من أبي، لكن عائلتنا كانت تتزاور في الأعياد وفي أوقات أخرى عندما نضطر لذلك.

في النهاية انتقل أبي وأمي من المدينة ورجعا إلى البلدة الصغيرة التي تربيا فيها. كانت تبعد حوالي ميلين عن المكان الذي كنت أعيش فيه، وكنت مسرورة لأن انتقالهما كان يعني أنني سأراهما مرات أقل بكثير.

تمكنت من أن أسامح أبي في وقت ما أثناء هذه السنوات، لكنني لم أسامحه بالكامل.

وبينما تقدم أبي وأمي في السن وتدهورت حالتهما الصحية والمالية، بدأ الله يتعامل معي بخصوص إرجاعهما إلى سانت لويس بولاية ميسوري حيث نعيش، ورعايتهما حتى وفاتهما. كان هذا يعني شراء بيت وأثاث وسيارة لهما، وتوفير شخص لينظف منزلهما، وشراء البقالة لهما، وتقليم الحشائش، والقيام بأعمال الصيانة في بيتهما. في البداية ظننت أن هذه كانت فكرة من الشيطان أراد أن يعذبني بها، لكن في النهاية أدركت أن هذه كانت خطة الله. ويمكنني أن أقول بصدق إنها كانت أحد أصعب الأمور التي كان عليَّ أن أفعلها في حياتي.

أولاً كان لديَّ أنا وديف مبلغ مالي صغير في مدخراتنا، وكان نقل أبي وأمي إلى بيت جديد سوف يبتلع كل المال تقريباً. ثانياً لم أظن أنهما يستحقان مساعدتي لأنهما لم يفعلا لي في الحقيقة أي شيء سوى الإساءة والإهمال. وبينما كنا أنا وديف نتحدث عن الأمر ونصلي لأجله، أدركت أكثر فأكثر أن ما كان الله يطلبه مني لم يكن فقط أصعب شيء طلبه مني على الإطلاق، بل إنه سيكون أيضاً من أقوى الأشياء التي فعلتها على الإطلاق.

قرأت كل نص كتابي وجدته حول محبة الأعداء، والتعامل بلطف معهم، والإحسان إليهم. وهذا النص بالذات أثّر فيَّ:

«بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا (فعل الخير بحيث ينتفع الشخص من هذه الأفعال) وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئاً، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ (مكافأتكم) عَظِيماً (غنياً، وقوياً، ومكثفاً، ووافراً) وَتَكُونُوا

بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ.»
(لو ٦ : ٣٥)

هذه الآية تقول إننا يجب ألا نعتبر أن هناك شيئاً ضائعاً وألا نفشل من أي شيء. قبل أن أفهم هذا المبدأ، كنت أنظر لطفولتي على أنها سنوات ضائعة، والآن يطلب مني الله أن أراها على أنها اختبار يمكنني أن أستخدمه لمساعدة الآخرين. يقول لوقا أيضاً إننا يجب أن نطلب البركات لمن أساءوا إلينا واستغلونا ونصلي لأجلهم (انظر لو ٦ : ٢٨). يبدو هذا ظلماً شديداً، لكنني تعلمت من وقتها أنني عندما أغفر فأنا بذلك أحسن إلى نفسي. عندما أغفر، أنا بذلك أحرر نفسي من كل نتائج الإساءة التي تعرضت لها، وعندها يمكن لله أن يتعامل مع الموقف ككل. إذا كان عدوي غير مخلَص، قد أشتري بذلك نفسه.

شعر أبي بالتأثر من العرض الذي قدمناه أنا وديف. ومع أنه لم يقل هذا أبداً، إلا أنني أعرف أنه كان يتساءل ما الذي يجعلنا نفعل كل هذا لأجله بعد ما فعله بي.

مرت ثلاث سنوات ولم أر أي تغيير فيه. كان لا يزال وضيعاً، وسريع الغضب، وأنانياً جداً. في الواقع كانت هناك أوقات كان يبدو فيها أنه يزداد سوءاً من ناحية مزاجه العصبي، وأنا أدرك الآن أن الله كان يتعامل معه طوال الوقت. وبعد ثلاث سنوات من قيامنا بفعل ما طلب منّا الله أن نفعله، تاب أبي بالدموع، وقبل يسوع مخلصاً له. كان اختباراً رائعاً. كان أبي هو الذي بدأ الأمر كله، فقد طلب منّا أن نأتي إلى منزله، وطلب الغفران. طلب من ديف ومني أن نسامحه، وذكر كم كنا صالحين معه.

سألناه إن كان يريد أن يدعو يسوع ليدخل إلى حياته، ولم يفعل هو ذلك فحسب، بل إنه أيضاً طلب من ديف ومني أن نعمده. وكان لي امتياز أن أرى أبي، الذي أساء إليَّ، يعرف الرب. ثم أدركت أنني كنت أظن أنني أشتري منزلاً، وبعض الأثاث، وسيارة، لكنني في الحقيقة اشتريت نفساً بعمل محبة لا تستحقه هذه النفس.

خلال هذا الوقت، رأينا أنا وديف أيضاً خدمتنا وهي تنمو بطريقة مذهلة، مما مكننا من أن نساعد آخرين كثيرين. وأنا أؤمن أن هذا النمو كان جزءاً من حصاد بذرة الطاعة التي زرعناها. عندما يطلب منّا الله أن نفعل أموراً صعبة، فهو دائماً يفعل هذا لفائدتنا ولفائدة ملكوته. وكما ترى، يمكننا بالفعل أن نغلب الشر بالخير. ولذلك كما قال جون ويسلي «افعل كل ما يمكنك من الخير، بكل الوسائل الممكنة، بكل الطرق الممكنة، في كل الأماكن الممكنة، في كل الأوقات الممكنة، لكل الأشخاص الممكنين، طالما أمكنك ذلك».

أرامل الحرب

سمعت «جنيفر» صرخات الأطفال فأتت مسرعة لإنقاذهم. وبما أنها فعلت هذا عدة مرات من قبل، فهي تخبرهم أن كل شيء سيكون على ما يرام. وبوصفها أم، فسوف تظل تقول لهم ذلك إلى أن يصدقوه.

كانت تعرف معنى الخوف، والخطف، والإساءة. عندما كان عمرها اثنتي عشرة سنة فقط، أُخذت بالقوة من بيتها، وقُطعت عن أسرتها وعن قريتها على أيدي الجنود المتمردين المشتركين في أطول حروب

إفريقيا. وبعد حوادث متواصلة من الضرب والاغتصاب والعمل الشاق، كانت إرادة جنيفر للحياة هي التي شجعتها على الهروب، وقادت أخريات معها للأمان.

لكنها عندما رجعت إلى بيتها، لم تجد عائلتها. كانت وحيدة ومشتاقة إلى حياة جديدة وبيت يمكنها أن تعتبره بيتها، فتزوجت من رجل متزوج. وفي يوم زفافها، ضربها وأصابها بالجروح أمام أصدقائها، لكن الضربة القاسية لم تكن قد أتت بعد. ففي اليوم الخاص الذي كان يجب أن يجعلها تشعر فيه كالأميرات، فتشعر بالتقدير والحب، أخبر كل من كانوا موجودين أنها كانت بلا فائدة وأنها تجلب العار. هذه الكلمات دخلت بعمق إليها مسببة ألماً يفوق بكثير أي ضرب جسدي مستمر.

في النهاية مات زوجها بفعل الإيدز، ومرة أخرى أصبحت وحيدة. وأصبحت أرملة لها طفلان. وسألت الله «هل أنت موجود؟ ألن تكون حياتي سوى عذاب وألم وعار؟». وقد أثبت الله أمانته لجنيفر وهي الآن تمر بعمليه استشفاء كامل.

اليوم تعيش جنيفر في أمان في قرية جديدة وفرتها هيئة خدمات واتوتو بالشراكة مع خدمة جويس ماير. وقد استردت كرامتها وهدفها في الحياة، وأصبحت تعتني بالأطفال اليتامى نتيجة الحروب. للأسف هناك الكثيرات اللواتي لازلن في حاجة ماسة إلى الشفاء.

تخبرنا كلمة الله مراراً وتكراراً أن نهتم بالأرملة واليتيم. يبدو أن الله لديه مكانة خاصة في قلبه لهما ويجب أن يكون هذا هو حالنا أيضاً.

تقول الإحصايات:

- في كثير من البلاد، يتم طرد الأرامل اللواتي مات أزواجهن بالإيدز من بيوتهن، ويتعرضن لأشكال قاسية من العنف.
- الأسر التي تعتني بها أرامل تمثل غالباً أحد أفقر العائلات في إفريقيا.

الفصل

٧

العدل للمظلومين

العدل لا يعني أن تكون محايداً بين الصواب والخطأ،
بل أن تبحث عن الصواب وتدعمه،
أينما وجد، في وجه الخطأ.

تيودور روزفلت

الله هو إله العدل. في الحقيقة يعتبر العدل أحد صفات الله المفضلة لي. والعدل يعني ببساطة أن الله يصحح الخطأ. يقول الكتاب المقدس إن العدل والحق هما قاعدة كرسيه (انظر مز ٨٩: ١٤). والقاعدة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء، لذلك يمكننا أن نقول إن نشاط الله على الأرض مثبت على حقيقة أنه بار وعادل. وبما أننا خدام الله، فهو يعلمنا أن نحب العدل والحق ونعمل على ترسيخهما في الأرض.

دائماً ما يؤدي غياب العدل في مجتمع ما إلى المتاعب. فما بين ١٧٨٩ و ١٧٩٩ قامت الثورة في فرنسا. كانت حرباً دامية نهض فيها الفلاحون

ضد الأرستقراطيين والقادة الدينيين في ذلك الوقت. عندما كان ملك وملكة فرنسا يعاملان الشعب بالحق والعدل، كانت مملكتهما تزدهر، لكن عندما سمح الملك والملكة، نتيجة أنانيتهما، بنقص التغذية والجوع والمرض في كل أنحاء البلاد مع فرض ضرائب واستمرا هما في حياة اللهو، ثار الشعب عليهما. عندما عاملا المواطنين بالظلم، تصدعت قاعدة كرسيهما وانهار الكرسي في النهاية.

والحقيقة ببساطة هي أنه بدون العدل، لن تكون الأمور صحيحة. مجتمعنا اليوم مليء بالظلم. ومع أن البعض يعملون جاهدين لمحاربة الظلم، إلا أن غالبية الناس إما أنهم لا يهتمون، أو إذا اهتموا فهم لا يعرفون ما يجب أن يفعلوه حيال ذلك.

إنه واجبنا

من يهتم باليتامى والأرامل والفقراء والمظلومين؟ الله يهتم بهم، لكن هل نهتم نحن؟ عندما يتعرض الناس.

من يهتم باليتامى والأرامل والفقراء والمظلومين؟

للظلم، يكون عليهم ثقل لا يُحتمل، فيغرقهم ويتسلط عليهم ويحزنهم. وغالباً ما تجعلهم أثقالهم يفقدون الرجاء. الله هو أبو اليتامى وقاضي الأرامل (انظر مز ٦٨ : ٥). ويبدو أن هناك مكاناً خاصاً في قلبه لمن يشعرون بالوحدة ولا يجدون من يهتم بهم. الله يساعد الحزانى، ويجري العدل للفقراء والمحتاجين (انظر مز ١٤٠ : ١٢). وأنا على يقين أنك مسرور أن الله يساعد هؤلاء المتألمين، لكنني أشجعك أن تتذكر أن

الله يقوم بعمله من خلال الناس الخاضعين له. والآن اسأل نفسك ما الذي تفعله أنت شخصياً لهم؟

كما ذكرت من قبل فإنه يوجد أكثر من ألفي نص كتابي في الكتاب المقدس يتحدث عن واجبنا نحو الفقراء والمساكين. وبما أن الله أوحى بكل هذا الكم من النصوص، فلابد أن هناك رسالة يحرص على أن نفهمها. ما أهمية أن يشترك كل منّا بطريقة ما في مساعدة من هم في ضيق؟ ربما تكون أهم بكثير مما يدركه كثيرون منا.

الديانة الحقيقية

قال الرسول يعقوب إن الديانة الحقيقية التي تظهر في شكل أعمال خارجية هي «افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم» (يع ١ : ٢٧). هذا يعني أنه إذا كانت ديانتنا حقيقية، فسوف نشترك في مساعدة من هم في ضيق من ظروف الحياة. أستنتج من هذه الآية أنني إذا لم أساعد هؤلاء الناس، فلابد أن ديانتي غير حقيقية. قد تكون شكلاً متديناً، لكنها بالتأكيد ليست ما أراده الله أن يكون تماماً.

لقد تعلمت أنه ليس كل من يجلس في الكنيسة يوم الأحد هو مسيحي حقيقي من وجهة نظر الله. فاتباع القواعد واللوائح والعقائد لا يجعل الإنسان مؤمناً حقيقياً بيسوع المسيح. كيف يمكنني أن أقول هذا؟ لأننا عندما نقبل المسيح مخلصاً لنا، نقبل قلب الله ونقبل روحه (انظر حز ١١ : ١٩). وبما أن الحال هكذا، فيجب أن نتعلم أن نهتم بما يهتم الله به - وهو يهتم بمساعدة المتألمين.

ما فائدة أن يقول أولادي الذين يديرون معظم أعمال خدمة جويس

مايـر إن لهم قلبي في حين أنـهم لا يفعلون ما أريدهم أن يفعلوه في موقف ما؟ إن السبب الذي يجعلنا نضع أولادنا في المناصب التي هم فيها هو أنهم يعرفوننا عن قرب، ولهم القلب الذي لنا تجاه مساعدة الناس.

أحبوا بعضكم بعضاً

أؤمن بشدة أننا نحتاج أن نحب بعضنا بعضاً، أي من يتعاملون معنا في حياتنا الشخصية، وأيضاً من قد لا نقابلهم شخصياً أبداً، أي الذين يعيشون في أماكن بعيدة (انظر أع ٢ : ٤٤-٤٥، أع ٤ : ٣١-٣٢، ٢كو ٨ : ١-٤). وأريد أن تكون المجموعتان في ذهنك وأنت تكمل قراءة هذا الكتاب. على سبيل المثال، يمكنك أن تقدم مساعدة مالية ليتيم في دولة من العالم الثالث من خلال خدمة تهتم بالأيتام، ويمكنك أيضاً أن تدعو أرملة في كنيستك للغذاء وأثناء وجودك معها اسأل الأسئلة التي تجعلك تتأكد أن احتياجها مسدد بشكل مناسب. إذا ذكرت أن لديها احتياجاً يمكنك أن تسدده فافعل ذلك بسرور، لأن المعطي المسرور يحبه الله (٢كو ٩ : ٧).

معظمنا مستعدون أن يساعدوا من يعرفونهم عن قرب إذا كان لهم احتياج، لكن الناس البعيدين عن دائرتنا الشخصية قلما نهتم بهم أو نكون مستعدين أن نشترك في مساعدتهم. أنا أؤمن أن الله يريد أن يغير هذا الأمر. وأنا أفهم أنني كفرد لا يمكنني أن أسدد بالكامل كل احتياج أسمع به، لكن يمكنني بالتأكيد أن أسمح لله أن يظهر لي ما الذي يمكنني أن أفعله. وأنا مصممة على ألا أقول بعد الآن إنني لا يمكنني أن أفعل شيئاً تجاه الاحتياجات التي أعرف بها. لقد أدركت أن هذه طريقة سلبية للنظر إلى الاحتياجات، وليست هي الطريقة التي يريدني الله أن أتعامل بها مع

هذه الاحتياجات.

يحتاج العالم من الكنيسة أن تكون هي الكنيسة

سأل يسوع بطرس ثلاث مرات إن كان يحبه، وفي المرات الثلاثة عندما كان بطرس يجيب «نعم» كان يسوع يقول له «ارع خرافي» أو «ارع غنمي» (انظر يو ٢١ : ١٥-١٧). لم يكن يسوع يتحدث عن إطعام الحيوانات، بل كان يتحدث عن مساعدة شعبه. في مناسبات عديدة قال يسوع عن نفسه وأنه الراعي وشعبه هم الخراف، ولذلك كان بطرس يعرف تماماً ما كان المسيح يتكلم عنه.

يبدو لي أن يسوع يقول في هذه الآيات إننا إذا كنا نحب فيجب علينا أن نساعد الآخرين، لا أن نجمعهم في المباني أيام الآحاد فقط لكي يتبعوا القواعد والطقوس. بالطبع لابد أن نرغب في الذهاب للكنيسة بهدف الشركة وعبادة الله والتعليم، لكن الكنيسة يجب أيضاً أن تكون مكاناً نساعد فيه الآخرين. إذا لم تنشغل الكنيسة بالوصول إلى الضائعين في كل أنحاء العالم ومساعدة المتضايقين بما في ذلك الأرامل والأيتام والفقراء والمساكين، فأنا لست متأكدة على الإطلاق من أن لها الحق أن تسمي نفسها كنيسة.

عشرات الآلاف من الناس كفوا عن الذهاب للكنيسة، ويشعر القادة الروحيون على مستوى العالم بالقلق من هذا التقلص في نسبة حضور الكنيسة. وأنا أرى أن سبب هذا الانحسار يرجع بنسبة كبيرة إلى أن الكثير من الكنائس أصبحت مراكز دينية ليس فيها حياة حقيقية. قال الرسول يوحنا إننا نعرف أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة من حقيقة

أننا نحب الإخوة. أي أن من لا يحب يعتبر ممسكاً ومحبوساً دائماً في موت روحي (انظر ١يو ٣ : ١٤). إذا لم تكن الكنيسة تفيض بمحبة الله الأصيلة، كيف يمكنها أن تمتلئ بالحياة؟

سمعت أنه في أوربا يتم إغلاق كاتدرائية أو مبنى كنيسة كل أسبوع، لدرجة أن كثيراً منها تشتريه مجموعات إسلامية وتحوله إلى مساجد. بالتأكيد ليس هذا هو قصد الله لكنيسة يسوع المسيح. هناك كنائس عظيمة كثيرة تفعل ما يجب عليها تماماً، وهي كنائس نامية مليئة بالحياة بسبب هذا. لكن يمكن أن نقول إنها الاستثناء وليست غالبية الكنائس.

كانت الكنيسة الأولى التي نقرأ عنها في سفر أعمال الرسل كنيسة قوية جداً، فقد هزت أركان العالم المعروف في وقتها، ولازال تأثيرها واضحاً في كل العالم إلى اليوم. كانت كنيسة موحدة، وكان كل أعضائها منشغلين بمساعدة الناس الذين يعرفون أن لهم احتياجات. فقد ساعدوا من كانوا يعرفونهم شخصياً، ومن سمعوا عنهم في مدن أو قرى أخرى عن طريق الرسل الذين أتوا لزيارتهم وتعليمهم.

كانت الكنيسة الأولى تنمو بسرعة ولها صيت رائع لأنها كانت مليئة بالناس الذين يحبون بعضهم بعضاً بصدق. ما يحتاج إليه العالم هو المحبة، وليس الديانة! إنه يحتاج إلى الله، والله محبة. إذا اتفقنا كلنا واشتركنا يمكننا أن نبدأ ثورة محبة، حركة تهز العالم مرة أخرى لمجد الله!

تعلم فعل الخير

إذا رأيت أو سمعت عن شخص محتاجٍ ولم تفعل أي شيء على الإطلاق،

فهذا ببساطة خطأ. قال إشعياء النبي « تَعَلَّمُوا فِعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ» (إش ١ : ١٧).

والهدف من هذا التعليم وهذه الوصية هو أن تساعدنا على أن نتعلم ما هو حق وتشجعنا أن نفعل ذلك. منذ سنوات قليلة لم أكن أدرك مقدار شعور الله من نحو عملي لكي أحقق العدل للمظلومين، لكن بمجرد أن عرفت ذلك بدأت أفعله.

لقد كان الله يوصي الناس كيف يجب أن يعاملوا اليتامى والأرامل والمظلومين والفقراء منذ أن أعطاهم الناموس في زمن العهد القديم. فقال من خلال موسى « لا تُسِيْء إلى أرْمَلَةٍ مَا وَلا يَتيم» (خر ٢٢ : ٢٢). الله ليس عنده محاباة، فهو «الصَّانِعُ حَقَّ اليَتِيمِ وَالأَرْمَلةِ وَالمُحِبُّ الغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَاماً وَلِبَاساً» (تث ١٠ : ١٨). قال الله للشعب إنهم إذا أطعموا الغريب، والأرملة واليتيم، سوف يبارك عمل أيديهم (انظر تث ١٤ : ٢٩). أرجو أن تلاحظ أن هذه المجموعات كلها - الأرامل والغرباء واليتامى - مجموعات مليئة بأناس يشعرون بوحدة شديدة. الله يهتم بمن يشعرون بالوحدة!

وحيد ومتروك

لا يمكنني أن أتخيل مقدار الوحدة والترك اللذين تشعر بهما فتاة يتيمة أُجبرت على ممارسة الدعارة لتبقى على قيد الحياة.

تقول الإحصائيات:

- مليونا فتاة بين سن الخامسة والخامسة عشر تدخلن إلى سوق التجارة الجنسية كل عام.

- ٨٩ بالمائة ممن تمارسن الدعارة تردن الهروب.
- مائتا ألف امرأة وطفلة على الأقل تعملن بالدعارة في تايلاند، وثلثهن تحت سن الثامنة عشرة. هناك فتيات صغيرات في عمر السادسة يعملن بالدعارة.
- في أحد المرات وجد طبيب خمسة وثلاثين رجلاً يستعملون فتاة في ساعة واحدة.

هل كل هؤلاء الفتيات يتيمات؟ لا ليست كلهن يتيمات رسمياً بمعنى عدم وجود آباء أو أمهات لهن. لكنهن يتيمات في نظر الله لأنهن إما ليس لديهن آباء وأمهات أو أن الآباء والأمهات الذين لهن لا يريدون الاهتمام بهن.

دعارة المراهقات
بيعي جسدك لملذات الرجال الأشرار أو موتي من الجوع. إنه اختيار رهيب لا يمكن لأحد أبداً أن يختاره. ومع أن «بيرتوكان» تلك الفتاة الإثيوبية تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً فقط، فقد اختارت هذا الاختيار منذ أن كان عمرها أربعة عشر عاماً. ومع كل اختيار ينكسر قلبها أكثر وتتحطم نفسها. ومع ذلك فإنه بالنظر إلى كل ما اجتازت فيه، فإن شعورها بأي شيء على الإطلاق يعتبر معجزة. حينما تنظر بيرتوكان في عيني ابنتها «آمنة» التي تبلغ من العمر سبعة شهور، تجد القوة. وهي تقول «أنا أختار هذا الاختيار لأنني لا أريد لابنتي أن تفعل مثلي». لقد سمتها «آمنة» لكي تنعم بالأمان، وقررت أنها ستفعل كل ما يلزم لكي تحفظ وعدها: أن تُبقي ابنتها في أمان.

وهي لا تبيع جسدها بدافع الطمع أو المتعة الذاتية، بل لكي تظل على قيد الحياة. فهي تعيش وتقوم بعملها في حجرة مساحتها ثلاثة أمتار في متر ونصف. ظلت تعمل طيلة خمس سنوات بدون يوم إجازة أو راحة. وهي تغلق عينيها وتفكر في آمنة بينما يقوم رجال قد يصل عددهم إلى خمسة عشر بانتهاك جسدها لكي يشبعوا رغباتهم الشريرة. لا يمكن تخيل هذا الألم، لكنها الطريقة الوحيدة التي تعرفها لتوفير الطعام والمأوى. عندما تفكر في كم تحب آمنة، لا يمكنها أن تستوعب كيف أهملتها أمها عندما كان عمرها خمس سنوات.

قبل أن تأتي بيرتوكان إلى ما يعرف باسم منطقة الضوء الأحمر في أديس أبابا، كانت تموت من الجوع. «كان عندي رجاء، لكن هذا الرجاء يبدو بعيداً عني الآن. أنا أعرف أن الله معي ويحبني، لكنني لا أعرف أية طريقة أخرى يمكنني أن أعيش بها». لكن لا زال عندها بصيص أمل أن ترى يوماً فيه لا تكلفها حياتها جزءاً من قلبها أو نفسها أو جسدها المحطم.

لكن اليوم، لابد لهذا الرجاء أن ينتظر، فقد وصل للتو عميلها التالي.

تقول الإحصائيات:

- متوسط عمر الدخول إلى ممارسة الدعارة في العالم كله هو ثلاثة عشر إلى أربعة عشر عاماً.
- ٧٥ بالمائة من العاهرات يبلغن أقل من خمسة وعشرين عاماً.

رؤية مستوى جديد من الانحدار وفعل شيء تجاهه

عندما ذهبت إلى الهند، إلى منطقة ضوء أحمر (منطقة دعارة) في أحد الأحياء الفقيرة، رأيت مستوى جديداً من الانحدار. فلم يقتصر الأمر على أن المنطقة بكاملها قذرة بما لا يمكن وصفه، بل إنها أيضاً كانت مليئة ببيوت الدعارة. أخذوني إلى بيت مكون من ثلاث غرف صغيرة، في كل غرفة ثلاثة أسِرّة. لم يكن لأي من هذه الأسرة أية خصوصية على الإطلاق. كانت الفتيات أو النساء يخدمن الرجال في هذه الغرف الصغيرة معظم الوقت ليلاً، على أمل جني ما يكفي من النقود حتى يمكنهن أن تأكلن وتطعمن أولادهن إذا كان لديهن أولاد، وكثيرات منهن كان لديهن أولاد. أين يذهب الأطفال وقت عمل هؤلاء النساء؟ إما يلعبون في الطرقات بحيث يسهل عليهم الوصول لأمهاتهن في غرفهن أو يتم تقديم الكحوليات لهم لكي يناموا حتى لا يضايقوا أمهاتهم. قليلون منهم عرفوا ببرامج التغذية والمدارس لدينا واستطعنا أن نهتم بهم أثناء هذه الساعات حتى لا يضطرون أن يشاهدوا ما يحدث في البيت. البيت! هؤلاء الأطفال الصغار يعيشون في بيوت دعارة!

إذا لم تتوفر المساعدة، فكثير من الأطفال الإناث - البنات الصغيرات - سوف ينتقلن إلى حياة الدعارة بمجرد أن يكبرن. هؤلاء النساء لا يعشن هكذا لأنهن يردن ذلك، بل لأنهن لا يملكن خياراً آخر. فهن غير متعلمات، وتربين في وسط الفقر الذي لا يمكن لمعظمنا حتى أن يبدأوا في فهمه. بعضهن في الحقيقة مملوكات لقوادين يبقونهن محبوسات لكل الأغراض والنوايا ويضربوهن إذا لم يجلبن أموالاً كافية.

يسعدني أن أقول إننا بدأنا برنامجاً للمساعدة في إنقاذهن. أولاً عملنا في هذه المنطقة على الأقل لمدة ثلاث سنوات بالتعاون مع بعض الخدمات المحلية، وانخفض عدد العاهرات من ثلاثة آلاف إلى ثلاثمائة. بعض الناس يريدون فقط بعض الرجاء أو المساعدة، ويحتاجون إلى شخص يقول لهم إنهم يمكنهم أن يتغيروا ويريهم كيف يفعلون ذلك.

قامت خدمتنا بشراء عدة مئات من الأفدنة من الأراضي التي تبعد عن منطقة الضوء الأحمر بحوالي ثلاث ساعات، وبنينا قرية بها مركز تدريب لتعليم هؤلاء النساء حرفة تمكنهن من إعالة أنفسهن وعائلاتهن بدون اللجوء إلى الدعارة. وقد نقلنا أول مائة امرأة وطفل إلى مركز الشفاء في فبراير ٢٠٠٨ وننوي أن ننقل كل من يريدون أن يتغيروا.

انتعش قلبي جداً عندما استمعت إلى الفتيات الصغيرات، خاصة المراهقات منهن، تقهقهن بصوت عالٍ عندما أريتهن أماكن دورات المياه والاستحمام التي سيستخدمنها. كما ترى، فهن لم يعرفن أبداً الاستحمام بطريقة أخرى سوى سكب دلو من المياه على أنفسهن في مكان ما خلف أي مبنى. يا له من شعور مذهل أن نشترك في رسم بسمة على وجوههن ومنحهن الرجاء. وهو بالتأكيد أفضل من الطريقة الأنانية المتمركزة حول الذات التي كنت أعيش بها قبلاً. ويرجع الفضل الأكبر في هذه الرحلة إلى الهند لشركاء خدمتنا، لأن عطاياهم الأمينة هي التي تدفع ثمن هذا كله، ونحن نقدرهم تقديراً عميقاً.

وأريد أن أضيف أن بعض النساء الأكبر في السن واللواتي وقعن في شرك الدعارة هن أرامل، مات أزواجهن أو قتلوا في حادثة وتركوهن بدون أية وسيلة للحياة، ومرة أخرى لجأن إلى الشيء الوحيد الذي يعرفنه لجلب النقود.

يمكننا أن نتعلم أن نفعل الخير لنساعد من هم في ضيق في العالم. كل ما نحتاجه هو معلومات وإصرار، ويمكننا عندئذ أن نصنع اختلافاً إيجابياً في حياة الكثيرين. إذا قام كل منّا بدوره، يمكننا أن نبدأ ثورة محبة.

الظلم في كل مكان

الظلم لا يسكن فقط في دول العالم الثالث، بل أيضاً في أحيائنا ومدننا في كل مكان. هناك أشخاص نعمل معهم ولديهم احتياجات ماسة، ونحن نمر بهم في الشارع ونقابلهم في السوق. الظلم له وجوه كثيرة. قد نراه في وجه امرأة تركها زوجها مع ثلاثة أطفال صغار ليعيش مع امرأة أخرى، وقد نراه في وجه فتاة أو صبي تعرضا للإساءة الجنسية أوالبدنية من الوالدين أو من بالغين آخرين، وقد نراه في وجه أب تربى بين الأقليات، وهو الجيل الثالث من عائلة تعيش على المعونات. يريد أن يعيش حياة أفضل، لكنه بصدق لا يعرف حتى ماذا يفعل، فهولا يمتلك سوى القليل من التعليم ولم ير من قبل أي شخص يعيش بطريقة مختلفة عنه إلا في التليفزيون.

بعض الناس ينتصرون على مأساة الظلم ويعبرونها، لكن الكثيرين لا يمكنهم ذلك. تعمل خدمتنا داخل المدينة في المدارس العامة لكي تساعد الأطفال على تعلم القراءة والكتابة. وقد طلبنا متطوعين للمساعدة في تعليم الأطفال ومن المحبط أن تجد أن قليلين هم المستعدون أن يقدموا من وقتهم ساعة كل أسبوع لشيء مثل هذا. بالطبع نحن نقول «شخص ما» يجب أن يساعد هؤلاء الأطفال بكل تأكيد، لكننا لا نكون الأشخاص الذين يتقدمون ويساعدون! ولدينا أعذارنا وهي أعذار تخدر ضمائرنا، لكنِ هل هي مقبولة أمامَ اللهِ؟ ظللت لسنوات أقدمُ الأعذار عنِ كلِ شيء لم

أكن أريد أن أفعله، لكنني اكتشفت حقيقة أصبحت واحدة من مقولاتي المفضلة: «اللامبالاة تختلق الأعذار، لكن المحبة تجد طريقاً».

اللامبالاة تختلق الأعذار، لكن المحبة تجد طريقاً.

معيار البَر

نرى في الكتاب المقدس بدايةً من العهد القديم، مثالاً بعد الآخر عن أناس ساهموا في مساعدة الفقراء والمساكين. كان أيوب أحد هؤلاء الناس، فقد قال إنه عندما كان عيوناً للأعمى وأرجلاً للأعرج، وأباً للفقير والمسكين، كان بذلك يلبس البر (انظرأي ٢٩: ١٤-١٦). وكلمة «لبست» لها معنى محدد لا نريده أن يفوتنا. فكر فيه بهذه الطريقة: عندما ألبس ثيابي، أنا أفعل ذلك عن قصد. أنا لا أقف بسلبية في خزانة ملابسي وأنتظر أن تقفز الثياب من على الشماعة لتكسو جسدي، بل إني أختار كل قطعة بعناية، ولا أكتفي بارتدائها بل أحرص على أن يكون شكلها جيداً.

قال الله إن أيوب كان رجلاً باراً، وقال أيوب إنه «لبس» البر. أي أنه فعل ذلك عن قصد. كان معيار البر في أيام أيوب يعني مساعدة الأرامل والأيتام والفقراء والمساكين، وكل من هم في ضيق.

في مجتمعنا اليوم، لم يتبق لدينا الكثير من المعايير. يبدو أن غالبية الناس يفعلون ما يحلو لهم فحسب، وتسود الأنانية. نحن بحاجة إلى معايير تُخرج رجالاً ونساء ذوي نزاهة وحق وصدق وكرامة وأمانة وولاء واهتمام صادق بالمتألمين. إذا زاد عدد من يتحلون بهذه الصفات، سوف يكون عالمنا

مختلفاً تمام الاختلاف. قد تكون إجابتك: «نعم، أتمنى أن نرى هذا اليوم»، لكن لا تنسَ أن التمني لا يفيد شيئاً. يجب أن نتحرك. لن يتغير عالمنا إلا عندما يتغير الناس الذين يعيشون فيه - وهذا التغيير يجب أن يبدأ بكل واحد منَا. يجب أن نحمل كلنا المصباح ونقول «أنا ثورة المحبة».

في الفصل الرابع قرأت عن أستير الفتاة اليهودية التي أصبحت ملكة. عندما احتفلت هي وأهل بلدها بحريتهم أمرت بأن ترسل هدايا للفقراء. يجب أن يشتمل احتفالنا بالخيرات التي فعلها الله لنا أن نتذكر أن نمد أيدينا إلى من لا يزال لديهم احتياج. لي صديقة اشتركت في لجنة في كنيستها مختصة بزيارة ملاجئ المشردين في الكريسماس. تأتي الكنيسة بقائمة لكل الأطفال الذين يعيشون في ملجأ معين، وفيها عمر الأطفال ومقاس ملابسهم. ويختار أعضاء الكنيسة القادرون اسم طفل ويشترون هدية بمناسبة الكريسماس لهذا الطفل فقط. في شهر ديسمبر، تقام حفلة للكريسماس في الملجأ ويكون فيها الكثير من الطعام، وموسيقى الكريسماس، والحكايات حول ميلاد يسوع ومحبته لكل طفل من الأطفال، وبالطبع الهدايا التي تقدم لكل طفل.

بعد الاحتفال يشعر أعضاء الكنيسة بالسعادة لمساعدتهم لهؤلاء الأطفال المشردين. لكن الكثيرين منهم قالوا إنهم عندما عادوا لبيوتهم بعد الاحتفال، شعروا بامتنان أكبر على بيوتهم وبركاتهم أكثر مما كانوا قبل الاحتفال.

من المفيد جداً لنا أن نرى ونختبر احتياجات الآخرين عن قرب لأن هذا يعطينا إدراكاً جديداً لمقدار البركة التي نحن فيها، كما أنه على ما أرجو يجعلنا ندرك كم يمكننا أن نفعل إذا بذلنا بعض الجهد. الناس في

الكريسماس عادة يتصرفون بسخاء أكثر، وكثيرون يحاولون أن يساعدوا أشخاصاً آخرين، لكننا يجب أن ندرك أن الفقراء والمهمشين محتاجون طوال الوقت، وليس مرة فقط في السنة في وقت الكريسماس.

أنا أكتب اليوم بينما نقيم أنا وديف في فندق به دورة مياه ومكان استحمام صغيران للغاية. إنهما صغيران جداً لدرجة أن رأس ديف تلمس السقف. في البداية تذمر ديف قليلاً من عدم الراحة هذه، لكن بعدها تذكر الناس الذين قابلناهم ولم يكن لديهم مياه وكانوا مضطرين أن يسيروا لمدة ساعات لكي يحضروا لبيوتهم كمية كافية من مياه غير نظيفة لتساعد عائلاتهم على البقاء على قيد الحياة. هؤلاء الناس نادراً ما يستحمون، وإذا فعلوا ذلك لن يكون هذا في حمام به دُش. واكتشفنا نحن الاثنين أن مساعدة المحتاجين بركة لنا لأنها تساعدنا ألا نتذمر أونشكو، بل نشكر في كل شيء كما يريد الله منّا.

كان بوعز الرجل الثري والشخص البارز في مجتمعه، يترك في حقله ما يسميه الكتاب المقدس كميات منسولة من الحزم عن قصد (را ٢ : ١٦) لكي تجدها راعوث وتجمعها وتستخدمها في إطعام نفسها وحماتها أيضاً. كانت راعوث ونعمي أرملتين، وكانتا فقيرتين. وكان الناموس في ذلك الوقت يوصي بعدم جمع كل المحصول من الحقول. كان يجب أن يترك الناس بعض المحصول للفقراء حتى يأتوا ويلتقطوا فضلات الحصاد من الحقول لكي يمكنهم أن يأكلوا هم أيضاً. وهكذا نرى مرة أخرى أن الله دائماً يقدم الطعام للفقراء، لكنه لا يمطره هكذا من السماء أو بطريقة معجزية، بل يوفره عن طريق الناس.

المحبة العاملة

في خدمة جويس ماير، لدينا حساب اسمه «المحبة العاملة». يمكن للخدمة والموظفين أن يضعوا النقود في هذا الحساب لاستخدامه بالتحديد في احتياجات الموظفين الآخرين الذين ربما يجتازون بوقت عصيب مالياً لسبب أو لآخر. ربما تسبب المرض في استدانتهم، أو كان لهم طفل له احتياجات خاصة جعلهم معوزين. قررنا أننا نريد أن نكون مستعدين لمساعدة من هم بيننا ولديهم احتياجات خطيرة ولا يمكنهم أن يساعدوا أنفسهم.

إذا كانت لديك مجموعة لدراسة الكتاب المقدس أو حتى مجموعة أصدقاء مهتمين بالاشتراك في ثورة المحبة، فهناك شيء يمكنكم أن تفعلوه وهو اختيار أمين للصندوق أو فتح حساب بنكي والسماح لكل واحد بالتبرع لهذا الصندوق الخاص كل أسبوع أو كل شهر. يمكنكم أن تسموه «المحبة العاملة» إذا أردتم أو أن تختاروا اسماً خاصاً بكم، لكن استخدموه لتسديد الاحتياجات التي تظهر. كثيراً ما نسمع عن احتياجات ونتمنى لو أن معنا أموالاً أكثر. لماذا لا نبدأ في الادخار لمثل هذه الأوقات لكي نكون مستعدين؟ إذا لم تجد مجموعة مهتمة، فابحث عن شخص أو اثنين أو افعل ذلك بمفردك إذا اضطررت ، لكن ارفض أن تظل لا تفعل شيئاً!

لماذا أحتاج إلى ذراعي إذا لم أكن أستخدمه لمساعدة شخص ما؟

من العبارات الرهيبة التي اكتشفتها أثناء دراستي لكيفية تجاوب أيوب

مع الفقراء كانت هي ملاحظته أنه إذا لم يستخدم ذراعه ليساعد بها المتألمين، فيجب أن يخلعها شخص ما من جسده (انظر أي ٣١ : ٢١-٢٢). هذا جعلني أدرك مدى جديته في مسألة مساعدة الناس. هل أنا مستعدة أن أكون بهذه الجدية؟ هل أنت مستعد لها؟

هل يوجد هدف حقيقي من الحياة إذا كان كل ما سنفعله هو النهوض كل صباح والحياة لأنفسنا فقط؟ لقد جربت هذا، ووجدت أنه يجعلني فارغة وغير مشبعة. لا أعتقد أن هذا هو ما يريده الله لنا على الإطلاق بوصفنا ممثلين له على الأرض.

لقد توقفت عن كتابة هذه الكلمات لفترة قصيرة لأعيد قراءة كل النصوص الكتابية التي أمكنني العثور عليها بخصوص محبة الآخرين، والآن زاد اقتناعي أكثرمن أي وقت مضى أن هذا هو الغرض الحقيقي في الحياة. أشجعك أن تكرس كيانك كله لفعل الخير. قدم لله يديك وذراعيك وفمك وقدميك وعينيك وأذنيك، واطلب منه أن يستخدمها ليحسن بها حياة شخص آخر. استخدم ذراعيك لتمد يد الرجاء لشخص جائع أو متألم أو وحيد.

حصاد المحبة

حياة العطاء وإيثار الغير لها حصاد في حياتنا. لا يوجد خطأ في الرغبة في الحصاد وتوقعه. يجب ألا يكون دافعنا لمساعدة الآخرين هو الحصول على شيء لأنفسنا، لكن الله يقول إننا سوف نحصد ما نزرعه ويمكننا أن نتطلع إلى هذه المنفعة. أحد النصوص الكتابية التي تعبر عن هذه الحقيقة بشكل جميل هو ما جاء في إنجيل لوقا ٦ : ٣٨ : «أَعْطُوا تُعْطَوْا كَيْلاً جَيِّداً

مُلَبَّداً مَهْزُوزاً فَائِضاً يُعْطُونَ، فِي أَحْضَانِكُمْ. لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ».

الله يعد بمجازاة من يطلبونه باجتهاد (انظرعب ١١ : ٦). وكلمة مجازاة في اللغة اليونانية الأصلية للعهد الجديد تعني «الأجرة التي نقبلها في هذه الحياة» أو «التعويض». في اللغة العبرية، التي كُتب بها العهد القديم، جاءت كلمة مجازاة بمعنى «ثمر، أو أجرة، أو نتاج، أو ثمن، أو نتيجة». وقد اسْتُخدمت كلمة مجازاة ٦٨ مرة في الترجمة المنقحة للكتاب المقدس. الله يريدنا أن نتطلع إلى مكافآت طاعتنا واختياراتنا الصالحة.

إذا اعتنينا بالفقراء والمظلومين، فالله يقدم لنا الوعد أننا لن نحتاج، لكن إذا حجبنا عيوننا عن احتياجهم سوف تكون لنا «لعنات كثيرة» في حياتنا (أم ٢٨ : ٢٧)، بل إن كاتب سفر الأمثال يقول أيضاً إننا عندما نعطي الفقير نحن بذلك نقرض الله (انظر أم ١٩ : ١٧). لا يمكنني أن أتخيل أن الله لا يرد ما يقدم كقرض له مع فائدة كبيرة.

أشجعك أن تعمل على تحقيق العدل للمظلومين. وهذا يعني ببساطة أنك عندما ترى شيئاً تعرف أنه ليس صحيحاً، تعمل على تصحيحه.

الحياة في النور

كلنا تقريباً نريد المزيد من النور في حياتنا. وهذا يعني وضوحاً أكثر وفهماً أفضل وحيرة أقل. أعلن النبي إشعياء أننا إذا قسمنا خبزنا للجائعين، واستضفنا الفقراء المشردين في بيوتنا، وكسونا العريانين، وتوقفنا عن حجب أنفسنا عن الاحتياجات المحيطة بنا، سوف ينفجر نورنا (انظرإش

٥٨ : ٧-٨) . كما قال أيضاً أن شفاءنا وصحتنا وقوة الحياة الجديدة سوف تنبت سريعاً . يبدو هذا جيداً لي وأنا على يقين أنه كذلك بالنسبة لك .

كتب إشعياء عن العدل وقال إنه سيسير أمامنا ويوصلنا للسلام والرخاء، وأن مجد الرب سيحمينا من الخلف . إن كنا نشطاء في مساعدة المظلومين، سوف يسير الرب أمامنا ويسير خلفنا أيضاً ! أحب هذا الشعور بالأمان واليقين .

ويقول إشعياء أيضاً أننا إذا سكبنا ما يحفظ حياتنا للجائعين وأشبعنا احتياج المتضايقين، سيظهر نورنا في الظلمة، وأي ظلام دامس نجتاز فيه سيكون مثل شمس الظهيرة (انظر إش ٥٨ : ١٠) . الشمس لامعة جداً في الظهيرة ، ولذلك يبدو لي وكأن مساعدة الناس هي الوسيلة للحياة في النور .

سوف يقودنا الرب على الدوام ويشبعنا حتى في أوقات الجفاف . سوف يقوي عظامنا وتصبح حياتنا مثل جنة مروية (انظر إش ٥٨ : ١١) . كل هذا يحدث نتيجة الحياة بهدف تحقيق العدل للمظلومين .

أرجو أن ترى ما أراه أنا في هذه الوعود . أعتقد أن معظمنا يهدرون الكثير من الحياة في محاولة الحصول على ما يمكن أن يمنحه الله لنا بسرور إذا كنا فقط نفعل ما يطلبه منّا . اهتم بالفقراء والجائعين والمحرومين واليتامى والأرامل والمتضايقين والمحتاجين . عش حياتك لتساعد الآخرين، وسوف يشبعك الله بكل الطرق الممكنة .

ثائر المحبة

مارتـن سـميث

ما الذي تدور حوله محبتنا؟

أتذكر هذا بكل وضوح. كان هذا في ١٠ يناير ٢٠٠٨، في شارع جانبي مليء بالحفر وليس به رصيف، كان يكفي فقط لأن ينحشر به أتوبيس. خرجنا في الحرارة، والفوضى، ورائحة آلاف الإطارات المستعملة التي أشعلوا فيها النار بعد أن سكبوا عليها وقوداً رخيصاً وقمامة الشهر الماضي. أكشاك، وورش، وأكواخ، وبيوت. ثياب ساري، وصنادل وأقدام حافية، وضجيج يصم الحواس.

لكن كل هذا لم يكن شيئاً بالمقارنة بما حدث بعد ذلك . . .

كانت هذه هي مومباي في الهند. كنّا في أحد الأحياء الفقيرة، أو للتحديد، كنا في منطقة ضوء أحمر في أحد الأحياء الفقيرة الكثيرة بالمدينة. لم تكن هناك أضواء حمراء نراها، وبدا أن كل واحد هناك كان مشغولاً بطريقة ما - يصنع شيئاً أويبيع أو يكنس أو يحمل؟

لقد أتينا لنرى «بريم كيران» - وهو مشروع مخصص للعمل مع أولاد المشتغلات بالدعارة وعائلاتهن، أتينا بناء على دعوة من ديف وجويس، وقد قالا لنا إنه كان مشروعاً يجب أن نراه بأنفسنا.

أظن أنني لم أقابل من قبل مثل هذا العدد من الناس في غرفة واحدة. كان الأمر كما لو أن الجدران لا يمكنها أن تسع كل هؤلاء البشر. كان هناك سبعين وجهاً مبتسماً، وكل الأوجه التفتت نحو الزائرين مثلما تلتفت زهور عباد الشمس إلى شمس المساء. بالخارج كنت أرى الشارع والحي الفقير

والحواري التي يتجول فيها الكثير من الألم والمعاناة والموت، لكن الوجود داخل هذ الغرفة كان اختباراً فعالاً أكثر من أي شيء تذوقته من قبل.

كان هناك طفلة واحدة بالذات شعرت أنني لا أستطيع أن أتركها. كان اسمها «فارين» وكان بها شيء يخبرني أنني إذا تركتها ومضيت، سأواجه المتاعب.

واكتشفت المزيد في الساعة التالية. كانت فارين مثل معظم الباقين، ابنة لأم تعمل بالدعارة. وقد تدخَّل مشروع بريم كيران وساعدها على تحسين حياتها كثيراً، فقدم لها الطعام والثياب والتعليم وتعضيد المسيحيين المحبين المكرسين المضحين، لكن الأسئلة انهالت على ذهني.

كم مرة اضطرت فارين أن تختبئ تحت السرير بينما كانت أمها تعمل؟

ما مدى الخطر الذي تعرضت له في شوارع هذا الحي بعد حلول الظلام؟

كيف يمكن لحياتها أن تأمل في الاختلاف إذا لم تخرج الآن؟

كيف يمكنني أن أرحل؟

كيف يمكنني؟

ذلك المساء في مومباي غيَّر كل شيء.

في المساء التالي كنّا نقدم حفلة موسيقية في المدينة. ماذا يمكننا أن نفعل سوى أن نأتي بالأطفال وأمهاتهم لينضموا إلينا على خشبة المسرح؟ فأتوا، وكان أمراً رائعاً أن يصعدوا معنا – بابتساماتهم الخجولة، ووثباتهم

الفرحة، وصدمتهم الحضارية. ثم حدث شيء أكبر من هذا. بدأنا نعزف، وبدأت الأمهات ببساطة يرقصن. أمهات الليل، عاملات الجنس اللواتي وضعن أحمر شفاه وارتدين ثياب الساري الباهتة، بدأن يرقصن بحرية ورشاقة ومحبة أمام حشد من الآلاف. كن يتمايلن مثل الريشات الساقطة، بأيديهن التي كانت تحكي حكايات كثيرة، وأقدامهن التي تطأ الأرض بحرص، أسرتنا رقصاتهن بشكل لم أره من قبل.

وعندها صدمني الأمر: أين يجب أن يوجد العدل؟ أين يجب الترحيب بالمنبوذين؟ أين يجب أن يجد هؤلاء الذين أثقل الفقر حياتهم الحرية والرجاء؟ أين يجب أن تُنفق محبتنا بدون سؤال؟

لقد تربيت في الكنيسة، لكنني في الطريق فاتتني بعض الدروس. لم أتعلم أنه لا يوجد فصل بين التجاوب مع الفقر والظلم، ودورنا كمسيحيين عابدين - الله لا يريد تقسيم الأشياء بهذه الدقة. منذ سنوات كنت سأجري مسافة طويلة مبتعداً عن اقتراح أن نسمح لمجموعة من النساء اللاتي أُجبرن على ممارسة الدعارة أن ترقصن على المسرح أثناء العبادة. الآن يبدو هذا علامة من علامات الزمان. يبدو أن الله يحرك الكنيسة كما لم يحدث من قبل، ويسمح لنا أن نعرف أن هذه النوعية من الناس هي التي تحتاج إلى الترحيب.

عندما يتعلق الأمر بفكرة كم نحتاج إلى ثورة محبة، فليس عندي سوى سؤال واحد: ما الذي تدور حوله محبتنا؟

رجعت من رحلة مومباي، وشعرت أن كل شيء لم يكن في مكانه الصحيح. توقفت رأسي عن العمل بالطريقة التي كانت معتادة عليها،

وشعرت أنني في ورطة كبيرة. شعرت بتثقل تجاه فارين، وأننا إذا لم نفعل شيئاً بأنفسنا سوف تتجه حياتها إلى مستقبل يقتله الألم والفقر والإساءة والمرض. شعرت كما لو أنها أصبحت ابنة أخرى لي وأن عائلتنا ناقصة بدونها.

واتضح أن خطة الله كانت مختلفة عن خطتي.

وبعد مرور عام وعدة أشهر، وبينما أكتب الآن عن هذا الاختبار، أقول إن الأمور لم تحدث بالطريقة التي افترضتها. لم تترك فارين المدينة، بل مازالت تعيش مع أسرتها، لكن أمها لم تعد تعمل بالدعارة، وهم على وشك الانتقال إلى مكان يبعد عن مومباي عدة ساعات، ليعيشوا في مجتمع من الناس الذين يشبهونهم - عاملات جنس سابقات يردن أن يجدن حياة جديدة بعيداً عن فوضى الماضي ومخاطره. تبدو حياة فارين أكثر إشباعاً مما كنت أتمناه.

وحياتي؟
بطريقة ما كنت محقاً في كوني سأصبح أباً مرة أخرى، لكن ليس لفارين. ففي ذلك العام أنجبنا أنا وزوجتي طفلاً آخر - جمعية خيرية أسميناها كومباشون آرت، أو فن الشفقة.

تهدف جمعية فن الشفقة إلى جمع النقود من خلال مشروعات متعلقة بالفن (مثل الألبومات والكتب) واستخدام أموال المبيعات وحقوق الطبع لمحاربة الفقربكل صوره، سواء كان الفقر القاسي الذي يسلب الناس حياتهم أو الفقر الذي يصعب التعرف عليه لكنه يسلب الناس رجاءهم. وأذكر أننا تحدثنا مع جويس وديف عن هذا الأمر في بداية التفكير فيه،

مما يجعلهما على ما أظن الجد والجدة لجمعية فن الشفقة أو شيئاً مثل ذلك. لقد كانت غيرتهما وحكمتهما معيناً لنا لاتخاذ هذه الخطوات الأولى.

لكن الأكثر من ذلك أن هدف هذه الجمعية هو توضيح المعادلة الصحيحة، فهي تقاوم المفهوم الذي يقول إننا إذا تخلصنا من اهتمامنا بالآخرين سوف يظل إيماننا في الطريق الصحيح، لكن هذا غير صحيح. الحقيقة بالطبع أن إيماننا يضعف في هذه الحالة. عندما تكون غيرتنا وهدفنا ومحبتنا تدور حول مقاصدنا الشخصية، فبالتأكيد هناك خطأ في فهمنا.

عندما تتخطى محبتنا أنفسنا، نجد أنفسنا متماشين وقريبين من طريق الله الصحيح.

مؤخراً كلما وجدت نفسي أمام ميكروفون أو على المسرح أو أمام جمهور، وأتساءل ما الذي سيحدث بعد ذلك، أشعر برغبة في قراءة إشعياء ٥٨. لا أستطيع مقاومة بساطة هذه الكلمات وقوتها، ومع أنها في الأساس كانت موجهة لبني إسرائيل منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة، إلا أنها تتعامل مع قضايا أبدية ترتبط بأيامنا الحالية.

تتملك عليَّ الرغبة في السطور الأولى: « نَادِ بِصَوْتٍ عَالٍ. لاَ تُمْسِكْ. ارْفَعْ صَوْتَكَ كَبُوقٍ» (إش ٥٨ : ١).

ما يأتي بعد ذلك يستحق أن نصرخ به، لا أن نهمس به أو نكتمه ليوم آخر. إنها قضية واقعية يجب أن تجذب انتباه كل واحد في كل مكان « وَإِيَّايَ يَطْلُبُونَ يَوْماً فَيَوْماً، وَيُسَرُّونَ بِمَعْرِفَةِ طُرُقِي كَأُمَّةٍ عَمِلَتْ بِرّاً، وَلَمْ تَتْرُكْ قَضَاءَ إِلَهِهَا. يَسْأَلُونَنِي عَنْ أَحْكَامِ الْبِرِّ. يُسَرُّونَ بِالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ»

(ع ٢) . المشكلة تكمن في أنهم يتصرفون كما لو كانوا يريدون التقرب إلى اللّٰه. واضح أن هذا القلب ليس صحيحاً، ويتجه للسقوط.

يجيب اللّٰه على سؤالهم عن لماذا يبدو أنه تجاهل كل أعمالهم التي كانت دينية من الدرجة الأولى، فيقول: «هَا إِنَّكُمْ فِي يَوْمِ صَوْمِكُمْ تُوجِدُونَ مَسَرَّةً، وَبِكُلِّ أَشْغَالِكُمْ تُسَخِّرُونَ ... لَسْتُمْ تَصُومُونَ كَمَا الْيَوْمَ لِتَسْمِيعِ صَوْتِكُمْ فِي الْعَلاَءِ» (ع ٣-٤).

ثم يذكر الدروس مرة أخرى، ويوضح الخلاصة حتي يتسنى لمن كانوا نائمين بالمؤخرة أن يفهموا أخيراً: «أَلَيْسَ هَذَا صَوْماً أَخْتَارُهُ: حَلُّ قُيُودِ الشَّرِّ ... وَإِطْلاَقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَاراً ... أَلَيْسَ أَنْ تَكْسِرَ لِلْجَائِعِ خُبْزَكَ، وَأَنْ تُدْخِلَ الْمَسَاكِينَ التَّائِهِينَ إِلى بَيْتِكَ؟ إِذَا رَأَيْتَ عُرْيَاناً أَنْ تَكْسُوهُ، وَأَنْ لاَ تَتَغَاضَى عَنْ لَحْمِكَ» (ع ٦-٧) . لا يمكن التوضيح أكثر من هذا، أليس كذلك؟ المضطهدون، ومن أُسيء إليهم، والجائعون، ومن هم بلا بيت، والفقراء - هؤلاء هم من يجب أن تدور حولهم محبتنا، وليس أنفسنا أو أفكارنا الفاشلة عن التدين المبهر.

أوضح اللّٰه نتيجة كل هذا حين قال: «حِينَئِذٍ يَنْفَجِرُ مِثْلَ الصُّبْحِ نُورُكَ، وَتَنْبُتُ صِحَّتُكَ سَرِيعاً ... حِينَئِذٍ تَدْعُو فَيُجِيبُ الرَّبُّ. تَسْتَغِيثُ فَيَقُولُ: «هَئَنَذَا»» (ع ٨-٩).

ظللنا لسنوات نبحث عن العلاقة الحميمة في عبادتنا. رنمنا الترانيم التي تتحدث عن أن اللّٰه قريب وأن حياتنا ملكه. وبحثنا عن تلك اللحظات التي فيها نعرف أن اللّٰه قريب، سعينا وراء صوته وبحثنا عن خططه. وفي كل هذا فاتنا المفتاح للعلاقة الحميمية الحقيقية: « إِنْ نَزَعْتَ

مِنْ وَسطِكَ النِّيرَ وَالإِيمَاءَ بِالإِصْبِعِ وَكَلاَمَ الإِثْمِ وَأَنْفَقْتَ نَفْسَكَ لِلْجَائِعِ، وَأَشْبَعْتَ النَّفْسَ الذَّلِيلَةَ ... يَقُودُكَ الرَّبُّ عَلَى الدَّوَامِ، وَيُشْبِعُ فِي الْجُدُوبِ نَفْسَكَ، وَيُنَشِّطُ عِظَامَكَ فَتَصِيرُ كَجَنَّةٍ رَيَّا وَكَنَبْعِ مِيَاهٍ لاَ تَنْقَطِعُ مِيَاهُهُ» (ع ٩-١١).

وإذا فعلنا هذا، فسوف ننال ما هو أكثر من مكافأة، أن نسمع صوت الله ونحمل محبته لمن هم في أشد الحاجة إليها، وأكثر من الصورة الرائعة أن نكون مثل جنة ريّا في الحياة نفسها. سوف ننال كما يقول إشعياء أن يبدأ شعب الله في اتخاذ مواضعهم في التاريخ «وَمِنْكَ تُبْنَى الْخِرَبُ الْقَدِيمَةُ. تُقِيمُ أَسَاسَاتِ دَوْرٍ فَدَوْرٍ فَيُسَمُّونَكَ «مُرَمِّمَ الثُّغْرَةِ، مُرْجِعَ الْمَسَالِكِ لِلسُّكْنَى»» (ع ١٢).

وهناك المزيد أيضاً: «فَإِنَّكَ حِينَئِذٍ تَتَلَذَّذُ بِالرَّبِّ، وَأُرَكِّبُكَ عَلَى مُرْتَفَعَاتِ الأَرْضِ، وَأُطْعِمُكَ مِيرَاثَ يَعْقُوبَ أَبِيكَ» (ع ١٤).

وكل هذا نتيجة التوقف عن محاولة إبهار الله بمحاولاتنا أن نكون «روحانيين» وأن تكون لنا خدمات جيدة تبهر من حولنا. كل هذا نتيجة إطعام شخص جائع، نتيجة تقديم الثياب للفقراء، نتيجة الدفاع عن العاجزين، والتكلم نيابة عن الضعفاء. كل هذا - كل هذا التاريخ - يُصنع من أبسط الأفعال. فقط عندما - فقط عندما نتعلم أن نحب الآخرين أكثر من أنفسنا.

هناك حقيقة أخرى وراء كل هذا، فالحقيقة هي أنه يمكن أن يكون من الصعب أن ننظر ونحاول ونجعل محبتنا تدور حول الآخرين. فالمحبة الأسهل هي التي تدور حولنا. لماذا؟ جزء من السبب هو أن هكذا كان الحال دائماً

بدءاً من قصص الأزواج والزوجات الذين يتذوقون الثمرة المحرمة، إلى الملوك على الأسطح وهم يتلصصون على النساء اللواتي سيترملن سريعاً، والأنبياء عصبيي المزاج الذين يتوجهون إلى إسبانيا لأنهم لم يستطيعوا أن يواجهوا فكرة أن الله يقدم رحمته إلى أي شخص سوى شعبه. هكذا كان الحال دائماً معنا، صراع مستمر لأننا نضع أنفسنا على العرش بدلاً من الله ونظرته غير الأنانية للحياة.

بل يبدو أن الأمر أصعب اليوم مما كان عليه قبلاً. إذ توجد حولنا قوى تدفعنا أن نروي ظمأنا، ونستسلم للنزوات لأننا «نستحق ذلك»، وأن نتشبث بالحياة ونصوغها على صورتنا. لقد خُلقنا لكي نريد – ونحاول أن نمتلك – كل شيء: المظهر، والثياب، والدخل، والبيت، والعلاقات، والوظيفة. كل شيء مصمم لكي يحسن صورتنا ويجعل حياتنا أفضل بكثير.

لكننا نعرف حقيقة الحياة، أليس كذلك؟ نعرف أنه بالرغم من الضغوط التي نتعرض لها لكي نشابه العالم، فإن الحياة التي تدور حولنا لا يمكن أبداً أن تؤدي إلى السعادة الحقيقية.

كنت دائماً أحب أن نعزف مقطوعة موسيقية معينة ونرنم عليها ترنيمة تحكي عن الإنسان الذي يصنع التاريخ. وعلى مر السنين في فرقتنا رنمنا هذه الترنيمة مئات المرات، وكنّا نشعر أن الكلمات لها قوة ما تجعل الناس يشعرون بالتحفيز والثقة والدفعة لأن يبدأوا في الحياة بشكل مميز يصنع التاريخ. لكن هناك المزيد، لابد أن يكون هناك ما هو أكثر من ذلك.

إذا كنّا نريد أن نكون صُنّاع التاريخ – وهناك الملايين الذين يعتمد

مستقبلهم على أن يكون هناك المزيد والمزيد منا يتغنون بهذا ويحققونه - فسيكون هذا بالنسبة لمعظمنا نتيجة مجموعة محددة من الأسباب. سوف نصنع التاريخ عندما نختار أن نعيش حياتنا كسلسلة من الأفعال الصغيرة التي تؤثر الغير. وكما قالت الأم تيريزا: «لا توجد أمور عظيمة، بل توجد فقط أمور صغيرة تُؤدَّى بمحبة عظيمة». لو استطعنا أن ندخل هذه المحبة في التركيب الجيني لنا، سوف يتمكن المسيحيون الذين يبلغ عددهم بليونا نسمة من إنهاء الفقر العالمي في غضون بضعة أسابيع. هذا هو التاريخ الذي أريد أن أرانا ونحن نصنعه. انسَ التركيز الداخلي، وعندها كما تعدنا الكلمات القديمة في إشعياء ٥٨، سوف نسمع الله بشكل أوضح ونقترب أكثر من قوته وقصده عندما نكف عن التفكير فقط في أنفسنا، ونبدأ في حل المشكلات وتسديد الاحتياجات المحيطة بنا. الأمر بهذه البساطة.

ما أعرفه عن يقين هو أن الأشياء الكبيرة دائماً قوية، لكن الصغيرة جميلة لأقصى درجة. ثورة المحبة هذه لها القدرة أن تكون كبيرة، لكنها لن تتكون سوى من أعمال صغيرة نابعة من المحبة المضحية التي تُؤثِر الغير. لذا فإن مسارحنا الكبيرة ومبيعات ألبوماتنا الكبيرة وأغنياتنا الكبيرة - حسناً، كلها في أفضل حالاتها لا بأس بها، لكنها لا تقارن بقوة الحياة التي نعيشها ضد التيار.

نقطة واحدة أخيرة. ما هو دور الموسيقى في هذا كله؟ هناك إغراء قوي أن تترك كل شيء إبداعي وتذهب لتعيش داخل صندوق كرتوني. إذ يبدوالأمر كما لو أن هذا سيكون هو الطريقة التي نفعل بها أخيراً شيئاً «حقيقياً» في حياتنا، لكن هذا المفهوم ناقص بالتمام. إن خير الإنسان

يرتبط به ككل - جسداً ونفساً وروحاً. لقد شهدت بعيني قوة الموسيقى، وأنا على يقين أنها سلاح الله السري. الموسيقى يمكنها أن تحقق الوحدة حيث تسود الحروب، يمكنها أن تخفف الألم حيث يوجد الانكسار، يمكنها أن تكسر أقسى القلوب، وتطيب أكثر القلوب انكساراً، بدءاً من ضحايا الإبادة الجماعية في رواندا إلى أهالي نيويورك الذين فقدوا عائلاتهم في حادثة البرجين، وأيضاً من سببت لهم كراهيتهم الكثير من المعاناة.

أدخل الله إلى المعادلة - لا أقصد أنك يمكنك أن تخرجه منها، لكنك تعرف تماماً ما أقصده، أليس كذلك؟ وسوف تجد حشداً من الهنود تحت السماء المكشوفة يترنمون بترانيم «الله» ويعبدون القدير مع الملائكة. افتح عينيك، وسوف ترى الشفاء آتياً. ربما لا يضع هذا طعاماً في أفواه الأطفال اليائسين على الفور، لكنها لحظة تلمس فيها السماء الأرض، وفي هذه اللحظة يحدث الشفاء. عندها نشعر بالانتماء، ونشعر أننا لسنا وحدنا. ونشعر بذلك الشعور الرائع أن الله نفسه لم يتركنا.

الموسيقى يمكنها أن تفعل هذا، والله لا يدعونا لأن نتخلى عنها ونذهب لنعيش داخل صندوق كرتوني. إنه يدعونا أن نستخدم موسيقانا، التي هي موهبة وضعها هو فينا لنساعد بها المساكين الذين يعيشون في ظروف يائسة. إن انتبهنا للدروس التي يوضحها لنا إشعياء، فأنا متأكد أن الأيام القادمة سوف تشهد معجزات عظيمة قبل حتى أن نتغنى بأية نغمة موسيقية.

إنها موسيقى وثورة محبة!

أريد أن أخبرك عن ستيفن كورتيس تشابمان وهو كاتب ترانيم وقائد

عبادة، ورجل يبث الحماس مع كل نسمة تخرج منه، ويقود باتضاع ونعمة. ذات مرة جعلني هذا الرجل أدرك الأمر جيداً. قد يكون باع الملايين من الألبومات، وحضر عدداً لا حصر له من مهرجانات الموسيقى والجوائز ونال التكريم فيها. لكن إذا سألته عما يفخر به أكثر من أي شيء آخر فسيقول لك إنه يفخر بالطريقة التي عاشت بها أسرته، إذ كانت تتبنى الأطفال الذين يحتاجون إلى بيت، ويقول لك: «هذه أوضح علامة على أن الله عامل في حياتي».

عندما ننظر إلى ما وراء أنفسنا، عندما تدفعنا محبتنا للآخرين إلى ما وراء ما هو مريح لنا، عندما نستثمر كنوزنا في إعادة بناء حياة آخرين، عندها سنجد أنفسنا نعيش وسط أوضح العلامات التي تشير إلى أن الله عامل في حياتنا.

هذه ثورة لن تظهر على شاشات التليفزيون. فإذا قمنا بهذا بالشكل الصحيح، لن تحتاج إلى هذا. لأن برهان المحبة العاملة سوف يشرق في حياتنا كلها، مغيراً المناطق التي نعيش فيها وباعثاً للرجاء في الأجواء.

الأمر بهذه البساطة.

الفصل

٨

المحبة تشمل الكل، ولا تستبعد أحداً

إذا كنت تدين الناس، فليس لديك الوقت لتحبهم.

الأم تيريزا

دخلت «جامي» إلى الكنيسة التي على تقاطع طريق سبروس مع شارع اثنين وثلاثين في هاربور بولاية إلينوي. كانت تشتاق إلى المساعدة. منذ وقت طويل وهي ترى مبنى الكنيسة وتراقب الناس وهم يدخلون ويخرجون مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع. كانت جامي عادة تجلس في المقهى المقابل للكنيسة، تشرب القهوة وتتساءل هل إذا استجمعت شجاعتها وذهبت إلى أحد اجتماعات الكنيسة ستكون مقبولة؟

عندما كانت جامي طفلة ذهبت إلى مدرسة الأحد بضع مرات مع جارتها، لكنها بالتأكيد لم تكن تعرف سوى القليل عن بروتوكول حضور الكنيسة. لم تكن متأكدة أنها يمكن أن تتوافق مع الكنيسة أو تكون مقبولة فيها، لذلك ظلت تحتسي قهوتها وتتفرج. حاولت أن ترى

إذا كان من يذهبون للكنيسة تبدو عليهم السعادة وهم خارجون أكثر مما كانوا عليه عندما دخلوا، لكنهم كلهم كانوا يرحلون بسرعة فلم تستطع أن ترى بوضوح. أحياناً كان أحد الذين خرجوا من اجتماع الكنيسة يأتي إلى المقهى بعد الكنيسة. قليلون منهم كانوا يجلسون وحدهم، وفي الحقيقة بدوا وحيدين مثلها تماماً. البعض كانوا يأتون مع آخرين، وكانوا يضحكون ويبدون سعداء، مما أعطاها الأمل أنه ربما في يوم من الأيام سوف تتشجع وتذهب إلى الاجتماع.

نشأت جامي في بيت لم تنل فيه سوى القليل من المحبة، فقد كان والداها كلاهما مدمنين للكحوليات، ومع أنهما لم يقصدا أن يسيئا إليها أبداً، إلا أنهما دمرا صورتها الذاتية من خلال التسرع في نقدها والتركيز على أخطائها. كثيراً ما وضعاها في مقارنة مع أخيها الذي بدا بكل الطرق أذكى وأمهر منها. كانت دائماً تشعر أنها غير محبوبة، وقبيحة، وغبية، وكما لو أن لا قيمة لها على الإطلاق.

عندما بلغت سن الثالثة عشرة انضمت إلى مجموعة أصدقاء غير سليمة، وبدأت تشرب الخمور وتتعاطى المخدرات. كان ألمها العاطفي عميقاً جداً لدرجة أنها كانت تريد أن تخدره عن طريق هذه المواد. كما أنها أيضاً كانت تعاني من اضطراب في الأكل يسمى البوليميا. كانت تتناول كميات عادية من الطعام، وأحياناً تتناول كميات كبيرة، لكنها كانت تجبر نفسها على التقيؤ بعد الأكل لكي لا تصاب بالبدانة.

لم تنس أبداً يوم ميلادها الثاني عشر، عندما نظرت إليها أمها باشمئزاز وقالت: «لم يتوفر لديَّ وقت لأخبز لك كعكة عيد ميلاد. لكنك لا تحتاجين إليها على أي حال، فأنت سمينة بما فيه الكفاية!» لم تكن تظن أبداً أنها

سمينة حتى ذلك اليوم، لكن منذ ذلك الحين بدأت تتطلع إلى نفسها كل يوم في المرآة وترى فتاة تبدو أسمن مما هي عليه حقاً بحوالي ثلاثين رطلاً. لقد تشوهت صورتها عن نفسها بفعل الأشياء الدنيئة الخالية من المحبة التي كانت أمها تكررها على مسمعها.

لم تكن درجات جامي في المدرسة جيدة جداً لأنها لم تكن تشعر أنها مناسبة للدراسة الجامعية، ولذلك عندما تخرجت من المدرسة الثانوية، عملت في وظيفة لترتيب الأرفف وتعبئة البقالة في محل بقالة قريب من المنزل. لم تستطع ادخار مال يكفيها للانتقال من منزل والديها لتعيش بمفردها، لكنها كانت تستطيع أن تشتري ثيابها وشرابها المسكر وبعض المخدرات عندما كانت تريد حقاً أن تنعزل. وفي معظم الوقت الباقي كانت تتجنب البقاء في البيت عن طريق الجلوس في المقهى أو التمشي في الجوار وتخيل شكل العائلات الأخرى التي تعيش في هذا الحي. لم يكن لها أي أصدقاء حقيقيين – على الأقل لم يكن لديها الأصدقاء الذين تثق بهم أو تشعر أنها يمكنها الاعتماد عليهم. كان الناس الذين في حياتها مستغلين، وليسوا معطائين، وكانت تخشى معظمهم.

في أحد الأيام تجرأت أخيراً ودخلت الكنيسة في وسط الجموع التي كانت تدخل، فاندمجت وسط الزحام. كان جزء منها يريد ألا يلاحظها أحد، لكن الجزء الآخر يتوق بشدة إلى من يرحب بها ويقول: «نحن سعداء للغاية أنك هنا اليوم». لاحظت أن الناس كانوا يحدقون فيها، وكان بعضهم يتهامسون، لكن لم يبد أي منهم المودة. كانت ثياب جامي جامحة بعض الشيء بالنسبة لذوق معظم الناس، وكان شعرها ملوناً بحوالي ثلاثة ألوان مختلفة. كان في الأصل أسود، وبه خطوط حمراء وشقراء.

وكانت ترتدي بنطلون جينز فضفاضاً وقميصاً فضفاضاً. لم تفعل هذا بهدف الشعور بالراحة، بل كانت تحاول أن تخفي جسمها الذي كانت تظنه سميناً. وكانت تلبس في قدميها شبشباً من النوع الذي لم يكن أحد بالطبع يرتديه عند الذهاب للكنيسة - على الأقل في هذه الكنيسة!

جلست جامي في آخر صف، وفي الحقيقة لم تفهم أي شيء مما كان يحدث. وقف الناس وقرأوا أشياء من كتاب كان موضوعاً بعناية في رف في ظهر المقعد الخشبي الذي كان أمامهم، ثم جلسوا مرة أخرى. كان هناك بعض الترنيم، والعزف على الأرغن، والصلاة، وكان هناك طبق يدور بين الناس، والناس يضعون فيه نقوداً. وقام رجل يبدو عليه الغضب بعض الشيء وألقى عظة مدتها عشرون دقيقة، لم تفهم منها شيئاً. ظنت أنه هو الراعي، لكنها لم تكن متأكدة من ذلك. وأخيراً بدا الاجتماع على وشك الانتهاء لأنهم كلهم وقفوا مرة أخرى ورنموا ترنيمة واحدة أخيرة.

ظنت أنه ربما يقول شخص ما أي شيء لها في طريقها للخارج. بالتأكيد سيقول شخص ما شيئاً! وقف الراعي عند الباب يصافح الناس بينما كانوا خارجين من الكنيسة. وعندما وصلت إليه جامي، لم يبتسم أو حتى ينظر إليها مباشرة. فهمت أنه كان فقط يؤدي واجبه وكان يريد بشدة أن ينتهي منه.

وبينما كانت تنزل درجات السلم لاحظت أنه كانت هناك امرأة تبدو أنها بانتظارها عند نهاية السلم. شعرت بالحماس لأنه يوجد من لاحظها في النهاية. وصحيح أن المرأة لاحظت جامي، لكنها في الحقيقة لاحظت كل ما يبدو خطأ في مظهرها، فقالت لها: «اسمي مارجريت براون. ما

اسمك؟» فأخبرتها جامي باسمها، فقالت لها مارجريت: «نحن نرحب بك دائماً هنا، لكني فكرت أن أساعدك قليلاً بأن أعرِّفك أننا عندما نأتي إلى الكنيسة التي هي بيت القداسة نرتدي ثياباً لائقة. غير مسموح بالجينز أو الشبشب، وربما يكون من الأفضل أن تعيدي النظر في عمل تسريحة شعر لا تجذب كل هذا القدر من الانتباه. تعرفين يا حبيبتي أن يسوع يعلمنا أن نكون متضعين وألا نجذب الانتباه لأنفسنا». ثم نظرت إلى جامي بابتسامة متكلفة، وقالت «نحن نرحب بك في أي وقت».

لم تستطع جامي أن تذهب إلى المقهى في ذلك اليوم، إذ أرادت أن تذهب إلى مكان ما تكون فيه بمفردها وتبكي، لأنها تشعر الآن أن الله أيضاً يرفضها. قضت جامي بقية اليوم تفكر في الانتحار. كانت في الحضيض، وشعرت أنه لا يوجد أي سبب يجعلها تعيش.

هذه الأسماء خيالية، لكن العالم مليء بأمثال جامي وبيوت القداسة والنساء المتدينات أمثال السيدة مارجريت. إن العالم مليء بالمسيحيين الذين يدخلون الكنائس ويخرجون منها كل أسبوع. وكثيرون منهم يخشون الذهاب ولا يطيقون الانتظار حتى نهاية الاجتماع، فهم منتقدون وديانون وينفِّرون الآخرين بشدة!

الله يحب الجميع بالمثل

ربما لم يكن يسوع موجوداً في بيت القداسة في اليوم الذي ذهبت فيه جامي، لأنه لم يكن ليشعر بالراحة في ذلك المكان مثلها تماماً، لكنه لو كان موجوداً هناك، كان سيتوقع مجيء جامي التي ربما تأتي في يوم ما. كان إما سيجلس بجوارها أو يقربها من المقدمة لكي تجلس معه، وكان

سيسأل إن كانت زائرة. وعندما يكتشف أنها زائرة لأول مرة، كان سيعرض عليها أن يشرح لها أي شيء لا تفهمه. كان سيبتسم إليها في كل مرة كانت ستنظر فيها إليه. ومن معرفتي به أقول إن تسريحة شعرها المتميزة كانت ستعجبه لأنه يحب التنوع! بل ربما كان سيدعوها لتعبر معه الشارع وتتناول القهوة مع المجموعة التي يذهب معها عادة. وعندما يحين الوقت لرحيل جامي كان ستتطلع إلى عودتها في الأسبوع التالي. لكن بالطبع لم يكن يسوع موجوداً في ذلك اليوم، لأنه لم يكن هناك أي شخص تصرف مثلما كان يسوع سيتصرف. لم يكن هناك من يمثله بشكل صحيح، ولم يكن هناك من يحاكي الله.

ليس عنده محاباة

يقول الكتاب المقدس في مواضع عديدة إن الله ليس عنده محاباة (انظر أعمال ١٠ : ٣٤، رو ٢ : ١١، أف ٦ : ٩)، أي أنه لا يعامل بعض الناس بطريقة أفضل من غيرهم نظراً لطريقة لبسهم أو مستوى دخلهم أو مناصبهم أو معارفهم، فهو يعامل الجميع بالمثل، بل إنه أيضاً يبدو أنه يخرج عن طرقه المألوفة لكي يتعامل بأسلوب جيد مع المتألمين بالذات. أعطى الله لموسى توجيهات كثيرة لكي يسلمها لبني إسرائيل فيما يخص معاملة الغرباء الذين في وسطهم، وكانت وصيته دائماً في الأساس هي «اجعلوهم يشعرون بالراحة وعاملوهم بالمودة. لا تظلموهم بأية طريقة» (انظر خر ٢٢ : ٢١، خر ٢٣ : ٩، لا ١٩ : ٣٣). قال الرسول بطرس:

كُونُوا مُضِيفِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً (من هم من أهل الإيمان) [كونوا مضيفين، كونوا محبين للغرباء، لتكن لكم مشاعررقيقة نحو الضيوف غير المعروفين، والأجانب، والفقراء، وكل من ترونهم من جسد المسيح

في طريقكم]. (وافعلوا ذلك في كل مرة) بِلاَ دَمْدَمَةٍ (بحرارة وسخاء وبدون تذمر، وكونوا ممثلين لله). (١بطرس ٤ : ٩)

قبل أن تمر بسرعة على هذا الجزء، راجع مقدار المودة التي تتعامل بها مع من لا تعرفهم، وخصوصاً من يختلفون عنك بالتمام. بعض الناس بطبيعتهم لطفاء ومنفتحون على الآخرين، لكن من لا يبدون منا أنهم يمتلكون «جينات المودة» يحتاجون إلى اتخاذ قرار أن يفعلوا هذا لأن الكتاب المقدس يقول إننا يجب أن نفعل ذلك.

حرض الرسول يعقوب أعضاء الكنيسة على ألا يتعاملوا بطريقة خاصة مع من يأتون إلى المجمع بثياب فارهة أو يقدموا لهم المقاعد المفضلة عندما يدخلون. قال إنه إذا تصرف الناس بهذه الطرق راغبين في معاملة خاصة، فإنهم بذلك يميزون بين الناس، ولهم دوافع خاطئة. قال إننا لا يجب حتى أن نحاول أن نمارس إيمان ربنا يسوع المسيح مع تملق الغير (انظر يعقوب ٢ : ١-٤)، أي أننا يجب أن نعامل كل الناس على أنهم جديرون بالاحترام.

أنهى يسوع التفرقة بين الناس وقال إننا كلنا واحد فيه (انظر غل ٣ : ٢٨). نحتاج ببساطة أن نرى في الناس أشخاصاً ذوي قيمة، وليس أشخاصاً ذوي بشرة سوداء أو حمراء أو بيضاء، أو نرى الماركات التي على ملابسهم أو تسريحات شعرهم أو السيارات التي يركبونها أو وظائفهم أو ألقابهم - بل نرى فقط الناس الذين مات يسوع عنهم.

درس من المقهى

أؤمن أننا كلنا نحتاج إلى التفكير في من تشتمل عليهم دوائرنا

ونوسعها. نحتاج أن نوسع دوائرنا للدرجة التي تجعلها تضم كل أنواع الناس. تقابلت مؤخراً مع «بول سكانلون» وهو قس في برمنجهام بإنجلترا، وكنا نتناول القهوة معاً في المقهى مع بعض الناس. أتذكر أنني نظرت إلى تسريحة شعر الفتاة التي كانت تخدمنا، وللأمانة أقول إنها كانت أغرب شيء رأيته على الإطلاق. كانت رأسها محلوقة فيما عدا ما يسمى الموهوك، وهو الشعر الموجود في المنتصف، وكان أسود وأزرق وأحمر وأبيض. كما كانت هناك ثقوب في أنفها ولسانها وشفتها وعدة أماكن في أذنها. أتذكر أنني شعرت بعدم الارتياح بعض الشيء لأنها كانت مختلفة عني تمام الاختلاف. كنا مختلفتين تماماً لدرجة أنني لم أستطع أن أفكر في أي شيء يمكنني أن أقوله ويمكنها هي أن تفهمه. كنت أريد فقط أن أطلب قهوتي وأحاول ألا أحدق فيها.

لكن بول بدأ محادثة معها، وكان أول ما قاله هو: «يعجبني شعرك. كيف جعلتيه يقف هكذا؟» واستمر في المناقشة معها وفجأة بدأ التوتر الذي كان سائداً قبل ذلك في الزوال، وسرعان ما بدأنا كلنا نشعر بالارتياح واستطعت أن أشعر أننا كلنا بدأنا نشترك في محادثتهما ونشمل تلك الفتاة داخل دائرتنا. تعلمت درساً هائلاً في ذلك اليوم - وهو أنني لست «عصرية» كما كنت أظن عن نفسي، فلازلت أحتفظ ببعض التفكير المتدين الذي يحتاج إلى معالجة، وأحتاج أن أصل إلى مستوى جديد من المساهمة في أن يشعر كل الناس، بما فيهم من يختلفون عني، بالارتياح والانتماء.

ربما كنت أنا غير عادية ومختلفة في نظر هذه الفتاة في المقهى. لماذا نضع أنفسنا دائماً معياراً لما هو مقبول، ونفترض أن أي شخص مختلف

لابد أن لديه مشكلة؟ ما هي تسريحة الشعر الصحيحة، أو طراز الملابس الصحيح؟ في أحد الأيام بدأت أفكر في الشكل الذي كان عليه موسى عندما رجع من جبل سيناء حيث قضى أربعين يوماً وليلة وأخذ الوصايا العشر من الله. أنا متأكدة أن شعره كان غير مرتب، وذقنه تحتاج إلى تشذيب، ورداءه وحذاءه كانا متسخين بعض الشيء. كان يوحنا المعمدان أيضاً غريباً إلى حد ما، فقد كان يعيش في الصحراء وحده ويلبس جلود الحيوانات ويأكل العسل والجراد. وعندما خرج صار يصرخ «توبوا أيها الخطاة، لأنه قد اقترب ملكوت الله!».

يعلمنا الكتاب المقدس أننا يجب أن ننتبه للكيفية التي نعامل بها الغرباء لأننا قد نضيف ملائكة بدون أن ندري (انظر عب ١٣ : ٢). يقول الكتاب إننا يجب أن نكون لطفاء، وودودين، ومرحبين، وأسخياء، معهم ونشاركهم براحة بيوتنا. معظم الناس في المجتمع اليوم لا يتحدثون من الأساس للغرباء، ولا أقول التعامل معهم بالمودة.

أعرف، أعرف، ربما تقول «يا جويس نحن نعيش في عالم مختلف اليوم! فلا يمكن أن تعرفي أبداً من الذي تتحدثين معه!» وأنا أدرك أنك يجب أن تستخدم الحكمة، لكن لا تدع الخوف يجعلك تتصرف بفتور وعداء. بالتأكيد يمكنك أن تبحث عن الشخص الجديد في الكنيسة أوالعمل أو المدرسة أو الحي وتقول له مرحباً!

بالتأكيد يمكنك أن تتحدث إلى امرأة مسنة جالسة في عيادة الطبيب بينما تنتظر أن يُنادى على اسمك للدخول. تبدو هذه المرأة وحيدة جداً، لماذا لا تعطها عشر دقائق من انتباهك غير المشتت، وتسمح لها أن تخبرك بكل شيء عن نفسها. ربما لن تراها مرة أخرى، لكنها سوف تتذكرك.

وبالمناسبة، الله سوف يقدر ما فعلته لأجلها. صحيح أنه كان شيئاً صغيراً، لكنك أدخلتها في دائرتك!

بعد هذا الفصل سوف تقرأ كلمات لكاتب ضيف هو بول سكانلون، الذي يحكي قصة اختباره الذي حاول فيه أن ينقل كنيسته من حالة الموت والتدين إلى كنيسة تختبر النهضة وتمتلئ بالمحبة. يمكن أن نتعلم الكثير من قصته، وسوف تدفعنا أن نسأل أنفسنا بعض الأسئلة التي يصعب الإجابة عليها. إذا أتت النهضة الحقيقية لكنيستك، هل ستكون فرحاً حقاً أم سترحل لأنه سيكون هناك الكثيرون من أمثال جامي أو أسوأ منها؟ قد يأتون من الملاجئ وتكون رائحتهم غير مقبولة، أو قد تفوح منهم رائحة الكحوليات أو أشياء أخرى غير مسرة. المتألمون في العالم لا يظهرون بأفضل الأشكال أو تنبعث منهم ألطف الروائح. أحياناً يفعلون ذلك، لكن ليس دائماً، ويجب أن نكف عن الحكم على كتاب ما من غلافه، وأن نكون مستعدين أن نقرأه. كن مستعداً أن تنظر إلى ما وراء مظهر الناس وتكتشف حقيقتهم.

اخرج عن منطقة راحتك

أحد الطرق التي نظهر بها محبة الله للناس هي أن نخرج عن منطقة راحتنا لكي نجعل شخصاً آخر يشعر بالراحة.

أحد الطرق التي نظهر بها محبة الله للناس هي أن نخرج عن منطقة راحتنا لكي نجعل شخصاً آخر يشعر بالراحة.

كثيرون من المسيحيين يحبون الصلاة لأجل النهضة، بل إنهم يصرخون

وهم يصلون لأجل «كل النفوس الضائعة في العالم». لكن للأمانة أقول إن بعض هؤلاء الأشخاص أنفسهم سيرحلون إذا أتت النهضة فعلياً إلى كنائسهم، لأنها سوف تزعج أسلوب حياتهم المعتاد ولن يحبوا هم أن يحدث ذلك.

وعظت مؤخراً في كنيسة كان يجلس فيها في المقدمة كل المرضى الذين أتوا من بيوت المسنين القريبة على الكراسي المتحركة. وبما أنني كنت المتحدثة، فقد أجلسوني في الصف الأول، لكن الكراسي المتحركة كانت مصطفة أمام الصف الأول. كان الرجل الذي يجلس أمامي مباشرة تفوح منه رائحة سيئة حقاً، وأنا معدتي حساسة فعلياً تجاه الروائح السيئة. (عندما كان أولادنا صغاراً، كنت أطلب من ديف أن يغير حفاضاتهم كلما تواجد في المنزل).

عندما جلست هناك، أدركت الحس الفكاهي لله، فقد وضعني في المكان الذي يريده تماماً ... كنت أستعد للنهوض والتحدث برسالة للكنيسة عن المحبة وشمول الآخرين! كان عليَّ أن أصلي كثيراً بينما كنت أنتظر أن يحين وقتي للكلام. ولابد أنني بدوت في غاية الروحانية لأنني أبقيت أنفي عالياً في الهواء بقدر الإمكان، لذلك ربما بدا الأمر وكأنني أنظر لأعلى نحو السماء. كنت أعرف أن الله رتب لي أن أجلس هناك وأنني في الحقيقة كنت أحتاج أن أوجد في ذلك الموضع، وقد فادني كثيراً أن أضطر لفعل ما كنت أستعد لأخبر الآخرين أن يكونوا مستعدين لفعله. لا يجب أن نكون دائماً مستريحين في كل مكان نذهب إليه! ربما لم يكن لهذا الرجل شخص يحممه بصفة منتظمة، ولم تكن بيده حيلة من جهة الرائحة التي تنبعث منه. بالمناسبة، ربما تكون هذه خدمة جيدة لشخص

يبحث عمن يفعل هذا له. اذهب إلى دار المسنين القريب منك وتطوع أن تحافظ على نظافة المرضى!

جامي تحاول مرة أخرى

ونحن نختتم هذا الفصل، أريد أن أكمل قصة جامي. بعد اختبارها الحزن مع الكنيسة، أقسمت ألا تفعل ذلك مرة أخرى (أي الذهاب للكنيسة). توجهت إلى عملها يوم الاثنين، وكان الاكتئاب واضحاً عليها، فلاحظت إحدى زميلاتها في العمل هذا وسألتها عن الأمر. عادةً كانت جامي لا تحب التحدث مع أحد، لكنها كانت متألمة للغاية لدرجة أنها بدأت تبكي. طلبت 'سامنثا' زميلتها في العمل من المدير أن يسمح لهما بأن تأخذا استراحتهما مبكراً، وأخذت جامي إلى استراحة الموظفين لتحاول أن تساعدها على أن تهدأ. بعد أن سكبت جامي قلبها لسامنثا، وأخبرتها أيضاً عن خبرتها البشعة مع تجربة الذهاب للكنيسة، دعتها سامنثا أن تأتي لبيتها على العشاء لكي تكملا الحديث، وكان هذا المساء يوماً مغيراً في حياة جامي.

كانت سامنثا مسيحية حقيقية – أعني النوع الذي يهتم ويريد المساعدة بحق. بدأت تقابل جامي مرتين في الأسبوع، ولم تبدأ في الاهتمام بها فحسب، بل بدأت تدريجياً تعلمها عن يسوع ومقدار محبته لها. بعد حوالي ثلاثة شهور، سألت سامنثا جامي إذا كانت تريد أن تجرب حضور الكنيسة مرة أخرى، وتذهب معها في الأحد التالي. لم تكن جامي متحمسة للفكرة، لكنها شعرت أنها تريد أن تفعل هذا لأجل سامنثا بعد كل الوقت الذي قضته معها.

كانت زيارة جامي لكنيسة القيامة مختلفة عن خبرتها في الكنيسة السابقة، فقد تلقت تحية حارة وأعطوها مقعداً خاصاً قريباً من المقدمة لأنها كانت ضيفة. كان كل شيء في الاجتماع يبدو وكأنه مصنوع خصيصاً لها. فهمت كل ما قيل لأنه يرتبط بالحياة الواقعية. الترانيم التي رنموها كانت ذات معنى، وكل الناس جعلوها تشعر شعوراً طيباً. تلقت دعوة لتناول القهوة بعد الاجتماع في ذلك الوقت، وانتهى بها الحال بمقابلة العديد من الناس الذين أصبحوا في النهاية أقرب أصدقائها. في هذه الكنيسة كان هناك كثيرون من كل الأعمار والثقافات. البعض كانوا يرتدون بذلات وربطات عنق، بينما كان هناك آخرون يرتدون الجينز والتيشرتات. كان كل شخص حراً في أن يكون نفسه.

سلمت جامي حياتها ليسوع والآن لا يفوتها اجتماع الكنيسة أبداً. ثم تزوجت وأنجبت طفلين، وأصبحت أسرتها بالكامل جزءاً من مجموعة خدمة «المدينة الداخلية»، والتي كانت مسئولة عن خدمة الناس الذين يعيشون في الشوارع. وتحب جامي أن تفعل هذا لأنها تدرك أنها كان يمكن بكل سهولة أن تكون بينهم!

ألن يكون مأساة لو كانت حياة جامي قد انتهت كما كانت تفكر في اليوم الذي تعرضت فيه لذلك الاختبار المحزن مع الكنيسة؟ أكره أن يأتي الناس ويجربون حضور الكنيسة معتقدين أنهم بذلك يجربون الاقتراب من الله، ثم يتركون الله لأن الكنيسة التي جربوا الحضور فيها لم تمثله بالصورة الصحيحة. ليتنا نحرص على أن نشمل كل نوعيات البشر في دائرتنا. إياك أن تستبعد أحداً لأنه لا يشبهك. كلنا نعرف أشخاصاً نعتبرهم أقرب أصدقائنا، وهذا ليس خطأ. حتى يسوع كان لديه ثلاثة من

ضمن التلاميذ الاثني عشر كان يقضي معهم وقتاً أطول مما كان يقضيه مع الآخرين، لكنه لم يستخف أبداً بأي شخص أو يجعله يشعر أنه ناقص القيمة أبداً.

ثائر المحبة

القس بول سكانلون

الكنيسة المحلية هي أفضل فكرة لله! فنحن مجتمع الله الذي يرد الجميل له عن طريق خدمة الآخرين. نحن فيض الله، وتعبيره، وبسمته، وعنوانه في المدينة، لكن المحزن أن الكثير من الكنائس لا تدرك هذا، وبالتالي يموت الملايين القريبون من بيت الله في حزن بيوتهم، ولا يتعرفون أبداً على يسوع نتيجة تخفي الديانة وانعزال الكثير من الكنائس.

العبـــور

منذ عشر سنوات مرت كنيستنا بتعديل خطير، وكان الألم شديداً. ونحن نسمي هذا «العبور»، وقد أصبحت قصة هذه العملية الآن كتاباً يحمل هذا الاسم، وهو يحكي قصتنا بالتفصيل. يعتبر متوسط حجم الكنيسة في المملكة المتحدة، حيث نحن، هو حوالي عشرين شخصاً. ٩٨ بالمائة من السكان لا يكتفون بالامتناع عن حضور الكنيسة، بل يمكن اعتبارهم «مقاومين للكنيسة» أيضاً، ولهذا فإننا طبقاً للمعايير البريطانية كنا كنيسة كبيرة بها أكثر من ٤٥٠ شخصاً في ذلك الوقت. وكنا نعبد الله في مبنى نملكه بالكامل تقريباً. كنا قريبين من بعضنا البعض وسعداء ومزدهرين. كنا نستمتع بالوعظ العظيم، وكنا كنيسة موهوبة للغاية في الموسيقى والإبداع، لكن على الرغم من هذا كله فقد كنا نفتقد إلى شيء

ضخم. كان يغيب عنا شيء جوهري وعميق، لكن يبدو أنه لم يكن أحد يلاحظ هذا.

كنا واقعين في فخ ما يبدو أنه دورة لانهائية من الاهتمام بما يمكن وصفه على أنه «المسيحيون المحافظون، المتخمون، قليلو التدريب». المسيحيون المحافظون هم أحد الأسرار التي يحافظ الشيطان عليها جيداً في خطته لعزل الكنيسة، وهم من ألطف الناس الذين يمكن أن تقابلهم، وهنا تكمن المشكلة! لا يوجد من بين هؤلاء الأشخاص من هو شقي أو صاحب «قلب رديء» أو اتجاهات سيئة. وبالنظر إلى هذا الأمر الآن أقول إني كنت أفضل ألا يكونوا كذلك، لأن إقناعهم بالتجديد في هذه الحالة كان سيصير أسهل.

الرعاة في كل أنحاء العالم لا يعرفون كيف يصفون ما تفتقر إليه كنائسهم وخدماتهم، ولا يريدون أن يبدوا قلقين أو سلبيين إذا قالوا هذا، فيشبهون الصبي في قصة ملابس الإمبراطور الجديدة، والذي أوضح ما كان واضحاً جداً لكل من كان حول الإمبراطور: وهو أنه لا يرتدي أي ملابس.

عندما يكون الجميع في غاية السعادة والمحبة والود والبركة، من الذي يستطيع أن يعلن أننا نحتضر؟ لكن في أواخر عام ١٩٩٨ أصبحت أنا ذلك الصبي، ولأول مرة منذ عشرين عاماً، كان عليَّ أن أشير إلى كنيستنا وأقول: «نحن عرايا، ومستريحون، وانفعاليون، وآمنون، ومنعزلون عن العالم» – وكان هذا يشملني أنا أيضاً. لم يكن من السهل علينا أن نرى ذلك لأننا، مثل كنائس أخرى كثيرة، كنا نمتلك العقيدة واللغة الخاصة بالوصول إلى الضائعين، لكننا لم نكن في الواقع نصل لأي شخص. كنا

نصلي لأجل الضائعين، ونعظ ونرنم عن الضائعين، بل إننا كنا نبكي على الضائعين، لكن لم يتم إنقاذ أي ضائع منهم. لقد أصبحنا نادياً متديناً متمركزاً على الداخل، وفي راحتنا وبركتنا لم نعد نرى قلب الله من نحو الآخرين الذين كانوا لا يزالون مفقودين ومتألمين.

في يناير عام ١٩٩٩، وعظت برسالة عنوانها «نحن نترك التسعة والتسعين في عام تسعة وتسعين»، مشيراً إلى يسوع الذي شبه نفسه بالراعي الذي ترك الأغلبية - التسعة والتسعين - لكي يبحث عن واحد لازال ضالاً. وأوضحت أن من هم في الكنيسة بالفعل لا يمكن أن يظلوا هم أولويتنا الأولى بعد الآن، لكن يجب أن تصير أولويتنا هي الآخرون. وعندها اكتشفت أنه لا يوجد مكان يستطيع أن يحتوي بركان الغضب الكامن في المسيحي الذي يشعر بالإهمال، ولا الجحيم نفسه! لقد ذهلت من رد فعل الناس الطيبين المملوئين بالروح، الذين عندما حان وقت الجد، لم يستطيعوا أن يهضموا فكرة أن تتسخ كنيستنا الجميلة بفيضان الخطاة القذرين.

وفي محاولاتي المستمرة لكي أوجه أعضاءنا المستريحين المنغلقين على أنفسهم إلى أعمال تخليص النفوس، بدأت خدمة أتوبيس في عام ١٩٩٩. وتعد الكيفية التي أخبرني بها الله أن أفعل هذا، قصة في حد ذاتها. لكن يكفي أن أقول إنها كانت قصة غير عادية بالدرجة التي تكفي لإقناعي أنها «فكرة الله»، لأن آخر ما كنت أحتاجه هو مجرد فكرة جيدة.

حسناً، في غضون أسابيع قليلة أصبحنا ننقل المئات من هؤلاء الخطاة القذرين بالأتوبيس، لكن هؤلاء الناس البعيدين، والذين يتصفون غالباً بالخشونة والوقاحة والفجائية أفسدوا نادينا الجميل. وكان أعضاؤنا

المحترمون يشيرون إليهم على أنهم «مجموعة الأتوبيس»، وكانوا يرونهم تهديداً على أمننا واستقرارنا. كل يوم كنت أتلقى رسائل تهديد واتصالات تليفونية رديئة وغير مُسرة من أشخاص كنت أحبهم، وكنت متأكداً أنهم يحبونني، لكنهم فقط لم يفهموا الأمر. اتُهِم الأطفال الذين كانوا يأتون في الأتوبيس بأنهم يفسدون مدرسة الأحد، واتُهِم آباؤهم وأمهاتهم بأنهم يفسدون الاجتماع الرئيسي عادةً بالتدخين والشتيمة، والأبشع من هذا كله، أنهم كانوا يتجرأون ويجلسون في الأماكن التي اعتاد أعضاؤنا القدامى البارزون الجلوس فيها.

موجة بعد الأخرى من القادة كانوا يأتون لرؤيتي، ويحثونني ويقنعونني أن أتوقف، لكن كان الأوان قد فات. لقد وجد قلب الله المهتم بالضائعين قلبي، وكانت تصرفاتي قد أصبحت غير معقولة بالمرة. ولمدة عامين تقريباً، تحملت أعظم وحدة وعزلة وهجوم شخصي تعرضت له في حياتي. وما صعّب الأمر أكثر فأكثر هو أن كل هذه النيران كانت نيراناً صديقة من أناس نسوا بالتمام أنهم هم أيضاً كانوا في وقت من الأوقات غارقين في البحر، ومع ذلك أتى شخص ما يبحث عنهم.

عندما فشلت كل هذه الوسائل في إيقافي، وصلت «مجموعة النبوة». كانوا هم من يُطلق عليهم النوعيات النبوية من بيننا، وبدأوا يطلبون تحديد مواعيد لمقابلتي. كانوا غالباً يأتون في شكل مجموعات، لكي يشاركوني بما قال لهم الله أن يخبروني به، وكانت رسالتهم هي: «إذا لم توقف هذا الأمر، سوف تنقسم كنيستنا، وسوف تعاني أنت وأسرتك، وسوف يرحل القادة، وسوف تنهار الماليات، وسوف تفسد شهادتنا في البلاد». لكن بالنسبة لي، فإن فداحة الثمن الذي يجب أن يُدفع لا تعني

أن الله كان يقول «لا تفعل هذا» . إذا كان الله يرسل مثل هذه الرسائل، فقد كان ببساطة يقول إنني إذا فعلت هذا، فإن التكلفة ستكون فادحة. ولم تكن إجابتي سوى أنني أوافق، لأن معظم هذا كان يحدث بالفعل. كان الكثيرون يرحلون، وبدون تقدماتهم كانت الماليات تنقص بعشرات الآلاف من الدولارات كل شهر. كنا نعوض عدد من يتركوننا ببطء لكن بأشخاص فقراء - والفقراء لا ينقصهم المال فحسب، بل إن الوصول لهم مكلف وإعالتهم مكلفة أيضاً.

لازلت أرى أن دفع الكنيسة المحلية للوصول إلى مجتمعاتها هو أعظم معركة نواجهها في كل الكنائس على مستوى العالم اليوم. وإذا كان هذا صحيحاً، فإن أكبر هزة للكنيسة لم تأت بعد. ربما يكون علينا كرعاة أن نستعد لأن نفقد المئات لكي نربح الآلاف، بل وأن نفقد الآلاف لكي نربح الملايين.

أنا أحب الكنيسة المحلية، فقد مكثت في نفس الكنيسة لأكثر من ثلاثين عاماً، منها ستة وعشرون عاماً كنت أخدم فيها كخادم متفرغ. لكن على قدر محبتي للكنيسة، فإنني أرفض أن أموت في راحة المسيحية الناعمة. لقد عقدت العزم على أن أعيش ممتلئاً وأموت فارغاً. لا يمكنني أن أفعل هذا داخل الجدران الأربعة للكنيسة المحلية، ولا أنت تستطيع ذلك.

في الأيام الأولى لخدمة يسوع، ذهب إلى مدينة تدعى كفرناحوم. كان الناس يحبونه، وبهتوا من تعاليمه وسلطانه على الشياطين والأمراض. لقد أحبوه كثيراً لدرجة أنه في أحد الأيام كان على وشك أن يرحل من المدينة، ويخبرنا لوقا أن الناس أتوا إليه وحاولوا أن يمنعوه من الرحيل (انظر لوقا ٤ : ٤٢).

كان رده على محاولاتهم لإبقائه، والتي كانت بلا شك مقنعة، رداً رائعاً وعميقاً في الوقت نفسه. كان رائعاً في بساطته، وعميقاً نظراً لما يوضحه عن أولوياته ودوافعه. نظر يسوع إلى عيون كل هؤلاء الأشخاص المباركين وقال ببساطة: «لا يمكنني أن أمكث هنا أكثر من ذلك، لأنني أُرسلت لكي أصل لآخرين في أماكن أخرى، ويجب أن أذهب لأكرز بالإنجيل لهم هم أيضاً. هل تفهمون ذلك؟ لقد أُرسلت لكي أصل لآخرين، آخرين، آخرين!» (انظر لوقا ٤ : ٤٤). الأمر كله يتعلق بالآخرين.

إذا استطعت أن تشق الله، سوف ينزف آخرين. لكن إذا استطعنا أن نشق الكنيسة، للأسف سوف ننزف أنفسنا. نحن ننزف بركتنا وراحتنا وسعادتنا. بالطبع توجد استثناءات لهذا، لكن الاستثناءات نادرة للغاية لدرجة لا تجعلك تصدق أننا نلمس حتى الميزان لنُرَجِّح كفة الآخرين. لأجيال عديدة كانت الكنيسة، مثل الناس في كفرناحوم، تحاول أن تبقي يسوع لنفسها. ولأجيال عديدة كان يسوع يحاول أن يترك المسيحية المريحة لكي يستمر في الوصول إلى الآخرين. إن سوء الفهم الجوهري هذا حول ما يهم الله أكثر، يقع في قلب فشل الكنيسة في التأثير على العالم المتألم.

لقد باركنا الله بأن جعلنا بركة، فقد خلُصنا لكي نطلب ونخلص الآخرين، وشفينا لكي نشفي، ونلنا الغفران لكي نغفر، ونلنا المحبة لكي ننضم إلى ثورة محبة الله العظيمة. الأمر لا يتعلق بي أو بنا أوبما يخصنا أو بما يخصني، فهو دائماً يتعلق بالآخرين.

قال الرسول بولس إنه حتى الراحة التي ننالها من الله لا تخصنا وحدنا: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الرَّأْفَةِ وَإِلَهُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ، الَّذِي يُعَزِّينَا

في كُلِّ ضِيقَتِنَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضِيقَةٍ بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي نَتَعَزَّى نَحْنُ بِهَا مِنَ اللهِ. لأَنَّهُ كَمَا تَكْثُرُ آلاَمُ الْمَسِيحِ فِينَا، كَذلِكَ بِالْمَسِيحِ تَكْثُرُ تَعْزِيَتُنَا أَيْضاً» للآخرين (٢كو ١ : ٣-٥).

حتى أتعابنا لا تخصنا وحدنا، ففي داخلها بذرة راحة ورجاء وتشجيع لشخص آخر. بركتي ليست بركتي، رحمتي ليست رحمتي، نعمتي ليست نعمتي، وفي النهاية حياتي ليست حياتي. فكل هذا يخص الآخرين، وهؤلاء الآخرون كانوا في يوم من الأيام أنت وأنا.

إن مشاهدة الناس الصالحين الذين تحبهم والذين عشت حياتك معهم عشرين عاماً وهم يتركون الكنيسة هو أمر مؤلم لأقصى درجة. وألم الاضطرار للانفصال أحياناً عمن نظن أننا سنكبر في السن معهم هو أيضاً وجع يشبه المخاض. بالطبع في ذلك الوقت يصعب أن نرى أي شيء صالح في شيء بهذا السوء، لكن الأمر الذي لا نستطيع التخلي عنه - أياً كان - هو نفسه النقطة التي سنتوقف عندها، وإذا توقفنا لن نعرف أبداً ما الذي كان يمكن أن يحدث. الله لا يدفع من يعارضونه للتقدم أبداً، يجب أن نقرر نحن أن نتقدم. في كل حزن توجد بذرة، وكان حزني هو بذرة الكنيسة الجديدة التي كنا نتحول إليها، الكنيسة التي تخص الناس.

في أواخر عام ١٩٩٨، قدت الكنيسة إلى أكبر مشروع مبانٍ لم نقم بمثله نحن وربما أية كنيسة أخرى في بلادنا في التاريخ الحديث، كنا نبني قاعة تسع ألفي مقعد. فعلت هذا من اقتناعي الكبير أنني إذا بنيته، سوف يأتي الضائعون. أتمنى لو كانوا قد أتوا أسرع من ذلك، لأننا عندما أقمنا أول خدمة لنا في المبنى الجديد كانت كنيستنا قد تقلصت إلى ٣٠٠ شخص. يجب أن تعرف أنه بغض النظر عن إبداعك في وضع الكراسي،

فإنه توجد حدود للمساحات التي يمكنك أن تسمح بها بين المقاعد لكي لا تجعل الناس يشعرون أنهم ليسوا معاً في غرفة واحدة! ثلاثمائة شخص في قاعة تسع ألفي مقعد. يبدو هذا أمراً سيئاً، خاصة وأن لدينا القاعة التي تسع ستمائة مقعد بجوار مكان إيقاف السيارات.

كان هذا في يناير عام ٢٠٠٠، وفي ذلك اليوم أعطاني الله كلمة من قصة إسحق عندما عاد وحفر آبار أبيه (انظر تك ٢٦). انتقل إسحق من أول بئرين حفرهما لأن الفلسطينيين ردموهما، وقد أسماهما «عسق» و«سطنة» ومعناهما نزاع ومخاصمة. ثم انتقل وحفر بئراً ثالثة، لكن هذه المرة لم يتشاجر معه أحد أو يردم له البئر، وقد سمى البئر الثالثة «رحوبوت» ومعناها رحب، قائلاً: «إنه الآن قد أرحب لنا الرب». في أول خدمة في صباح الأحد في قاعتنا التي تسع ألفي مقعد، نظرت إلى الثلاثمائة شخص المنهكين، والواضح عليهم التعب، ووعظت برسالة عنوانها «البئر رقم ثلاثة ستكون متدفقة». وبعد عامين تقريباً من النزاع والمخاصمة كنت أؤمن أنه قد حان الوقت لرحوبوت. والآن بعد عدة سنوات، إذ أصبح لنا كنيسة قوامها الآلاف، أقول إن رحوبوت قد أتت بالفعل.

أثناء الساعات الأخيرة من حياة يسوع، بينما كان يقف في ساحة بيلاطس، عُرضت عليه فرصة التحرر من خلال تقديمه للجموع بجوار رجل اسمه باراباس. كانت عادة تلك الأيام في العيد أن يتم إطلاق سراح أسير أياً كان من يطلبه الناس. كان باراباس مداناً بالقتل والتمرد. لم يكن يسوع مداناً بأي شيء، فلم يفعل في حياته شيئاً سوى مساعدة الناس. ومع ذلك، ويا للعجب أن الجموع صرخت مطالبة بإطلاق سراح باراباس،

وصلب يسوع! والحقيقة هي أن العالم دائماً سوف يفضل المتمردين على الثوار. جاء تعريف المتمرد في القاموس على أنه «شخص يقاوم ويتحدى حكومة ما أو حاكماً ما»، لكن الثائر هو «شخص يطيح بحكومة أو بنظام اجتماعي لصالح نظام جديد».

هذا الكتاب يتحدث عن ثورة المحبة، وليس تمرد المحبة. نحن لا نتمرد على العالم، بل نطلب أن نُحدث ثورة فيه. لقد أحب الله العالم لدرجة أنه أرسلنا كبديل وليس كإنذار. إن قائدنا يسوع المسيح قائد ثائر، وليس متمرداً. إنه يغلب من خلال تقديم البديل وليس الدينونة. يجب أن يصبح هذا هو التحدي الموضوع أمامنا. إذا أرادت الكنيسة أن تحب العالم، يجب أن نجد طرقاً جديدة لنحب بها غير المحبوبين ونشمل بها المستبعدين بدون أن نكون ديانين. يجب أن نعيش «فيما وراء خطوط العدو»، لا كحركة مقاومة، بل كحركة استبدال. إننا نحن المجتمع البديل الذي يقدمه الله.

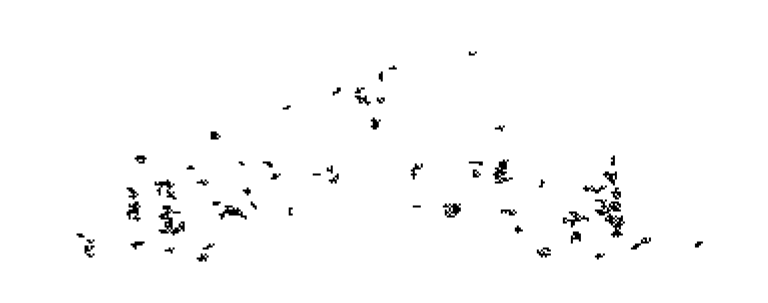
بينما كنت أسافر مؤخراً في مطار بالولايات المتحدة، لاحظت امرأة عجوزاً تستند على عصا، وتصارع لكي تضع متعلقاتها على سير الفحص الأمني. كان المسئول الأمني حازماً معها. ومع أنه رأى عليها علامات الإجهاد والتعب، إلا أنه لم يفعل شيئاً ليساعدها. بدأت بدون تفكير مني أجذب أغراضها وأضعها على السير، ووقفت على الناحية الأخرى وانتظرت لكي أساعدها على التقاط كل شيء مرة أخرى من على السير. ولن أنسى أبداً كيف كانت تنظر إليَّ، ثم قالت لي بابتسامة ارتياح: «أشكرك كثيراً. إن لطفك عوضني عن قساوة ذلك الرجل». لقد صاغت هذه السيدة بكلماتها اقتناعي العميق بخصوص الكنيسة: إن الكنيسة هي العامل التعويضي المقدم من الله للعالم المتألم.

التعويض يعني «رد، أو تقليل، أو موازنة الأثر السيئ للخسارة أو المعاناة أو الإصابة عن طريق بذل قوة أو تأثير مقاوم». نحن تأثير الله المقاوم، فنحن نوازن الألم والمعاناة في مجتمعاتنا. وبوصفنا سفراء وتجار المحبة والرجاء، فنحن نرسم بسمة على وجه العالم المتألم المجهد. صحيح أن التعويض لا يغير ما حدث، لكنه يمكن أن يقلل من آثار ما حدث. وثورة المحبة هي جزء من خطة الله التعويضية العظيمة لعالم نسي كيف يبتسم.

إن بيئتنا الأصلية ليست هي الكنيسة، بل العالم - ليست هي النادي المريح، بل المحيط الخطر. لقد ولدنا لكي ننمو في مصائب وعداوة العالم المحطم. وكالأسماك التي تعيش أفضل في المياه، فنحن نعيش أفضل في العالم الضائع، لأننا مثل الأسماك خلقنا لكي نبقى دائماً في هذه البيئة الأصلية. إذا أخذت السمكة من المياه سوف تموت. وإذا اقتُلعت الزهرة من التربة سوف تموت. وإذا انتُزعت الكنيسة من العالم سوف نموت. الأسماك لا تشعر أبداً بالبلل لأن المياه هي بيتها، ومع ذلك فإن الكثيرين من المسيحيين لديهم حساسية كبيرة تجاه بيئتهم الأصلية. نحن نشبه سمكة تجفف نفسها على الشاطئ! إنها صورة سخيفة، أعرف ذلك، لكنها مع ذلك صورة معبرة ومناسبة.

كثيراً ما يرسم الكتاب المقدس الكنيسة في بيئة مقاومة، فقد وصفنا على أننا ملح في عالم فاسد، ونور في الظلمة، وحملان وسط ذئاب، وغرباء ونزلاء بعيدين عن وطننا. لقد صُممنا لكي ننمو وسط المقاومة. نحن الكنيسة، والكنيسة هي الجزء الوحيد من السماء الذي بُني لكي ينمو في عالم مسمم من الجحيم. نحن جيش ثوار الله الذين أرسلهم ليبدأوا ثورة محبة - وهذه الثورة يجب أن تبدأ فيك وفيَّ اليوم!





الفصل

٩

اجعل الناس يشعرون بقيمتهم

فَلْنَعْكُفْ إِذاً عَلَى مَا هُوَ لِلسَّلاَمِ وَمَا هُوَ لِلْبُنْيَانِ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ. (رومية ١٤: ١٩)

أحد أسهل الطرق لإشعال ثورة المحبة هو أن تقرر أن تجعل الآخرين يشعرون بقيمتهم. قالت الأم تيريزا: «أعتقد أن شعور الإنسان أنه غير مرغوب فيه، وغير محبوب، ولا أحد يهتم به، ولا أحد يذكره، هو جوع وفقر أعظم بكثير من ألا يجد الإنسان شيئاً ليأكله». وقد اكتشفت أن معظم الناس الذين نقابلهم أو الذين نتعامل معهم في حياتنا اليومية لا يشعرون بقيمتهم غير المحدودة كأولاد لله. أعتقد أن الشيطان يعمل بكل اجتهاد لكي يجعل الناس يشعرون بعدم القيمة وعدم الاستحقاق، لكننا يمكننا أن نقاوم تأثير أكاذيبه وأفكاره من خلال بنيان الناس وتشجيعهم وتدعيمهم. وإحدى الطرق لفعل هذا هي المجاملات الصادقة، التي هي أحد أثمن العطايا في هذا العالم.

أحد أسهل الطرق لإشعال ثورة المحبة هو أن تقرر أن تجعل الآخرين يشعرون بقيمتهم.

معظم الناس يسرعون في مقارنة أنفسهم بالآخرين، وبهذا غالباً ما يفشلون في رؤية قدراتهم وقيمتهم الخاصة. عندما نجعل الآخرين يشعرون بقيمتهم فلن يكلفنا هذا أموالاً كثيرة، كما أنه لا يتطلب بالضرورة وقتاً كثيراً. كل ما نحتاج أن نفعله هو أن نكف عن التفكير في أنفسنا لمدة تكفي لأن نفكر في شخص آخر، ثم نبحث عن شيء مشجع نقوله له. إن جعل الناس يشعرون بقيمتهم لن يكلفنا أي نقود، لكنه يعطيهم شيئاً ذا قيمة أكبر من أي شيء يمكن أن تشتريه النقود. قد يبدو تقديم مجاملة صادقة شيئاً صغيراً، لكنه يمنح الإنسان قوة هائلة.

أنا أؤمن بتحديد الأهداف، وبينما كنت أعمل مع الله لتنمية عادات حسنة في منطقة تشجيع الآخرين، وضعت تحدياً أمام نفسي بأن أمدح على الأقل ثلاثة أشخاص كل يوم. وأنا أشجعك أن تفعل شيئاً مشابهاً لكي يساعدك على أن تصير مشجعاً قوياً.

لا تنس المنسيين

كثيراً ما يشعر الناس أنهم وحيدون ومنسيون. قد يشعرون أنهم يعملون بكل اجتهاد، لكن لا يوجد من يلاحظ أو يهتم. أتذكر امرأة أخبرتني أنها كانت تشعر في معظم حياتها أنها غير مرئية. أتذكر الألم الذي كان مرتسماً على وجهها وهي تتذكر الطريقة التي كان والداها يتجاهلانها بها. شعرت بالانعزال والوحدة الشديدة، مما جعلها تشعر

أنها غير مرغوب فيها. كان والداها صغيرين في السن عندما وُلدت، ولم يكونا مستعدين لإنجاب طفل، وكانا في غاية الأنانية والتمركز حول الذات. لم يقدما لها أية مشاعر محبة أو مساندة عاطفية على الإطلاق. قالت إنها قضت معظم سنوات طفولتها ومراهقتها وحدها في غرفتها، وكانت تقرأ.

وصف هذه المرة لطفولتها وشعورها أنها غير مرئية كان أمراً محزناً جداً، وجعلني أتساءل كم من مرة تسببت في جعل الناس يشعرون أنهم غير مرئيين لمجرد أنني كنت مركزة للغاية على ما أفعله أو على الهدف الذي كنت أحاول تحقيقه، لدرجة أنني لم أخصص وقتاً حتى للاعتراف بحضورهم؟ أنا شخصية من النمط الذي يركز للغاية على أهدافه في الحياة، ويصمم على الوصول إليها. وأنا أحقق الكثير، لكن كان عليَّ أن أتعلم ألا أجرح الآخرين أثناء قيامي بهذا. لا يوجد من ينجح بدون مساعدة الكثيرين من الناس المكرسين. وعدم إظهار التقدير والعرفان لمن هم أهل له، مأساة رهيبة ونمط سلوك لا يُسر به الله.

الأشياء البسيطة يمكن أن تكون أشياء عظيمة

يتحدث الله كثيراً في الكتاب المقدس عن مسئوليتنا تجاه المظلومين والأرامل واليتامى والغرباء، ويذكر من يشعرون بالوحدة ومن يشعرون بالإهمال أو التجاهل أو نقص القيمة، وهو يهتم بشدة بالمظلومين والجائعين. قد يكون الناس جائعين بطرق كثيرة. قد يمتلكون الكثير من الطعام للأكل لكنهم جائعون للتشجيع أو لكلمة تجعلهم يشعرون بقيمتهم. الله يقوِّم المنحنين من الحزن، ويحمي الغرباء ويعضد اليتيم والأرملة (انظر مز

١٤٦ : ٧-٩) . كيف يفعل هذا؟ إنه يعمل من خلال الناس! فهو يريد أشخاصاً ملتزمين وخاضعين ومكرسين يعيشون لكي يجعلوا الآخرين يشعرون بقيمتهم. لقد بذلت الأم تيريزا حياتها لكي تجعل المنبوذين يشعرون بالمحبة والتقدير. كانت الأشياء التي فعلتها بسيطة، فقد كانت عادة أشياء صغيرة، لكنها في الوقت ذاته كانت أشياء عظيمة. قالت «إياك أن تظن أنه لكي تكون المحبة صادقة يجب أن تكون غير عادية، بل إن ما نحتاج إليه هو أن نحب بدون أن نتعب».

نحن أبناء بالتبني

يوجد نص كتابي شجعني كثيراً في مزمور ٢٧ : ١٠ « إِنَّ أَبِي وَأُمِّي قَدْ تَرَكَانِي وَالرَّبُّ يَضُمُّنِي (يتبناني كابن له) ».

كانت أمي تخاف كثيراً من أبي، ولذلك لم تكن قادرة على إنقاذي من كل أنواع الإساءة التي كان يرتكبها ضدي. كنت أشعر أنني وحيدة ومنسية ومهملة في هذا الكابوس الذي كنت أعيشه، وأخيراً قررت أنه لا يوجد من سيساعدني، لذلك بدأت أتعايش مع ظروفي إلى أن أمكنني أن أهرب منها، وقد بدأت أفهم أن الكثيرين من الناس الذين نقابلهم كل يوم يحاولون أن يتعايشوا هكذا إلى أن ينقذهم شخص ما - وقد يكون هذا الشخص هو أنت أو أنا.

يقول الكتاب المقدس إن الله في محبته « اخْتَارَنَا (انتقانا لنفسه لنكون خاصته) فِيهِ (في المسيح) قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ» (أف ١ : ٤). وقد رتب في محبته أن نكون أبناء له بالتبني. هذه الكلمات الجميلة أتت بالشفاء إلى نفسي المجروحة. إن الله يتبنى من يشعرون بالإهمال والوحدة،

ويرفعهم ويمنحهم القيمة، وهو يعمل من خلال كلمته، ومن خلال الروح القدس، ومن خلال الأشخاص المنقادين بالروح الذين يعيشون ليساعدوا الآخرين.

كانت الأم تيريزا تشعر أن كل شخص تقابله هو «يسوع متخفياً». حاول فقط أن تتخيل كم ستختلف معاملتنا للآخرين إذا نظرنا لهم بالطريقة التي كانت تنظر هي بها إليهم. قال يسوع إننا إذا فعلنا الخير أو الشر حتى «بأصغر» الناس، فنحن نفعل ذلك به هو (انظر مت ٢٥ : ٤٥). أي أنه يأخذ معاملتنا للآخرين بشكل شخصي. إذا قام أحد بإهانة أي واحد من أولادي أو الاستخفاف به أو إهماله أو التقليل من شأنه، سوف أعتبر هذا إهانة شخصية لي. لماذا إذاً يصعب علينا أن نفهم أن الله يشعر بهذا الشعور نفسه؟ لنجتهد كلنا أن نبني الآخرين، ونجعل كل من نقابلهم يشعرون بتحسن، ونضيف قيمة على حياتهم.

ابدأ بابتسامة

الابتسامة هي بداية المحبة، فهي تعني القبول والاستحسان. يجب أن نتعلم أن نبتسم للجميع، وعندما نفعل ذلك، لن يشعروا هم فقط بتحسن، بل نحن أيضاً سنشعر بتحسن.

عادة ما أغرق في التفكير، وبسبب هذا يمكن أن أبدو متجهمة إلى حد ما، كما أنني أحمل مسئوليات كثيرة، وإذا لم أنتبه، فقد يجعلني هذا أبدو كئيبة. وأنا أتعلم أن أقضي وقتاً في الابتسام للناس، وأسأل عن أحوالهم، وأبحث عن شيء لطيف أقوله لهم. بالتأكيد عندما نكون في غاية الانشغال لدرجة أننا لا يمكن أن نتعامل مع الناس بود، فهذا يعني أن

حياتنا غير متوازنة، وأننا نتجه نحو كارثة في علاقاتنا. العلاقات جزء كبير من الحياة، وقد اكتشفت أن الكتاب المقدس هو كتاب عن العلاقات، فهو يتحدث عن علاقتنا مع الله، ومع أنفسنا، ومع الآخرين.

يدهشني كيف يمكن أن تكون الابتسامة والتحية الرقيقة سبباً في شعور الناس بالارتياح، فهما شيئان من بين أشياء كثيرة يمكننا أن نعطيها للآخرين أينما ذهبنا. قد تقول «حسناً، هذا ليس أنا. أنا أكثر تحفظاً وخصوصية. أنا أفضل ألا أتعامل مع أحد بهذا القرب، خاصة من لا أعرفهم». إذا كان هذا هو شعورك، فأنا أفهمك لأن هذه هي الطريقة التي كنت أفكر بها، إلى أن بدأت أرى ما يقوله الكتاب المقدس عن التشجيع والبناء والتحريض وجعل الناس يشعرون بقيمتهم. لقد تعلمت أن حقيقة أنني قد لا أكون موهوبة تلقائياً في منطقة ما لا يعني أنني لا يمكن أن أتعلم أن أفعلها.

ظللت لسنوات أعفي نفسي من التعامل بمودة وأقول «ليست هذه طبيعتي، فأنا أميل أكثر للعزلة». لكنني أدركت أن «العزلة» غير مدرجة في قائمة المواهب في الكتاب المقدس. إن التفكير في أنفسنا على أننا «منعزلون» هو ببساطة عذر يجعلنا نتجنب مسألة التعرض للنقد، فنقول لأنفسنا «كيف سيكون شعوري إذا ابتسمت للناس ولم يبتسموا هم لي في المقابل؟» سوف أشعر بالرفض، وهذا ليس حسناً على الإطلاق. معظمنا يقضون وقتاً في محاولة تجنب الرفض أكثر من الوقت الذي نقضيه في محاولة إقامة علاقات جيدة وصحيحة. ماذا إذا حاولت أن أبدأ محادثة ودية مع شخص غريب أثناء الانتظار في عيادة الطبيب، واتضح أنه هو أو هي يفضل أن أتركه بمفرده؟ فجأة سأشعر بالحرج والغرابة، ولذلك فبدلاً

من المحاولة، قد أبقى منعزلة لكي أحمي نفسي. عندما يحدث هذا، نحن بذلك نفقد فرصة أن نلمس الناس بمحبة الله من خلال ابتسامة أو كلمة لطيفة. عندما نقدم ابتساماتنا، يمكننا أن نجعل شخصاً آخر يبتسم، وهذه إحدى أفضل العطايا التي يمكن أن نقدمها لأحد.

إن الاشتراك في ثورة المحبة سوف يتطلب الجهد والممارسة. سوف يتطلب أن نكون مستعدين أن نغير بعضاً من طرقنا، ونبدأ في أن نطلب من الله أن يرينا طرقه هو. هل يمكنك حقاً أن تتخيل يسوع وهو يتجهم في وجه الناس أو يعاملهم بخشونة أو يتجاهلهم لكي لا يشعر بالرفض أو لمجرد أنه كان مشغولاً جداً بفعل أموره الخاصة فلم يلاحظهم؟ بالطبع نحن نعرف أن يسوع لم يمكن أبداً يتصرف بهذه الطريقة، ويجب علينا أن نقرر أننا نحن أيضاً لن نتصرف بهذه الطريقة. ابدأ في زيادة ابتساماتك. يمكنك حتى أن تجرب أن تبتسم وأنت بمفردك، وسوف ترى أن هذا سيجعلك تشعر بالخفة والسعادة. طلب الرسول بولس ممن يخدمهم أن يسلموا بعضهم على بعض بقبلة مقدسة (انظر رو ١٦ : ١٦) والتي كانت عادتهم في تلك الأيام. كل ما أطلبه أنا هو ابتسامة!

لا تقلق إذا لم يحدث هذا تلقائياً

في نهاية هذا الفصل سوف تقرأ مشاركة في هذا الكتاب من «جون ماكسويل» وهو واعظ ومؤلف عالمي متخصص في موضوعات القيادة، وهو صديق لنا أيضاً. في غضون دقائق قليلة من الوجود مع جون، يشعر الجميع بقيمتهم بشكل مذهل. وقد تحدثت معه عن هذه القدرة العظيمة في هذه المنطقة، وهو يعترف أن والده قد أثر فيه بنفس الطريقة، إذ كان

قدوة جيدة له في طفولته، لكن الأكثر من هذا أيضاً أن جون يمتلك موهبة (مهارة. قدرة) على التشجيع منحها له الله.

يتحدث الكتاب المقدس عن موهبة التشجيع (الوعظ) (انظر رو ١٢ : ٨) ويقول إن من مُنحوا هذه الموهبة يجب أن يمارسوها بحماس وسرور وفرح. وكما أن الله أعطاني موهبة في التواصل تمكنني من أن أتكلم بفعالية بدون بذل الكثير من الجهد. فقد أعطى بعض الناس موهبة التشجيع. فهم يشجعون الآخرين بدون مجهود كبير على الإطلاق. إذ أن الأمر يخرج منهم تلقائيا. ومع أن البعض قد ينتقصون من قدر موهبة التشجيع. إلا أنني أعتقد أنها أحد أكثر المواهب المطلوبة في العالم.

أمر رائع أن تعرف مثل هؤلاء الأشخاص أو تتواجد معهم. لكن مرة أخرى أقول. أدعوك ألا تستثني نفسك لمجرد أن تشجيع الآخرين لا يخرج منك تلقائيا. أنا عندي موهبة العطاء وأتذكر أنني في طفولتي كنت أحب وضع الخطط لكي أقدم هدية لشخص ما بحيث تجعله سعيدا. قد لا يمتلك الجميع موهبة العطاء الروحية (التي وردت أيضا في رومية ١٢ مع القدرة على تشجيع الآخرين). لكن الكتاب يوصي كل واحد أن يعطي وأن يفعل ذلك بسرور.

هيـا اضحـك

معظمنا سمعنا شيئا على الأقل عن فائدة الضحك لصحتنا الجسدية والنفسية. والابتسام هو الباب للضحك الذي نحتاج أن نفعله كثيرا وعن عمد.

يقول الكتاب المقدس إن القلب الفرحان يفيد الإنسان تماماً مثل الدواء

(انظر أم ١٧ : ٢٢). أحد الأمور العجيبة التي لاحظتها في خدمة التعليم الخاصة بي هي أنني مضحكة جداً. وأنا أقول إن هذا شيء عجيب لأنني في ما أسميه «الحياة العادية» لا يصفني الناس بهذه الصفة. لقد أدركت أنه بما أن الروح القدس هو الذي يتكلم من خلالي، فواضح أنه يعرف قيمة المرح وتأثيره الشافي.

الله يريدنا أن نضحك. وهو يريدنا أن نجعل الآخرين يضحكون. هذا لا يعني أننا يجب أن نكون كلنا مهرجين أو نضحك في أوقات غير مناسبة. لكننا بالتأكيد يمكن أن نساعد أحدنا الآخر في التعامل مع الحياة بدون هموم. سوف يكون حالنا كلنا أفضل إذا تعلمنا أن نضحك على أنفسنا في بعض الأحيان بدلاً من أن نتعامل مع أنفسنا بمنتهى الجدية.

في المرات الثلاثة الأخيرة التي ارتديت فيها بنطلونا أبيض. سكبت القهوة على نفسي. يمكنني أن أفكر إما أنني حمقاء لا يمكنني الإمساك بشيء وأبدأ في التقليل من قيمة نفسي، أو يمكنني أن أسخر من الأمر وأبذل مجهودا أكثر في المرة القادمة لكي أبقى نظيفة. ظللت لسنوات أستمع إلى أناس يحطون من قدر أنفسهم شفهيا مع كل خطأ يفعلونه. وأؤمن أن هذا يحزن الله. إذا كنا نعرف قيمتنا في المسيح، لا يجب أبدا أن نقول عن أنفسنا أشياء تقلل من قيمة ما خلقه الله.

لماذا لا تنمي عادة مساعدة الآخرين على أن يروا أننا كلنا نرتكب أخطاء سخيفة، ويمكننا أن نختار إما أن نضحك عليها أو نكتئب بسببها؟ أعط للناس الإذن بأن يكونوا غير كاملين! العالم مليء بالضغوط التي تدفعنا لأن نؤدي الأشياء ونتفوق فيها، لكن عندما لا نفعل ذلك، نحتاج إلى كلمة لطف تعرفنا أننا لازلنا موضع تقدير وقبول.

عندما تكون مع أشخاص يفعلون أخطاء، حاول على الفور أن تذكرهم بنقاط قوتهم أو بشيء مذهل رأيتهم يفعلونه مؤخراً. لي ابنتان كل منهما أم رائعة ملتزمة. عندما تشعر أي منهما بالسوء من جهة شيء لم تفعله بالشكل الصحيح، أذكِّرها أنها أم رائعة، وأؤكد على أهمية ذلك. يجب ألا نعتبر أي شيء حسن يفعله الناس أنه أمر مسلَّم به. الشيطان يعمل وقتاً إضافياً محاولاً أن يجعل الناس يشعرون بالفشل، ويجب أن نعمل نحن بنفس المقدار لنجعلهم يشعرون بالنجاح.

لا شيء يبدل الموقف السيئ أسرع من الضحك. إننا نكبت «الطفل الصغير» الذي بداخلنا في مرحلة مبكرة جداً في الحياة. الأطفال لا يبدو أنهم يتضايقون عندما يقع منهم شيء، أو عندما يوسخون ثيابهم، أو عندما يتعثرون ويسقطون، أو عندما يرتكبون خطأ، فهم عادة يجدون طريقة يستمرون بها في الضحك والمرح طالما سمح لهم الكبار بذلك. قال يسوع إننا لن ندخل الحياة الرائعة التي يعدنا الله بها إلا عندما نصير مثل الأولاد الصغار (انظر لو ١٨ : ١٧). لذلك أؤكد على أننا يجب أن نساعد بعضنا البعض في هذه المنطقة.

أنا أحب التواجد بالقرب من الناس الذين لا يضعون علي ضغوطاً لكي أكون كاملة. الله يحبنا بلا شروط، وهذا يعني أنه يقبلنا كما نحن، ثم يساعدنا أن نكون كل ما يمكننا أن نكون عليه. والابتسامة علامة على القبول. ومساعدة الناس على الضحك على أنفسهم، طريقة تقول بها: «أنا أقبلك، بأخطائك وبكل شيء بك».

إن تحمل ضعفات بعضنا البعض هو طريقة بسيطة لإظهار المحبة. كان الرسول بولس يعلم الناس أن يشجعوا الآخرين ويبنوهم، وكثيراً ما كان

يذكِّرهم أن يواظبوا على فعل هذا. «لِذَلِكَ عَزُّوا (شجعوا، حرضوا) بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَابْنُوا (قووا) أَحَدُكُمُ الآخَرَ، كَمَا تَفْعَلُونَ أَيْضاً». (١ تس ٥ : ١١). الروح القدس نفسه هو الشخص الذي يحيا فينا ويسير معنا في الحياة ويعزينا يشجعنا ويبنينا، وهو يحثنا على أن نكون كل ما يمكننا أن نكون عليه. وعندما نخطئ، لا يديننا، بل يدفعنا الأمام.

يؤدي نقص التشجيع إلى الاكتئاب، واليأس، والفشل، والطلاق، ويمنع الناس من تحقيق أحلامهم في الحياة. كلنا نحتاج إلى التشجيع، وأريد أن أؤكد مرة أخرى على أن التشجيع البسيط هو أحد الطرق الرئيسية التي يمكنها أن تشعل ثورة المحبة في مجتمعنا.

أكِّد على ما هو إيجابي

بدأ الله يُظهر لي أن أحد الطرق التي يمكنني بها أن أحب زوجي هي ببساطة ألا أذكر الأخطاء الصغيرة التي فعلها - أشياء مثل عدم إغلاق النور في خزانته أو عدم استبدال ورق التواليت. ربما نسي أن يفعل شيئاً طلبته منه - مثل أن يأخذ حقيبتي لأعلى إلى مكتبي فلا أضطر أن أحملها لأعلى في الصباح التالي بينما أحمل في اليد الأخرى قهوتي. هناك بدون مبالغة مئات الأشياء الصغيرة التي نفعلها كلنا من شأنها أن تضايق البعض، لكننا يمكن أن نختار أن نتغاضى عنها، ونتذكر أننا كلنا نفعل هذه الأخطاء الصغيرة، ونفضل ألا يظل الناس يذكروننا بها.

إذا كنت تحتاج حقاً أن تواجه أمراً، فافعل ذلك بكل تأكيد. لكن معظم العلاقات الممزقة تنتهي لأن شخصاً ما قام بتضخيم شيء صغير لم يكن في حقيقته بكل هذه الأهمية. الناس ينهارون ويضعفون في كل

مرة يذكرهم بها أحد بشيء لم يفعلونه بالشكل الصحيح. لقد قضيت سنوات كثيرة في «ذكر» الأشياء التي كانت تضايقني على أمل أن يكف الناس عن فعلها، لكنني وجدت أن تعليقاتي لم تفعل شيئاً سوى أنها جعلتهم يشعرون بالضغط وعدم الراحة في وجودي. لقد وجدت أن الصلاة والتركيز على ما هو إيجابي لهما فعالية أكبر.

عندما نضخم من نقاط قوة الناس والأشياء التي يفعلونها بشكل صحيح، يشعرون هم بالدفعة للتغلب على ضعفاتهم وأخطائهم. لقد دُهشت عندما اكتشفت كم يعد هذا تحدياً كبيراً لي في بداية سعيي وراء عدم ذكر شيء يضايقني والتغاضي عنه بالكامل. وقد وصلت الآن إلى موضع يمكنني فيه أن أفهم أن مضايقتي بسبب أشياء صغيرة تعتبر مشكلة أكبر من الأشياء نفسها. لماذا يضايقني ترك أنوار الخزانة مضاءة؟ هل أترك أنا الأنوار مضاءة أحياناً؟ بالطبع أفعل ذلك.

قمت مؤخراً بلفت نظر ديف بأنه كان يجلس على طرف الفراش الذي كنت قد رتبته للتو ثم قام بدون أن يصلح ما فعله. فنظر إليَّ بتعجب شديد، ونبهني إلى أنني أنا التي كنت أجلس على الفراش، وليس هو! أمر عجيب! كنت متأكدة أن ديف هو الذي فعل ذلك لدرجة أنني نسيت أنني كنت أنا المذنبة! هذا المثال يوضح كيف يمكن للروح التي تتصيد الأخطاء أن تعمينا عن أخطائنا بينما تدفعنا إلى اتهام الآخرين.

أَظْهِر المحبة عن طريق التركيز على ما هو إيجابي في الناس. الغريب أننا لا نحتاج لبذل مجهود لكي نجد الأشياء السلبية التي يفعلونها، فهذه الأشياء تبدو أنها تلتصق بهم مثل أضواء حمراء وامضة، لكننا يجب أن نتعمد البحث عن ما هو إيجابي – أو على الأقل إلى أن ننمي عادات جديدة!

وكما اقترحت عليك من قبل، ابدأ بوضع هدف أن تشجع أو تمدح ثلاثة أشخاص كل يوم بدون توقف. في نهاية اليوم، اسأل نفسك من هم، كطريقة لمحاسبة نفسك. عندما يصبح الرقم ثلاثة رقماً تلقائياً، قم بزيادة هدفك إلى ستة ثم عشرة، وعندها سيكون تشجيع كل من تتعامل معه في حياتك اليومية قد أصبح تلقائياً.

لا يجب أن يكون مدحك شيئاً كبيراً. فأشياء صغيرة مثل: «هذا اللون يبدو جميلاً عليك»، «أحب طريقة تصفيف شعرك»، «هذا القميص يبدو جميلاً»، «أنت تجعلني أشعر بالأمان»، «أنت تعمل باجتهاد»، «أنا أقدرك»، أو «أنا مسرور لأنك صديقي» كلها عبارات فعالة وذات معنى. وبينما توضح ما هو إيجابي وتركز عليه، سوف تشعر بسعادة أكبر، فلن تكون معطياً فحسب، بل ستنال فائدة في الوقت نفسه.

ثائر المحبة

جون ماكسويل

التشجيع يغير كل شيء

التشجيع أمر لا يصدق، فيمكن أن يكون تأثيره عميقاً - بل معجزياً أيضاً. إن كلمة تشجيع من مدرس لطفل يمكن أن تغير حياته. كلمة تشجيع من شخص لشريك حياته يمكن أن تنقذ زواجهما. كلمة تشجيع من قائد يمكنها أن تحفز شخصاً على أن يصل إلى أقصى إمكانياته. وكما يقول زيج زيجلر «لا يمكنك أبداً أن تعرف حقيقة تأثير لحظة، وبعض الكلمات القليلة الصادقة، على حياة شخص ما». إن تشجيع الآخرين يعني

مساعدتهم على استجماع الشجاعة التي لم يكن من الممكن أن يتحلوا بها بدون هذا التشجيع - شجاعة لمواجهة اليوم، لفعل ما هو صواب، للمخاطرة، لإحداث اختلاف. وقلب التشجيع هو توضيح قيمة شخص ما. عندما نساعد الناس على أن يشعروا بالقيمة والقدرة والتحفيز، غالباً نرى حياتهم وهي تتغير للأبد. وأحياناً نراهم يتقدمون ليغيروا العالم.

إذا كنت أباً أو أماً، فعليك مسئولية تشجيع أفراد عائلتك. إذا كنت قائداً في مؤسسة ما، يمكنك أن تزيد من كفاءة فريقك بصورة مذهلة بما يتناسب مع مقدار التشجيع الذي تمنحه للناس في قيادتك لهم. وإذا كنت صديقاً، فلديك امتياز المشاركة بكلمات مشجعة قد تساعد شخصاً ما على الثبات وسط وقت عصيب أو الجهاد لأجل الوصول إلى العظمة. وإذا كنت مسيحياً، فلديك القدرة على تمثيل يسوع من خلال محبة الآخرين وبنيانهم بكلمة مشجعة.

انضم إلى النادي

إياك أن تقلل من قيمة قوة التشجيع. في العشرينيات من القرن العشرين بدأ الطبيب والمشير وعالم النفس «جورج وكرين» في تعليم علم النفس الاجتماعي في جامعة نورث ويسترن بولاية شيكاغو. وبالرغم من أنه كان حديث العهد بالتدريس، إلا أنه كان دارساً ذكياً للطبيعة الإنسانية، وكان يؤمن بشدة بجعل دراسة علم النفس ممارسة عملية بالنسبة لطلابه.

أحد المحاضرات الأولى التي قام بتدريسها كان بها طلاب الفترة المسائية الذين كان سنهم أكبر من متوسط عمر طلاب الكلية. كان هؤلاء الشبان والشابات يعملون في المحال التجارية والمكاتب والمصانع في شيكاغو في

النهار، ويحاولون تطوير أنفسهم من خلال حضور الفصول المسائية.

في أحد الأيام جاءت شابة اسمها «لويس» بعد المحاضرة، وكانت قد انتقلت مؤخراً إلى شيكاغو آتية من بلدة صغيرة في ويسكونسن لتشغل وظيفة حكومية، وأسَرَّت إلى كرين أنها كانت تشعر بالعزلة والوحدة.

قالت بأسى: «أنا لا أعرف إلا بضع فتيات في المكتب. في الليل أذهب إلى غرفتي وأكتب رسائل لبيتي. الشيء الوحيد الذي يحفظني على قيد الحياة من يوم إلى يوم هو الأمل أن أستلم يوماً ما خطاباً من أصدقائي في ويسكونسن».

كانت مشكلة لويس من الأسباب الكبيرة التي جعلت كرين ينشئ ما أسماه «نادي المجاملات»، والذي أعلن عنه لطلاب فصله في الأسبوع التالي، وكان هذا هو أول تكليف بين عدة تكليفات عملية طلبها من تلاميذه في ذلك الفصل الدراسي.

قال لهم كرين: «يجب أن تستخدموا المعرفة التي لديكم عن علم النفس كل يوم سواء في البيت أو في العمل أو في السيارات والأتوبيسات في الشوارع. بالنسبة للشهر الأول، سيكون تكليفكم المكتوب هو نادي المجاملات. كل يوم يجب أن تقدموا مجاملة صادقة لثلاثة أشخاص مختلفين، ويمكنكم أن تزيدوا هذا العدد إذا أردتم، لكن لكي تتأهلوا للحصول على درجة هذه المادة يجب أن تقدموا مجاملة لثلاثة أشخاص على الأقل كل يوم لمدة ثلاثين يوماً ... ثم في نهاية تجربة الثلاثين يوماً، أريد من كل منكم أن يكتب ورقة عن خبراتكم في هذا الأمر. يجب أن تتضمن الورقة التغيرات التي لاحظتموها في الناس من حولكم، وأيضاً

نظرتكم المتغيرة للحياة».

البعض من طلاب كرين رفضوا هذا التكليف، والبعض تذمروا لأنهم لا يعرفون ماذا يقولون. آخرون كانوا يخشون التعرض للرفض، وقليلون اعتبروا أن تقديم المجاملة لشخص لا يحبونه أمر يتنافى مع الأمانة. سأل أحدهم «افترض أنك قابلت شخصاً لا تحبه، ألن يكون من عدم الأمانة أن تمدح عدوك؟».

فأجابه كرين «لا، لن يكون من عدم الأمانة أن تمدح عدوك، لأن المجاملة هي عبارة مدح صادقة على صفة إيجابية أو ميزة تستحق الثناء. سوف تجد أنه لا يوجد شخص يخلو تماماً من الميزات أو الفضائل...

قد يتسبب مدحك في رفع معنويات نفوس تعاني من الوحدة بعد أن وصلت لمرحلة الاستسلام الكامل في صراعها لفعل الصلاح. لا يمكنك أبداً أن تعرف متى ستقع مجاملتك العابرة على صبي أو فتاة أو رجل أو امرأة في اللحظة الحاسمة التي كان يمكن فيها لأي منهم أن يرفع الراية البيضاء ويقر بالهزيمة».

اكتشف تلاميذ كرين أن مجاملاتهم المخلصة كان لها أثر إيجابي على الناس من حولهم، وقد تركت هذه التجربة أثراً أعظم على الطلاب أنفسهم. تفتحت لويس وكشفت عن شخصيتها كإنسانة تهتم بالناس حقاً، وكانت تنير الغرفة كلما دخلتها. كانت هناك طالبة أخرى على وشك أن تترك وظيفتها كسكرتيرة قانونية بسبب مديرها صعب المراس، لكنها بدأت تمدحه. ومع أنها في البداية كانت تفعل ذلك رغماً عنها، لكن في النهاية لم يتغير موقفه الفظ تجاهها فحسب، بل تبدلت كراهيتها

من نحوه أيضاً، وانتهى بهما الأمر أن أعجبا أحدهما بالآخر وتزوجا.

ربما يبدو نادي المجاملة الذي أسسه جورج كرين سخيفاً بعض الشيء بالنسبة لنا هذه لأيام، لكن المبادئ الكامنة وراءه صحيحة بالنسبة لنا اليوم تماماً كما كانت في العشرينيات من القرن العشرين. الخلاصة هي أن كرين كان يعلم تلاميذه ما أسميه «مبدأ الإعلاء»: يمكننا أن نعلي من شأن الناس أو أن نحط من قدرهم في علاقاتنا. كان كرين يحاول أن يعلم تلاميذه أن يكونوا سبّاقين في الأفعال. قال كرين «العالم يشتاق إلى التقدير. إنه جائع للمجاملات، لكن يجب أن يكون هناك شخص ما يبدأ هذا بأن يتحدث أولاً ويقول شيئاً لطيفاً لرفيقه». كان كرين يعتنق رأي بنيامين فرانكلين الذي كان يؤمن أننا «كما يجب أن نعطي حساباً عن كل كلمة بطالة، هكذا يجب أن نعطي حساباً عن كل صمت بطال».

خمسة أمور يحتاج كل مشجع أن يعرفها عن الناس

لديك قوة هائلة للتأثير على حياة الناس من حولك، فإن التشجيع الصادر منك قد يصنع اختلافاً في يوم شخص ما أو أسبوعه أوحتى حياته كلها، إذ يوجه ذلك الشخص إلى اتجاه جديد تماماً.

من الصعب أن تشجع الناس إذا لم تعرف ما الذي يشجعهم، لذلك كن دارساً للناس، وتعلّم ما الذي يجذب انتباههم. اعرف الأمور التي تعلي من شأنهم، ولكي أساعدك على البداية في هذا الأمر، يمكنك أن تبدأ بإدراك هذه الأمور الخمسة التي أعرفها عن الناس:

١- كل إنسان يريد أن يكون شخصاً ما.

كل إنسان يرغب في أن ينظر إليه الآخرون نظرة إيجابية. كل إنسان يريد أن يكون محبوباً. كل إنسان يريد أن يفكر فيه الآخرون بطريقة حسنة. كل إنسان يريد أن يكون شخصاً ما، وهذا صحيح من أصغر طفل إلى أكبر بالغ.

كيف يمكنك أن تساعد الآخرين أن يشعروا أنهم أشخاص مهمون؟ من خلال رؤيتهم على أنهم «١٠». أؤمن أن الناس في معظم الأحوال يتجاوبون مع توقعاتنا منهم. إذا كنت ترى الأفضل فيهم، فسوف يعطونك بوجه عام أفضل ما عندهم. إذا عاملت الناس على أنهم «١٠»، سوف يتجاوبون على أنهم «١٠». إذا عاملت شخصاً ما على أنه «٢» سوف يتجاوب على أنه «٢». الناس يريدون التقدير والاعتراف. إنها رغبة إنسانية عميقة، ويمكننا أن نساعد الناس على أن يصبحوا عظماء بمجرد أن نظهر لهم كم نؤمن بهم.

٢- لن يهتم أحد بمقدار معرفتك، إلا إذا عرف مقدار اهتمامك.

الناس لا يريدون أن يعرفوا كم نحن أذكياء. لا يريدون أن يعرفوا كم نحن روحيون. لا يريدون أن يعرفوا درجاتنا العلمية أو حجم ثرواتنا. الشيء الوحيد الذي يريدون حقاً أن يعرفوه هو هل نهتم بهم اهتماماً صادقاً أم لا. يجب أن نظهر محبة الله للآخرين من خلال حياتنا.

لقد تعلمت هذا الدرس من «كاتي هتشيسون» مدرستي في مدرسة الأحد في الصف الثاني الابتدائي. كانت امرأة رائعة. كانت تحبني، وكنت أعرف هذا جيداً. عندما كنت أمرض ولا أحضر إلى الكنيسة، كانت تأتي لزيارتي في ذلك الأسبوع.

كانت تقول «يا جوني، كم افتقدتك يوم الأحد الماضي في الكنيسة، أردت أن أعرف أحوالك». وكانت تعطيني شيئاً صغيراً قيمته خمس سنتات، لكنه بالنسبة لي كان يساوي مليون دولار وتقول: «أتمنى أن تستطيع أن تأتي إلى مدرسة الأحد الأسبوع القادم لأننا افتقدناك كثيراً. أتعلم، عندما تأتي إلى الفصل، لابد أن أراك. لذلك عندما أقوم لكي ألقي الدرس، هل يمكنك أن ترفع يدك وتلوح لي؟» (كان هناك حوالي خمسين طفلاً في فصلها!) «عندها سوف أراك وسوف أبتسم، وسوف أشعر بأنني أفضل وألقي الدرس بشكل أفضل».

وعندما كان يحين يوم الأحد، كنت أذهب سواء كنت أشعر بتحسن أم لا. وكنت ألوح لها، وكانت هي تبتسم وتهز رأسها وتلقي الدرس. كنت أعرف كم كانت تهتم بي، وهذا كان يجعلني أشعر كما لو كان بإمكاني أن أفعل أي شيء.

٣- أي شخص في جسد المسيح ينتمي للجميع في جسد المسيح.

كثيرون منا كمسيحيين يحاولون أن يعيشوا بمفردهم، ويصبحون غير مبالين بالآخرين، ويتوقعون منهم أن يعيشوا هم أيضاً بمفردهم، لكن ليس هذا هو ما يجب أن يكون عليه جسد المسيح.

عندما يحاول شخص مسيحي أن يعيش بمفرده، فهو بذلك يشبه رجلاً قرأت عنه في أحد القصص الكوميدية. كان هذا الرجل يرص الطوب، وكان عليه أن ينقل آلاف الأرطال من الطوب من أعلى بناء يبلغ أربعة طوابق إلى الممشى بأسفل. والكلمات التالية هي كلماته التي قالها في تقرير شركة التأمين:

كان نقل الطوب بيدي وإنزاله الى أسفل سيستغرق وقتاً طويلاً، لذلك قررت أن أضعه في برميل وأنزله عن طريق بكرة سحب ربطتها في أعلى المبنى. بعد أن أحكمت ربط الحبل في الطابق الأرضي، ذهبت إلى قمة المبنى، وربطت الحبل حول البرميل جيداً، ووضعت الطوب، ودليته فوق الممشى لكي أنزله.

ثم ذهبت لأسفل إلى الممشى وفككت الحبل، ممسكاً به جيداً لكي أنزل البرميل ببطء. لكن بما أن وزني يبلغ ١٤٠ رطلاً فقط، فقد سحبني البرميل الذي يزن خمسمائة رطل بسرعة من الأرض لدرجة أنه لم يُتح لي الوقت للتفكير في ترك الحبل.

في طريقي لأعلى، وأنا بين الطابقين الثاني والثالث، اصطدمت بالبرميل وهو في طريقه لأسفل، وهذا يفسر الكدمات والتمزقات في الجزء الأعلى من جسدي.

تشبثت جيداً بالحبل إلى أن وصلت للقمة، حيث انحشرت يدي في بكرة السحب، وهذا يفسر كسر إصبعي الإبهام.

في الوقت نفسه، كان البرميل قد خبط الممشى محدثاً صوتا مدوياً، فسقط قاعه. وعندما فرغ البرميل من ثقل الطوب، كان وزنه قد أصبح أربعين رطلاً فقط. لذلك بدأ جسدي الذي يزن ١٤٠ رطلاً في النزول بسرعة. اصطدمت بالبرميل الفارغ أثناء صعوده، وهذا يفسر كسر كاحلي.

أبطأ هذا من سرعتي بعض الشيء، ثم واصلت النزول ووقعت على كومة الطوب. وهذا يفسر التواء ظهري وكسر الترقوة. عند هذه النقطة

فقدت وعيي بالكامل، وأفلتُّ الحبل من يدي، فنزل البرميل الفارغ عليَّ بسرعة، وهذا يفسر إصابة رأسي.

وبالنسبة للسؤال الأخير في تقرير التأمين الخاص بكم - ماذا ستفعل إذا واجهك نفس الموقف مرة أخرى؟ أرجو التكرم بالعلم بأنني لن أحاول مرة أخرى أن أقوم بهذه المهمة بمفردي.

من الناحية الروحية، هذا ما يحدث عندما يظل الناس منفصلين عن جسد المسيح. الله لم يصمم أياً منا لكي يعيش بمفرده. لقد خُلقنا لكي نشجع ونساعد أحدنا الآخر. وكإخوة وأخوات، يجب أن نقوم بهذه الرحلة معاً.

٤- أي شخص يشجع شخصاً آخر، يؤثر بذلك على الكثير من الناس.

كثيرون من الناس ساعدوني وشجعوني طوال الطريق في حياتي. وعندما أراجع ما مضى من حياتي وأنا الآن في سن الواحدة والستين، أتعجب من مدى سخاء ولطف الآخرين نحوي.

أحد الأشخاص الذين فعلوا هذا بينما كنت صغيراً في الصف الأول الإعدادي، كان رجلاً اسمه «جلين ليثروود»، وهو مدرس رائع آخر لي في مدرسة الأحد. كنا مجموعة مشاكسة: كنا دائمي الضحك والتهكم والكلام والعراك - كنا نفعل كل شيء ما عدا الإنصات، لكننا كنا ننصت إلى جلين لأنه كان يحيا لكي يحبنا ويشجعنا.

في أحد الأيام بدأ صوته يتكسر، وبدأ كل ولد يلتفت وينظر إلى جلين، ونظر هو لنا وبدأت الدموع تجري من عينيه.

قال : «بعد الفصل مباشرة ، أريد أن أرى ستيف برنر ، وفيل كونراد ، وجونيور فاولر ، وجون ماكسويل لدقيقة واحدة . عندي شيء رائع أقوله لكم» .

بعد الفصل مباشرة عندما تقابلنا قال لنا «مساء كل سبت أصلي لأجل كل ولد في فصلي . وبالأمس شعرت أن الله يقول لي إنكم أنتم الأربعة سوف تُدعون للخدمة ، وأردت أن أكون أول شخص يقول لكم هذا ، كما أردت أيضاً أن أكون أول شخص يضع يده عليكم ويصلي لأجلكم» .

وضع جلين يده على رؤوسنا وأعطاني ما اعتبرته دائماً السيامة الرسمية لي في الخدمة ، وكان على حق ، فقد أصبحنا نحن الأربعة رعاة في الخدمة .

بعد سنوات كثيرة ، ذهبت لأزور جلين ، وسألته كم شخصاً من فصول مدرسة الأحد التي قام بتدريسها أصبح خادماً على مر السنوات . قال إنه لا يعرف العدد بالتحديد ، لكنه كان يعرف على وجه اليقين ثلاثين منهم .

أتساءل كم كنيسة انتفعت من المحبة والتشجيع اللذين أظهرهما جلين لمجموعة من طلبة الصف الأول الإعدادي كل عام؟ كم من الناس تأثروا بكلماته المشجعة؟ ربما لن أعرف قبل أن أصل إلى السماء ، لكنني يمكنني أن أخبرك بهذا : أي شخص يشجع شخصاً آخر ، يؤثر بذلك على العديد من الناس .

٥- الله يحب الجميع .

كثير من المسيحيين يميلون لانتقاء من الذي يساعدونه ومن الذي يشجعونه ، فهم يبحثون عن الناس الذين يشبهونهم ، بل إن البعض

يؤمنون أنهم يجب أن يساعدوا فقط الأفراد الذين يؤمنون بما يؤمنون هم به، ويفكرون بالطريقة التي يفكرون هم بها، ولكن الأمر لا يجب أن يكون هكذا، وبالتأكيد لم يكن هذا هو أسلوب يسوع.

منذ سنوات قرأت شيئاً عن شخص وقع في حفرة ولم يستطع الخروج - والطريقة التي عامله بها الآخرون:

أتى شخص متعاطف وقال: «أنا أدرك شعورك وأنت في هذه الحفرة».

ثم أتى شخص موضوعي وقال: «حسناً، شيء منطقي أن يقع شخص ما في مثل هذه الحفرة».

قال أحد الفريسيين: «الأشرار فقط هم الذين يقعون في الحفر».

وقام عالم رياضيات بحساب كيف وقع ذلك الشخص في الحفرة.

أتى مراسل إخباري يريد الحصول على قصة كاملة عن الشخص الذي في الحفرة.

وقال شخص متزمت: «أنت تستحق الحفرة التي أنت فيها».

ثم جاء أحد الكالفينيين وقال: «لو كنت مُخلَّصاً، لما وقعت في هذه الحفرة».

وأتى شخص أرمني فقال: «أنت مُخلَّص، ومع ذلك وقعت في الحفرة».

جاء شخص كاريزماتي وقال: «انطق فقط بإعلان أنك لست في الحفرة».

ثم مر شخص واقعي فقال: «حسناً، هذه حفرة».

أتى عالم جيولوجيا، وقال له: «يجب أن تقدر طبقات الصخور في

تلك الحفرة».

ثم أتى موظف في خدمات العوائد الداخلية وسأله إن كان قد سدد الضرائب على هذه الحفرة.

وسأله مفتش البلدة هل حصل على تصريح لحفر الحفرة؟

ثم جاء شخص يشعر بالشفقة على نفسه، وقال له: «إن حفرتك لا تعتبر شيئاً بالمقارنة بحفرتي».

ثم أتى شخص متفائل وقال: «كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ من ذلك».

أما الشخص المتشائم فقال: «سوف يزداد الأمر سوءاً».

لكن يسوع رأى الرجل، فمد يديه وأصعده وأخرجه خارج الحفرة.

لقد جاء يسوع لكي يموت عن البشر. كان ولا يزال مهتماً بالبشر. وأنت وأنا نحتاج إلى أن نهتم بالبشر أيضاً. يجب أن نتذكر دائماً أن الله يحب الجميع، وأننا يجب أن نعامل الآخرين بالطريقة التي يعاملهم بها يسوع. يجب أن نشجعهم ليكونوا في الصورة التي خلقهم الله ليكونوا عليها.

أؤمن أن كل واحد منا في أعماقه يريد أن يكون مشجعاً للآخرين، وكل من يعرف يسوع يريد أن يتمثل أكثر بيسوع – حتى أكثر الأشخاص سلبية. لماذا أقول هذا؟ لأنني أؤمن أننا كلنا نريد أن نكون مؤثرين إيجابيين على حياة الآخرين. نريد أن نضيف قيمة للآخرين، لا أن نحذفها منهم.

لذلك من فضلك، اسمح لي أن أشجعك. يمكنك أن تحدث اختلافاً.

يمكنك أن تضيف قيمة لحياة الآخرين. يمكنك أن تمثل يسوع جيداً وتسمع في يوم ما هذه الكلمات «نعماً أيها العبد الصالح والأمين». يمكن لكل واحد أن يصير مشجعاً. ليس عليك أن تكون عبقرياً، ليس عليك أن تكون ذا حضور قوي، وليس عليك أن يكون لديك كل شيء، فكل ما تحتاجه هو أن تهتم بالناس وتكون مستعداً أن تبدأ. ليس عليك أن تفعل شيئاً كبيراً أو مبهراً، فالأشياء الصغيرة التي يمكنك أن تفعلها كل يوم، لها القدرة على أن يكون لها تأثير أكبر بكثير مما يمكن أن تتخيله.

- انتبه لشخص ما وهو يفعل شيئاً صحيحاً.
- قدم لأحد الأشخاص مجاملة صادقة.
- ساعد شخصاً ما في احتياجه.
- قدم لشخص ما كتفك لكي يبكي عليه.
- احتفل مع شخص ما في نجاحه.
- قدم الرجاء لشخص ما.

يمكنك أن تفعل ذلك، وتذكر هذه المقولة التي طالما أحببتها: «لا أتوقع أن أعبر بهذا العالم سوى مرة واحدة، وبالتالي فإن كان هناك أي خير يمكنني أن أفعله، أو أي لطف يمكنني أن أظهره لأي مخلوق بجواري، فيجب أن أفعله الآن. ليتني لا أؤجله أو أهمله، لأنني لن أعبر بهذا الطريق مرة أخرى».

الفصل

١٠

الإصرار على أعمال المحبة

وَلْنُلاَحِظْ (لننتبه ونهتم باستمرار) بَعْضُنَا بَعْضاً لِلتَّحْرِيضِ (للتحفيز والتشجيع) عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ (النبيلة التي تساعد الآخرين).

(عبرانيين ١٠: ٢٤)

هل جلست من قبل بجانب شريك حياتك، أو فرد من أفراد أسرتك، أو صديق، وناقشت معه الطرق التي يمكنك بها أن تكون بركة للآخرين؟ أتجرأ وأقول أن معظمكم لم يفعلوا ذلك، وقبل ثلاث سنوات لم أكن أنا أيضاً أفعل ذلك. أما الآن، فإني كما ذكرت في الفصل السادس، أعتبر مثل هذه المحادثات ممتعة ومفيدة للغاية. كلنا نشعر بالحماس عندما نتعمد التفكير والحديث عن طرق نساعد بها الآخرين. لن يكون هناك ثورة محبة إذا لم نتعمد أن نفعل أشياء تساعد الآخرين. يجب أن تكون لنا أهداف وأن نجتهد لكي نحققها.

في مرة من المرات كنت مصممة على أن تكون محبة الآخرين هي موضوع حياتي، وكنت أتوق إلى العثور على طرق متنوعة لإظهار المحبة. المحبة ليست نظرية أو مجرد كلام، لكنها فعل (انظر ١يوحنا ٣ : ١٨). بالتأكيد يمكننا أن نحب الناس بكلمات محبة تشجعهم وتعبر عن مدى تقديرنا لهم، كما كنت أؤكد على هذا في الفصل السابق، لكننا نحتاج أيضاً أن نستخدم موارد الوقت والطاقة والممتلكات والماليات التي لدينا لكي نحب بها الآخرين.

ربما تكون مقتنعاً أنك لا تمتلك شيئاً يمكنك أن تقدمه. قد تكون تحت دين وتفعل أقصى ما يمكنك لسداد الفواتير المستحقة عليك – وفكرة العطاء للآخرين تزعجك أو ربما تجعلك تشعر بالحزن لأنك تريد أن تعطي، لكنك لا تعلم كيف يمكنك ذلك. هناك بدون مبالغة آلاف الطرق التي يمكنك بها أن تعطي وتنشر محبتك، فقط إذا بحثت عن هذه الطرق بإصرار.

افعل ما تقوله

في رأيي يعتبر إخبار الناس بما يجب عليهم فعله وعدم تقديم أية معلومات عن الكيفية التي يفعلون بها هذا خطأ جسيم. كثيرون يتحدثون عن المحبة، لكن الكلام وحده لا يعطي للناس بالضرورة أية أفكار واقعية عن كيفية إظهار المحبة بطرق عملية. لقد انتهيت للتو من تصفح كتاب كامل عن المحبة. كان مكوناً من ١٢٠ صفحة، وكان مليئاً بالتعاليم عن الوصية الواحدة الجديدة التي قال يسوع أنه يجب علينا أن نتبعها، وهي أن نحب بعضنا بعضاً كما أحبنا هو، وأن هذه المحبة ستجعل العالم يتعرف على يسوع (انظر يو ١٣ : ٣٤-٣٥). لكنني لم أجد فكرة عملية أو إبداعية

واحدة عن كيف يظهر هذا في حياة الفرد. ظل الكاتب يكرر توضيح فكرة أن محبتنا بعضنا لبعض هي أهم شيء يمكن أن نفعله، لكنني بصدق أقول إنه إذا كان هذا الكتاب هو كل ما أعرفه عن المحبة، فليس عندي أية فكرة كيف أبدأ في ممارستها. أعتقد أن الناس يريدون أن يفعلوا ما هو صواب، لكنهم يحتاجون إلى من يقودهم عن طريق توضيح الاتجاه الصحيح الذي يجب أن يسيروا فيه.

لم يكن يسوع يتكلم عن المحبة فقط، لكن تذكر أن أعمال ١٠ : ٣٨ يقول إنه كان ينهض كل يوم ويبدأ في عمل الخير وشفاء جميع من أنهكهم إبليس وتسلط عليهم. كان تلاميذه يرونه كل يوم وهو يساعد الناس، ويصغي إليهم، أو يسمح بمقاطعة خططه لكي يساعد شخصاً أتى إليه باحتياج ما. كانوا يرونه حريصاً على أن يكون لديهم دائماً مال مخصص لمساعدة الفقراء. كما شهدوا أيضاً سرعته في الغفران وإظهار طول الأناة على الضعفاء. كان لطيفاً ومتواضعاً ومشجعاً، ولم ييأس أبداً من أي شخص. لم يكن يسوع يتكلم فقط عن محبة الناس، بل كان يظهر لجميع من حوله كيف يمكنهم أن يحبوا غيرهم.

إن كلماتنا مهمة، لكن أفعالنا أثقل بكثير من كلماتنا.

مشكلتنا الكبرى

المشكلة الكبرى الوحيدة لدينا في المسيحية هي أننا نستمع إلى أشخاص يقولون لنا ما يجب أن نفعله – بل إننا نحن أيضاً نقول للآخرين ما يجب أن يفعلوه – ثم نخرج من مبنى الكنيسة أو قاعات دراسة الكتاب

المقدس، ولا نفعل شيئاً. لا يهم ما الذي نظن أننا نعرفه. إن البرهان على ما نعرفه موجود في ما نفعله. قال يسوع إننا من ثمارنا نُعرف (انظر مت ١٢ : ٣٣) أي أن الناس يمكن أن يقولوا من نحن على حقيقتنا من الداخل بالنظر إلى ما ننتجه في حياتنا واتجاهاتنا.

لابد أن أسأل نفسي باستمرار: «ما الذي أفعله لأُظهر المحبة فعلياً؟» يمكننا أن ننخدع بالمعرفة، كما قال الرسول بولس. يمكن لغرور ما نعرفه أن يعمي أنظارنا للدرجة التي لا يمكننا فيها أن نرى أننا لا نمارس أياً من هذه المعرفة عملياً. قال بولس لأهل كورنثوس إن المعرفة المجردة تجعل الناس ينتفخون بالكبرياء، لكن المحبة (الاهتمام والمودة والخير) تبني الناس وتشجعهم على النمو إلى ملء قامتهم (١كو ٨ : ١). يجب أن نحرص كلنا على ألا تكون هناك فجوة بين ما نقوله وما نفعله. لا عجب إذاً أن العالم يتهم مسيحيين كثيرين بأنهم مراءون، لأنهم حقاً كذلك.

ظللت لسنوات كثيرة أحضر كنيسة كانت تتحدث عن الإرساليات مرة واحدة في السنة في «يوم الإرساليات». لا أذكر أنني سمعت أبداً عن مساعدة الفقراء والمظلومين في مدينتنا. كانت معظم العظات التي سمعتها تتحدث عن إيمانيات عقائدية، وليس عن مظاهر عملية للمسيحية، وكيف يجب أن أتصرف في وسط مجتمعي. التعليم الصحيح مهم، لكن فهم كيفية الحياة في حياتي اليومية أمر مهم بالمثل. كانت الكنيسة مليئة بالنميمة والانقسام، وكان الناس يتنافسون على المناصب في الكنيسة. كنا بطرق عديدة لا نختلف عن باقي العالم في سلوكنا، فقد كنا فقط نذهب إلى الكنيسة، وأخيراً طلبت أن أترك تلك الكنيسة لأنني كنت متطرفة ومتحمسة لمسألة المواهب فوق الطبيعية التي يمنحها الله والتي

اكتشفت أنها موجودة في المسيحية. أصبحت مسيحية متحمسة وشغوفة، وقيل لي إنني عاطفية وأحتاج إلى أن أهدأ.

ثم ذهبت إلى كنيسة أخرى كان الناس فيها أيضاً متحمسون للأشياء التي كنت أهتم بها كثيراً. كانوا منغمسين في الشهادة للآخرين عن الخلاص بيسوع المسيح. شعرت بالإثارة وأردت بعمق أن أخدم الله، لذلك نظمت مجموعة من النساء وكنا نخرج متسلحات بنبذات الإنجيل كل يوم جمعة. كنا نعطي هذه النبذات للناس وهم خارجون من محلات البقالة ونضعها على الزجاج الأمامي للسيارات في مكان انتظار السيارات. وفي غضون بضعة أسابيع، كنا قد وزعنا عشرة آلاف كتيب صغير يحوي رسالة الإنجيل، كما أنني كنت أستضيف مجموعة أعلم فيها الكتاب المقدس في بيتي مساء كل ثلاثاء.

كنت أنمو في الله وكنت متحمسة جداً لخدمته، لكن بعد ذلك استدعاني شيوخ الكنيسة لاجتماع وقالوا إن تصرفاتي تعتبر تمرداً لأنني كنت أنظم النساء لكي توزعن النبذات بدون الحصول على إذن منهم، كما أنهم أيضاً أخبروني أنا وديف أنه يجب أن يقوم ديف بتعليم الكتاب المقدس وليس أنا. وأخيراً تضاءلت الكنيسة ثم تلاشت وأصبحت غير موجودة الآن، لأنهم ببساطة حاولوا أن يتحكموا في الناس، وكانوا بذلك يطفئون المواهب التي منحها لهم الله نفسه.

ولسنوات كثيرة لا يهمني أن أتذكر عددها، كنت أحضر كنيسة أخرى كانت تعلم أموراً جيدة، لكن أقول بصدق، وأنا أتذكر هذه السنوات الآن، إنني أرى أنه لم تكن هناك محبة حقيقية كثيرة فيها. كانت هذه الكنيسة لديها قوافل ضئيلة، وكانت ميزانية الرحلات التبشيرية الخارجية بها

ضعيفة فتم إيقافها في النهاية. كما أنه كان لدينا قادة في غاية الأنانية والكبرياء والغيرة، بل والخوف من نجاح الآخرين. كان البعض مسيطرون وغير ناضجين إلى حد بعيد. أنزعج في كل مرة أفكر فيها كيف أضعت كل هذه السنوات من حياتي في الاشتراك في شيء متمركز حول الذات هكذا. إن الكنيسة بوجه عام، والكنائس المحلية بوجه خاص، مدعوة للتحرك نحو من هم بالخارج، وليس للتحرك نحو من هم بالداخل. إن إرسالية المسيح هي أن نكون شهوداً في المجتمعات والمدن والدول والعالم كله (انظر أعمال ١ : ٨).

يجب على الكنيسة أن يتم توظيفها بشدة بالمحبة الحقيقية التي يحددها الكتاب المقدس بكل وضوح على أنها الصبر، واللطف، والاتضاع، والفرح لنجاح الآخرين، وعدم الأنانية، والعطاء، وتصديق الأفضل في الآخرين دائماً، والمسارعة إلى الغفران، وإظهار الرحمة بدلاً من الحكم، وعمل الخير، والأعمال الصالحة، ومساعدة الفقراء، والأرامل، والأيتام، والجائعين، والمشردين، والمظلومين. المحبة تبذل نفسها لأجل خير الآخرين. في الواقع يجب أن تكون المحبة عاملة وإلا ستموت. يجب أن تتدفق وتنمو!

ماذا تفعل بأحشائك؟

يطرح الكتاب المقدس علينا سؤالاً مهماً في رسالة يوحنا الأولى ٣: ١٧ «وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ (المصادر التي تحفظ حياته)، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟» أي أن هذه الآية تقول إننا يمكننا أن نقرر إما أن نفتح أحشاءنا أو نغلقها عندما نرى احتياجاً، لكن إذا قررنا أن نغلقها باستمرار، لا يمكن أن تظل محبة

الله حية وثابتة فينا. إن طبيعة المحبة ذاتها تتطلب أن تكون فعالة لأنها شيء حي. الله محبة!

علق يوحنا تعليقاً مروعاً وواقعياً عندما قال: « وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ (لا يعرف الله ولم يعرفه قط)، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ.» (١يوحنا ٤ : ٨). يمكننا أن نجد تعليماً سريعاً عما يجب أن تكون عليه المحبة في حياتنا اليومية من خلال دراسة خطوات يسوع، أو كما قال أحدهم: «ربما يمكننا أن نتعلم المزيد من خلال دراسة وقفات يسوع». كان دائماً لديه الوقت للناس! كان دائماً يهتم! وبغض النظر عما كان يجتاز فيه، فقد كان يتوقف ليساعد من لديهم احتياج.

لنكن عمليين

طلبت من مئات الناس أن يشاركوني بطرق عملية يرون أنها يمكن أن تظهر المحبة. قرأت كتباً وبحثت في شبكة الإنترنت، وكنت مركزة في رحلتي الخاصة على البحث عن طرق إبداعية لإدخال فكرة محبة الناس هذه في حياتي اليومية. وأريد أن أشاركك ببعض الأمور التي تعلمتها، لكني أشجعك أيضاً على أن تكون مبدعاً ثم تشارك بأفكارك الخاصة مع الآخرين. يمكنك تصفح موقع www.theloverevolution.com الذي هو الموقع الرسمي لثورة المحبة، وهناك ستجد روابط لكل صفحات شبكة ثورة المحبة الاجتماعية، والرسومات، ومواقع التحميل، وأدوات كثيرة يمكنك أن تستخدمها لتطوير هذه الحركة. يمكنك أن تشارك بأفكارك مع الآخرين كما ستكون لك فرصة للتعلم منهم. تذكر ... أنت ثورة المحبة! وبدون مشاركتك الفعالة، لن تنجح هذه الثورة.

إليك بعض الأفكار سواء التي جمعناها من أشخاص متنوعين أو التي وجدناها :

- عندما يكون واضحاً أنك أنت وشخص آخر تحتاجان إلى نفس المكان لانتظار السيارة ، دع الشخص الآخر يأخذ هذا المكان ، وافعل هذا بابتسامة على وجهك .
- قم برعاية حديقة جارك المسن ، أو اجرف المياه من أمام منزله في الشتاء .
- قم بتنظيف منزل امرأة مسنة أو اعرض أن تقوم بشراء البقالة لها .
- اعرض على شخص ليس لديه وسيلة مواصلات أن تقوم بتوصيله إلى الكنيسة أو إلى أي مكان آخر ، حتى إذا كان هذا المكان بعيداً عن خط سيرك .
- حاول أن تستمع إلى شخص ما بدون أن تقاطعه .
- كن قائد سيارة مؤدباً .
- افتح الباب لشخص غريب واسمح له أو لها أن يدخل قبلك .
- إذا كانت لديك عربة مليئة بأصناف البقالة ، وكان الشخص الذي خلفك ليس معه سوى صنفين فقط ، اسمح له أن يتقدم للحساب قبلك .
- قم بمجالسة أطفال أب لا زوجة له أو أم لا زوج لها ، وأعط لهذا الشخص قليلاً من الوقت المنفرد لكي يقوم بأداء عمل ما في هدوء .

- قم بدعوة شخص ليست لديه عائلة في المدينة إلى منزلك في الإجازات.
- قم بإرسال بطاقات تهنئة و / أو زهور لإظهار التقدير.
- قدم لأم لا زوج لها بطاقة تخفيضات يمكنها بها أن تأخذ أطفالها للغذاء خارج المنزل.

هذا الأمر ينجح !

أحد الأفكار التي تلقيناها كانت: «سدد في السر حساب عشاء شخص ما في المطعم الذي تأكل فيه». كثيراً ما نفعل أنا وديف هذا الأمر ونجد نتائج مُسرة. في أحد الأيام رأينا سيدتين متقدمتين في العمر في أحد المطاعم. كانتا في أحلى ثيابهما وكانتا متأنقتين جداً. شعرنا برغبة أن نسدد حساب عشائهما ففعلنا ذلك من خلال النادل. طلبنا منه أن يدعنا ننصرف أولاً ثم يخبرهما أن هناك من أراد أن يباركهما بهذه الوجبة. بالطبع سألتا عن من كان ذلك الشخص وشاركهما النادل أنني كنت خادمة أظهر على التليفزيون، وأننا أردنا فقط أن نضع بسمة على وجهيهما.

بعد عدة شهور، كنا في ذلك المطعم نفسه، وأتت إلينا إحدى السيدات وسألت إذا كنا نتذكرها. لابد أننا كنا نبدو غير متأكدين، لذلك ذكرتنا سريعاً بتلك الحادثة، ثم أخبرتنا أن تلك الليلة التي اشترينا لها فيها تلك الوجبة كانت يوم ميلادها، وكم كان يعني لها الكثير أن يفعل شخص ما مثل هذا الأمر. قالت إنها بدأت تبحث عن برنامجي التليفزيوني وظلت تشاهده منذ ذلك الحين. لم نفرح فقط لأننا أسعدنا هاتين السيدتين، لكننا نلنا بركة إضافية أن الله قد استخدمنا في يوم ميلادها، كما أنها تتلقى

أيضاً تعليماً منتظماً من كلمة الله من خلال برنامجنا التليفزيوني، والله وحده يعرف ماذا ستكون ثمار هذا، وهكذا فإن فعل محبة صغيراً واحداً واستثماراً مالياً صغيراً لم يجلبا لها الفرح فقط، بل قدما لها كلمة الله أيضاً.

ورد إلينا اقتراح آخر هو «سدد حساب بقالة شخص آخر في محل البقالة». حكى لنا ابني قصة لمست قلبي، وجعلتني أفخر أنني أمه. كان هو وزوجته في محل البقالة، ولاحظ امرأة كان يبدو عليها التعب والإرهاق، وكما لو أنها ليس لديها سوى القليل من المال. كانت تتسوق ومعها قائمة طلبات، وبدا أنها تحرص كثيراً وهي تضع الأغراض في سلتها. فسار ببساطة نحوها، وأعطاها ورقة بمائة دولار، وقال لها أن تشتري الأشياء التي تحتاج إليها، ثم تركها وابتعد عنها. قرأت ذات مرة أن المحبة تنتظر وسط الظلال تترقب الفرصة لكي تعبر عن نفسها، فتتقدم للأمام، وتعمل عملها، ثم ترجع سريعاً إلى الظلال لتترقب الفرصة التالية. أعتقد أنها فكرة جميلة، أليس كذلك؟

كثيراً ما أراقب الناس الذين يبدو عليهم الإحباط وأقدم لهم شيئاً صغيراً عليه رسالة بسيطة «الله يحبك». وفي كثير من المرات لا أقول أي شيء عن الله، لكني فقط أظهر شخصيته! رأيت فتاة صغيرة في وقت راحتها في مقهى ستاربكس حيث كانت تعمل. كانت تجلس وحدها على مائدة، وعليها علامات الإرهاق الشديد، فأعطيتها خمسين دولاراً وقلت: «أريد فقط أن أباركك. أنا على يقين أنك تعملين بمنتهى الاجتهاد. أريدك فقط أن تعرفي أنني أقدر ذلك». نظرت إليَّ بتعجب ثم قالت: «هذا ألطف شيء فعله إنسان معي».

لا أظن أننا ندرك عدد الناس الذين يسيرون بيننا كل يوم ويشعرون بالوحدة أو بعدم الأهمية ولديهم خبرة ضئيلة، إن لم تكن منعدمة، عن المحبة غير المشروطة. وهم غير معتادين على الحصول على أي شيء «مجاناً» أو نوال أي شيء لم يتعبوا لكي يحصلوا عليه أو يستحقوه. أعتقد أن فعل أشياء عشوائية للناس لكي نكون بركة فقط وليس لأي سبب آخر هو طريقة مذهلة نظهر بها محبة الله.

لا تنس فعل الخير

يحثنا الكتاب المقدس في عبرانيين ١٣ : ١٦ قائلاً: « وَلَكِنْ لاَ تَنْسُوا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالتَّوْزِيعَ (للمحتاجين من الكنيسة، كتجسيد وبرهان على الشركة)، لأَنَّهُ بِذَبَائِحَ مِثْلِ هَذِهِ يُسَرُّ اللهُ». ومع أن هذه الآية تتحدث بوجه خاص عن فعل هذه الأمور لمن هم في الكنيسة، فإن ما أريد توضيحه هو أن الحياة بهذه الطريقة السخية أمر يسر الله. هناك الكثير من النصوص الكتابية الأخرى التي تخبرنا أن نفعل الخير للجميع، وليس لمن يشبهوننا في التفكير أو الذين معنا في الكنيسة فقط. على سبيل المثال، يحرضنا الكتاب المقدس في ١تسالونيكي ٥: ١٥ قائلاً «كُلَّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ».

أشجعك أن تفكر في الأشياء التي يمكنك أن تفعلها لأجل الناس الذين يخدمونك بطرق مختلفة مثل جمع قمامتك أو توصيل بريدك. هؤلاء الناس موجودون في حياتنا طوال الوقت، لكننا نادراً ما نفكر في ما تمثله وظائفهم بالنسبة لهم. بالنسبة لي فأنا بالتأكيد لا أحب أن أشم القمامة وأجمعها طوال الوقت.

كتبت ابنتي ذات مرة كلمة تقدير لجامع قمامتها وأعطته كوبوناً هدية لشراء وجبة غذاء. أعتقد أن هذه الأشياء لا تبارك الناس فحسب، بل يمكنها أيضاً أن تكون غريبة، لأنها تقريباً لا تحدث أبداً. العالم مليء بالناس الذين يعملون باجتهاد في وظائف غير مُسرة بالمرة، ومع ذلك لا يلاحظهم أحد.

رأيت ذات مرة امرأة تنظف دورة المياه في أحد المتاجر التي كنت أتسوق فيها وأعطيتها بعض المال، وقلت: «يبدو أنك تعملين باجتهاد، وقد فكرت أن أقدم لك هذه البركة». وابتسمت ورحلت سريعاً. بعد دقائق قليلة، وجدتني في محل للأحذية فعبرت عن امتنانها وأخبرتني كم أن هذا الفعل اللطيف رفع من روحها المعنوية.

أخبرتني أنها بالفعل كانت تعمل باجتهاد، وكانت تشعر أنه لا يوجد من ينتبه لهذه الحقيقة. سوف تُذهَل مما يمكن أن يحدث في قلبك عندما تنمي عادة أن تلاحظ من لا يلاحظهم أحد. إن عين الله على هؤلاء، وسوف يسر عندما تقرر أن تكون شريكه في هذا الأمر.

مارس السلوكيات المهذبة

عندما طلبنا أفكاراً لإظهار المحبة للآخرين، كتب إلينا أحد الأشخاص قائلاً: دائماً قل «من فضلك» و «شكراً». هاتان الكلمتان تدلان على السلوكيات المهذبة، وبالتأكيد يعتبر التعامل بأدب بدلاً من الوقاحة طريقة نظهر بها اللطف والاحترام للآخرين. أريد أن أشجعك بشكل خاص على أن تكون مهذباً في البيت مع أسرتك. أحاول أن أتذكر أن أقول دائماً شكراً لديف عندما يفعل شيئاً طلبت منه أن يفعله. إن السلوك المهذب خارج

البيت يجب أن يكون انعكاساً لما نفعله عادةً داخل البيت، خلف الأبواب المغلقة.

المحبة طبقاً لما جاء في ١ كورنثوس ١٣ : ٥ ليست وقحة. الوقاحة عادة تنتج عن الأنانية، وأحد الطرق لمحاربة ذلك هي استخدام السلوكيات المهذبة طوال الوقت. إن مجتمعنا مليء بالوقاحة والقسوة والفظاظة، لكن هذا لا يعكس شخصية الله. قال يسوع إن نيره ليس قاسياً ولا جامداً ولا حاداً ولا ظالماً (مت ١١ : ٣٠)، وكلنا يجب علينا أن نتبع مثاله.

بالتأكيد نحتاج إلى أن نوضح امتناننا ونعبر عن شكرنا. يوضح الكتاب المقدس في مواضع متعددة أننا يجب أن نكون «شاكرين ونعبر عن هذا». ربما نظن أننا أناس شاكرون ممتنون، لكن ما في القلب يخرج على الأفواه (انظر مت ١٢ : ٣٤). إذا كنا حقاً نقدر ما لدينا، فيجب أن يكون التعبير عن الشكر تلقائياً بالنسبة لنا.

الوقت عطية عظيمة - قدم موهبتك

أياً كانت موهبتك الخاصة، قدمها كعطية من وقت لآخر بدلاً من أن تريد أو تتوقع دائماً أن تحصل على مقابل لها. على سبيل المثال إذا كنت تعمل كمصور، اعرض أن تلتقط صور زفاف بدون مقابل لصديق أو لشخص ليس لديه الكثير من النقود.

إذا كنت تعمل في تصفيف الشعر، اعرض أن تذهب إلى ملجأ للمشردين وتقص شعرهم مرة في الشهر أو أكثر إذا أردت ذلك.

لي صديقة تعمل في رسم الديكورات، ومؤخراً قضت ثلاثة أيام في

الرسم مجاناً في منزل إحدى الشابات التي كانت تعاني من اضطرابات.

لقد أعطى الله لكل منا القدرات، ويجب أن نستخدمها لفائدة بعضنا البعض.

ذكرت في الفصل الثالث امرأة لم يكن لديها سوى القليل من المال لكنها أرادت أن تعضد الإرساليات مالياً، وقد فعلت ذلك عن طريق بيع مخبوزاتها لجمع الأموال الإرساليات. هذه القصة تؤكد على أننا إذا رفضنا أن نظل لا نفعل شيئاً، فسوف نستطيع أن نجد شيئاً ما يمكننا أن نفعله. وعندما يشترك الجميع، لن يمضي وقت طويل حتى نرى الخير في عالمنا يغلب الشر.

حدد بعض الأهداف

لنحدد بعض الأهداف! أنا أؤمن بشدة بتحديد الأهداف ووضع الخطط للوصول إليها. ربما يمكنك أن تقترح على راعيك أنه عندما يرحل الجميع من الكنيسة يوم السبت، يتفقون على القيام بأعمال محبة عشوائية خلال الساعات الثلاثة التالية. تخيل ما يمكن أن يحدث إذا بدأ هذا في العالم كله!

في هذا الفصل، قمت بتركيز الضوء على القليل فقط من الطرق الكثيرة التي يمكننا بها أن نظهر محبتنا للآخرين – وهي أفكار أرجو أن تساعدك في فهم نوعية الأشياء التي يمكنك أن تفعلها. إذا قلنا إننا لا يمكننا أن نفعل أي شيء، فهذا غير صحيح بالمرة. قد نسرد الأعذار، لكن الأعذار ليست سوى طريقة نخدع بها أنفسنا ونبرر بها عدم فعلنا لأي شيء. سوف تحيا كما لم تحيا من قبل إذا أصبحت مصراً على أن تمد يدك للآخرين. ملايين الناس

في العالم يشعرون أنهم بلا هدف، ويبحثون عن مشيئة الله في حياتهم، ويعيشون في حيرة.

ليتنا لا ننسى كلمات الرب يسوع: «وَصيَّةً جَديدَةً أَنَا أُعْطيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضاً بَعْضُكُمْ بَعْضاً». بدون شك هذا هو هدفنا، وهذه هي مشيئة الله لحياتنا.

الفصل

١١

اكتشف ما يحتاجه الناس، وكن جزءاً من الحل

صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ

(١كورنثوس ٩: ٢٢)

قال بولس إنه مع أنه كان حراً تماماً من سيطرة أي شخص، إلا أنه جعل نفسه عبداً للجميع. وعندما تفكر في هذه العبارة تجدها مذهلة، فقد كان حراً لدرجة تجعله يقدم نفسه كعبد بدون أن يخشى استغلال أحد له. كان يعرف أنه لكي تكون له حياة حقيقية، يجب عليه أن يبذل حياته، فقرر أن يعيش لكي يخدم الآخرين ويسعدهم. لقد كان في حياته اليومية يتبع مثال يسوع.

بعدها قال بولس إنه صار لليهود يهودياً، وللذين تحت الناموس كأنه تحت الناموس، وللضعفاء ضعيفاً (١كو ٩ : ٢٢). أي أنه كان يكيف نفسه ليكون على أي حال يحتاجه الناس أن يكون عليه، فقد

كان يفعل كل ما هو ضروري لكي يربحهم للمسيح ويظهر لهم المحبة. كان بولس على قدر كبير من التعليم، لكنني على يقين أنه عندما كان يتواجد وسط الناس غير المتعلمين، لم يكن يتحدث أبداً عن درجاته العلمية أو يقدم محاضرة عن كل شيء يعرفه. لم يكن يتفاخر بمدى تعليمه وثقافته، بل إن العبارة التالية تظهر اتضاعه وإصراره على ألا يجعل الآخرين يشعرون بصغر النفس، فقد كتب يقول: «لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئاً (لا أتعرف على شيء، ولا أظهر معرفتي بشيء، ولا أدرك أي شيء) بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ (المسيا) وَإِيَّاهُ مَصْلُوباً». (١ كو ٢ : ٢).

عندما كان بولس يتواجد بين الناس، كان عليه أن يصغي إليهم ويقضي وقتاً في معرفتهم معرفة جيدة. وأنا أرى أن هذا شيء نحتاج كلنا إليه، وأعرف من خبرتي أن هذا الأمر سوف يدعم العلاقات بطرق رائعة. يجب أن نعرف الناس. يجب أن نكتشف ما يحبونه وما لا يحبونه، وما يريدونه وما لا يريدونه، وما يحتاجون إليه، وما يحلمون به للمستقبل. إذا كانوا يعانون من ضعف ما في منطقة معينة ونتمتع نحن بالقوة في هذه المنطقة، فيجب أن نحرص على ألا نتباهى بقدراتنا.

ابحث عن طرق تساعد بها الناس أن يسعدوا بأنفسهم

أنا منضبطة إلى حد كبير في العادات الخاصة بتناول الطعام. ومؤخراً قضيت أسبوعاً مع امرأة تعاني من صراعات حقيقية في هذه المنطقة. هذه المرأة علقت عدة مرات على كم أنني منضبطة وكم أنها هي غير منضبطة.

وكل مرة كانت فيها تفعل ذلك، كنت أقلل التركيز على قدراتي على ضبط نفسي وأقول: «أنا أيضاً عندي مناطق ضعف، وأنت سوف تتغلبين على هذه المشكلة إذا استمريت في الصلاة وبذل الجهد».

مررت بوقت في حياتي لم أكن فيه حساسة لمشاعر صديقتي. كان يمكن في موقف مثل هذا أن ألقي عليها عظة عن الانضباط ومخاطر الإفراط في الأكل والتغذية غير السليمة، لكن هذا لم يكن ليفعل أي شيء سوى أن يجعلها تشعر بالذنب والإدانة. عندما طلبت مني صديقتي أن أشاركها بأفكار قد تساعدها، فعلت هذا، لكن بطريقة لا تجعلها تشعر أنني أمتلك كل الإجابات بينما تعيش هي في فوضى. لقد اكتشفت أن إحدى الطرق التي بها نحب الناس هي أن نساعدهم على ألا يزداد ضيقهم من كل الأشياء التي يشعرون تجاهها فعلياً بالضيق.

الوداعة والتواضع من أجمل مظاهر المحبة. قال بولس إن المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ (انظر ١كو ١٣ : ٤). الاتضاع يخدم ويفعل دائماً ما يعلي من شأن الآخرين.

يعلمنا الكتاب المقدس أننا يجب أن يكون لنا فكر الرب يسوع واتجاه قلبه المتضع (انظر في ٢ : ٥). فمع أنه كان مساوياً لله، إلا أنه أخلى نفسه من كل الامتيازات، واتضع لدرجة أن صار مثل الإنسان حتى يمكنه أن يموت عنا ويأخذ العقاب الذي نستحقه نحن كخطاة (انظر في ٢ : ٦-٩). لم يكن يجعل الناس أبداً يشعرون بالضيق لأنهم لم يكونوا على مستواه، لكنه نزل هو إلى مستواهم. وبولس أيضاً فعل هكذا، ونحن نحتاج أن نتبع هذين المثالين الكتابيين.

كلنا نحتاج إلى أشياء مختلفة

كلنا مختلفون، وكل واحد منا له احتياجات مختلفة. أشجعك أن تمشي الميل الثاني وتكتشف ما يحتاجه الناس حقاً، بدلاً من أن تعطيهم فقط ما تريد أن تعطيهم إياه. ربما يسهل عليك أن تقدم للناس كلمات التشجيع، ولذلك تريد أن تشجع الجميع، وهذا حسن لأن الجميع يحتاجون إلى بعض كلمات التشجيع، لكنك قد تعطي هذه الكلمات لأشخاص يحتاجون منك في الحقيقة أن ترى أنهم بحاجة إلى مساعدة عملية بطريقة ما. قد يكونون مدينين بإيجار ثلاثة أشهر لشقتهم، وبدلاً من أن تشجعهم بأن الله سيدبر الأمر، هم يحتاجون منك أن تساعدهم في سداد الإيجار. إذا لم تكن قادراً على المساعدة مالياً، فهذا مفهوم، لكن من الأفضل دائماً عندما تكون المواقف خطيرة، أن تفكر على الأقل في عمل شيء ملموس بالإضافة إلى الكلمات.

قد تكون من النوع الذي يحب أن يقضي وقتاً مع الناس، فأنت تحب أن تزور الناس، وتتصل بهم، وتحدثهم عبر الهاتف، أو تدعو الأصدقاء لتناول الطعام في بيتك - أي أنك كثيراً ما تحاول أن تعطي من وقتك بهذه الطرق. لكن ماذا إذا كنت تعطي وقتك لأشخاص يحتاجون بالأكثر إلى المزيد من الوقت للبقاء بمفردهم والاسترخاء؟ سوف يشعرون بالبركة إذا أهديتهم وجبة غذاء في الخارج بينما تجلس أنت لترعى أطفالهم، لكنك للأسف تظل تحاول أن تعطيهم ما تستمتع أنت به.

بعض الناس يحبون التفاصيل، فهم يفكرون ويتكلمون بتفاصيل كثيرة. ربما يرسلون رسائل إلكترونية طويلة جداً أو يتركون رسائل صوتية تبدو أن لا نهاية لها. بعض الناس يخشون مجرد البدء في قراءة خطابات

هؤلاء الأشخاص أو الاستماع إلى رسائلهم الصوتية، لأنهم يعرفون أن هذا يتطلب وقتاً طويلاً. إذا كان الأشخاص الذين يحبون التفاصيل يفعلون ما يسرهم أو ما يعجبهم فقط، فسوف يجدون أن البعض يتجنبونهم.

يجب أن نكتشف ما الذي يريده الناس ويحتاجونه حتى في أساليب التواصل، وألا نتكلم أو نكتب فقط بالطرق التي تسعدنا. إذا كان لديك صديق يحب التفاصيل، فقدم لهذا الشخص كل ما يمكنك أن تفكر فيه، لكن إذا كان أصدقاؤك يفضلون المحصلة النهائية، فقدم لهم الحقائق فقط.

أنا أحب تقديم الهدايا، ولهذا عادة ما أفعل ذلك لإظهار محبتي. ذات مرة كانت تعمل لديَّ سكرتيرة، وكان يبدو أنها لا تقدر هداياي كثيراً، وهذا في الحقيقة كان يضايقني، لأنها بدت غير شاكرة. لكن عندما بدأت أعرفها أكثر، أخبرتني أن أهم شيء بالنسبة لها كان هو أن تسمع الكلمات التي تعبر عن المحبة. كنت أريد أن أقدم لها الهدايا لأن هذا كان أسهل عليَّ من أن أقول الكلمات التي كانت تريد هي أن تسمعها، فأنا أظهر تقديري للعمل الجاد لشخص ما عن طريق تقديم الأشياء، لكنها كانت تحتاج مني أن أخبرها كثيراً أنها تقوم بعمل جيد وأنني أقدرها كثيراً. كانت تحتاج إلى الأحضان والربت على الكتفين. كنت أحاول من خلال تقديم الهدايا أن أظهر لها محبة حقيقية، لكن العجيب أنها لم تكن تشعر بالمحبة. أعتقد أن هذا يحدث مرات أكثر جداً مما ندرك، لأننا لا نتعلم عن الناس ما يجعلنا قادرين على أن نعطيهم ما يحتاجون إليه حقاً، فنحن ببساطة نريد أن نعطيهم ما نريد نحن أن نعطيهم إياه لأنه أسهل علينا.

عندما نتوقع من الجميع أن يكونوا متشابهين، ينتهي بنا الحال بأن نضغط عليهم لكي يكونوا شيئاً لا يعرفون كيف يكونون عليه. إن الله في

نعمته يسدد كل احتياج لدينا، فهو يضع في حياتنا الأشخاص المناسبين والهدايا والعطايا المناسبة، فقط إذا استطعنا أن نرى هذا ونقدر الناس بالحالة التي هم عليها.

ادرس الناس

اكتشفت الكثير من الأمور من خلال دراسة الناس بهدف تعلم ما يحتاجونه مني. على سبيل المثال، يحتاج زوجي إلى الاحترام، وإلى معرفة أنني أشعر أنه يجيد الاهتمام بي. كما أنه هو يحتاج إلى أن يعيش في جو هادئ. وهو يحب الرياضة بكل أنواعها، ويحتاج إلى وقت يلعب فيه الجولف ويشاهد فيه مباريات الكرة. إذا أعطيته هذه الأشياء، فسيكون أسعد ما يمكن.

أما أنا فأحب أعمال الخدمة، فعندما يفعل شخص ما شيئاً لي من شأنه أن يسهل عليَّ الحياة، هذا يعني الكثير بالنسبة لي. يقوم زوجي طوال الوقت تقريباً بتنظيف المطبخ بعد العشاء لكي يمكنني أنا أن أجلس وأستريح. إذا رآني أحاول أن أفعل شيئاً يبدو شاقاً عليَّ، مثل حمل شيء ثقيل، يقول لي على الفور أن أنزله وأدعه هو يفعل ذلك. مثل هذه الأشياء تجعلني أشعر بالقيمة والمحبة، ولذلك فإن فهم احتياجات بعضنا البعض والاستعداد لتقديم هذه الاحتياجات أدى إلى تحسين العلاقة بيننا بشكل هائل.

ابنتي ساندرا تحتاج إلى الوقت القيِّم وكلمات التشجيع، أما ابنتي لورا فتحتاج إلى كلمات التشجيع، لكن قضاء الوقت معي ليس مهماً بنفس الدرجة بالنسبة لها. ابنتاي كلتاهما تحبانني كثيراً، لكنهما تظهران المحبة بطرق مختلفة. فساندرا تتصل بي تقريباً يومياً، وتأتي هي وأسرتها

لتناول الطعام معنا كثيراً. أما لورا فلا تتصل كثيراً هكذا، وأنا لا أراها بقدر ما أرى ساندرا، لكنها تساعدني في العناية بوالدتي وخالتي المسنتين عن طريق شراء مواد البقالة لهما ومساعدتهما في الأمور المصرفية وسداد الفواتير، مع أنها لديها أربعة أطفال في البيت كما أن جدة زوجها تعيش معهم.

لديَّ ابنان رائعان أيضاً، لكنهما مختلفان تمام الاختلاف. أحدهما يتصل بي كل يوم ويقول لي إنه يحبني، والآخر لا يتصل بي كثيراً، لكنه يظهر محبته بطرق أخرى. في كل مرة أطلب من أي منهما أن يفعل شيئاً لي، إما أن يفعله أو يكلف أحداً بالقيام به. ما أريد أن أقوله هو أن أولادنا الأربعة مختلفون، لكنهم كلهم رائعون.

كان عليَّ أيضاً أن أدرس أولادي وأتعلم ما يحتاجه كل منهم مني حتى يمكنني أن أقدمه لهم. هناك من يحب الهدايا، وهناك من يحب الوقت، هناك من يحتاج إلى كلمات التشجيع، وهناك من قد يحتاج إلى إظهار المشاعر. وأنا لازلت أتعلم طوال الوقت، لكنني على الأقل أحاول أن أسعدهم بدلاً من أن أسعد نفسي.

كل واحد فينا لديه «لغة محبة»، وهو مصطلح نشره الدكتور جاري تشابمان وشرحه في كتابه «لغات المحبة الخمسة». لغة المحبة الخاصة بشخص ما، هي الطريقة التي يعبر بها عن المحبة ويستقبلها بها. وكما ذكرت فإن لغة المحبة الخاصة بي هي تقديم الخدمات، بينما لغة المحبة الخاصة بابنتي هي الوقت القيِّم. عندما يتحدث الناس إلينا بلغة المحبة الخاصة بنا، نشعر بالمحبة. وعندما نتحدث نحن بلغة المحبة الخاصة بشخص آخر، يشعر بالمحبة. لكننا عادةً نحاول أن نعطي الناس ما نحتاجه نحن – أي أننا نتحدث إليهم

بلغة المحبة الخاصة بنا، لكن هذا قد يكون خطئاً جسيماً. إذا لم يكن الناس يحتاجون ما نحتاج نحن إليه، فمهما اجتهدنا في المحاولة والعمل، سوف يظلوا يشعرون بعدم المحبة.

كما أنني أتعلم أيضاً أنه مهما كان احتياجي لشيء ما، فإن الشخص الذي أريد منه هذا الشيء قد لا يكون مؤهلاً أن يقدمه لي، على الأقل في الوقت الحالي. لقد قضيت سنوات كثيرة أشعر بالإحباط وخيبة الأمل حتى تعلمت أن أصلي وأثق في الله أنه سيعطيني ما أحتاج إليه من خلال الناس الذين اختارهم هو. وإلى أن يحدث هذا، فأنا أحاول أن أفعل الصواب، وأجد أن فرحي يزداد، لا لأنني أحصل على كل ما أريده، بل لأنني أعطي الآخرين ما يريدونه. أنا لا أستمتع دائماً (أو حتى عادةً) بجانب التضحية، لكنني أحب الإشباع الداخلي النابع من معرفة أنني أفعل ما يريدني الله أن أفعله.

هل قمت بدراسة الناس في حياتك لتكتشف ما يحتاجونه منك، ثم كنت مستعداً أن تقدمه لهم؟ هل سألتهم من قبل عما يحتاجون إليه؟ لقد آن الأوان لنا أن نكف عن الحياة بأنانية وفعل ما هو مريح بالنسبة لنا فقط. يجب أن نبدأ في معرفة الناس الذين وضعهم الله في حياتنا وأن نبدأ في خدمتهم لمنفعتهم هم، وليس لمنفعتنا نحن.

سدد احتياجات الآخرين

يعلمنا الكتاب المقدس أننا إذا كنا أقوياء في الإيمان، فيجب أن نحتمل ضعفات الضعفاء وألا نعيش لكي نرضي أنفسنا. يجب علينا أن نعمل دائماً لكي نسعد أقرباءنا، ونعمل الخير لهم، ونبنيهم، ونقويهم (انظر

رو ١٥ : ١-٢). هذه نصيحة رائعة، لكننا عادةً نفعل العكس، فنحن نريد من الآخرين أن يسعدونا ويفعلوا ما يسرنا. والنتيجة هي أنه أياً كان ما يفعله الناس، فلن نكون أبداً سعداء أو راضين.

إن طرق الإنسان لا تنجح، فهي لا تقدم ما نريده أو نحتاج إليه حقاً، لكن طرق الله تنجح. إذا فعلنا ما يعلمنا هو أن نفعله، ربما نقدم بعض التضحيات، لكننا سننال الفرح الذي لا يمكن أن يوجد في أي مكان آخر سوى في مركز مشيئة الله.

ليتك تكون صادقاً وتسأل نفسك بعض الأسئلة التي قد تصعب إجابتها، لكنها ستجعلك تقف وجهاً لوجه مع الموضع الذي أنت فيه من جهة فكرة محبة الآخرين بأكملها.

- ما مقدار ما تقوم بفعله لأجل الآخرين؟
- هل تحاول أن تكتشف ما يريده الناس ويحتاجونه لكي تساعدهم؟
- هل تحاول بإخلاص أن تعرف الناس في حياتك بشكل جيد؟
- ما مقدار معرفتك الحقيقية للناس في أسرتك؟

عندما أجبت على هذه الأسئلة منذ بضع سنوات، ارتعبت من مستوى الأنانية في حياتي بالرغم من كوني خادمة مسيحية لسنوات كثيرة. وبدأ الحق يفتح عينيّ على السبب الذي يجعلني لا أزال أشعر بالتعاسة وعدم الإشباع بالرغم من أنني أمتلك كل ما يجعلني أعيش في سعادة حقيقية، وكانت المحصلة هي أنني كنت أنانية ومتمركزة حول ذاتي وأحتاج إلى التغيير. هذه التغييرات لم تحدث بسهولة أو بسرعة، كما أنها ليست

كاملة، لكنني إذ أجتهد كل يوم، أحرز تقدماً وأشعر بسعادة أكبر طوال الوقت.

تعلم أن تصغي

عندما قررت أنني سوف أشن حرباً على الأنانية وأنني أريد أن أكون جزءاً من ثورة المحبة، احتجت إلى طرق جديدة أكون بها بركة لمن حولي. وبما أن الناس مختلفون ويحتاجون إلى أشياء مختلفة، كان يجب عليَّ أن أبدأ بتدريب نفسي على الإصغاء لما كان الناس يقولونه لي. وأنا أرى أنني إذا أصغيت لأي شخص لمدة طويلة جداً سوف أعرف شيئاً يمكنني أن أقدمه له، أو أفعله له، أو أصلي لأجله بخصوصه، هذا إذا كنت أريد ذلك حقاً. إن العذر الذي يقول: «لا أعرف ماذا أفعل»، هو عذر قديم ويجب أن يُلقى به في سلة المهملات. إذا كنا نريد حقاً أن نعطي، فسوف نجد طرقاً نفعل بها ذلك. تذكر أن «اللامبالاة تختلق الأعذار، لكن المحبة تجد طريقاً!»

> «اللامبالاة تختلق الأعذار، لكن المحبة تجد طريقاً!»

أنا أؤمن أن مسألة الإصغاء تمثل جزءاً كبيراً من تعلُّم محبة الناس بالطريقة التي يحتاجون أن ينالوا بها المحبة. خصص أسبوعاً واكتب فيه ما يخبرك به الناس في المحادثات العامة عما يريدونه أو يحتاجونه أو يحبونه. صلِّ لأجل هذه القائمة، واسأل الله إن كان يريدك أن تفعل أياً منها، أو إذا شعرت برغبة في فعل أي من هذه الأمور فافعلها. أنا لا أؤمن أنك تحتاج إلى كلمة خاصة من الله لكي تبدأ في مباركة الآخرين. إذا كان ما يحتاجونه أكثر بكثير من أن تفعله بمفردك، أقترح عليك أن تطلب من بعض الناس أن ينضموا إليك في تسديد هذا الاحتياج كجماعة. إذا ذكر

صديق ما أنه لا يزال ينام على الأريكة بعد عام من انتقاله إلى شقته لأنه لم يستطع تدبير المبلغ اللازم لشراء غرفة نوم، فإن شراء غرفة له سيكون مشروعاً جيداً للمجموعة.

تحدثت معي صديقة عن شاب في كنيستها أسنانه متعوجة بشكل رهيب. كانت أسنانه سيئة جداً لدرجة أنه كان يرفض أن يبتسم لأنه سيشعر بالإحراج إذا رأى أحد أسنانه. تأثرت كثيراً عندما سمعت هذه القصة، واستطعنا أن نوفر تكاليف إصلاح أسنانه بدون أن يعلم هو مصدر النقود. هذا الأمر غيّر حياته. كم مرة سمعنا فيها قصصاً مثل هذه، وتأثرنا بها، ثم مضينا بدون أن نفكر حتى في ما إذا كنا نستطيع أن نساعد هؤلاء الأشخاص أم لا؟ أعتقد أن هذا يحدث كثيراً جداً. نحتاج فقط إلى إعادة تعليم وإعادة تدريب. نحتاج إلى تشكيل عادات جديدة. وبدلاً من افتراض أنه لا يوجد ما يمكننا أن نفعله، يجب على الأقل أن نفكر في الأمر. تذكر:

يقول الكتاب المقدس في ١يوحنا ٣: ١٧ «وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ (المصادر التي تحفظ حياته)، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟».

سمعت صديقة تقول إنها كانت تحتاج إلى منتجات للعناية بالبشرة، وكانت لديَّ مجموعة إضافية، فأعطيتها لها. ذكرت أمي أن عطرها الخاص قد نفذ، فاشتريت لها زجاجة. تحب خالتي أن تذهب إلى مقهى ستاربكس، فاشتريت لها بطاقة هدية للذهاب إلى هناك. أرجو أن تفهم أنني لا أشاركك بهذه الأمور لأي سبب آخر سوى أن أقدم لك بعض الأفكار التي يمكنك بها أن تظهر المحبة للناس في عالمك. أنا متأكدة أن

لديك الكثير من الأفكار الخاصة بك، لذلك أرجوك أن تتذكر أن تزور الموقع الإلكتروني لثورة المحبة وتشاركنا بهذه الأفكار حتى يمكنها أن تكون مصدر إلهام لنا نحن أيضاً.

كل مرة نعمل فيها شيئاً ما لتحسين حياة شخص آخر أو للوقوف في وجه الظلم، نحن بذلك ننشر موجة رجاء في مجتمع لا رجاء له. يمكننا حقاً أن نغلب الشر بالخير، ليتنا إذاً لا نهدأ في عزمنا أن نفعل هذا.

الفصل

١٢

المحبة غير المشروطة

المحبة ليست عمياء - فهي ترى أكثر وليس أقل.

المعلم جوليوس جوردون

أحد أجمل الأمور التي يقولها الكتاب المقدس هي أننا ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا (انظر رو ٥ : ٨). لم ينتظر المسيح أن نكون مستحقين لمحبته، فهو يحبنا محبة غير مشروطة. وللأمانة أقول أن هذا أمر يصعب على كثير منا أن يفهموه، لأننا اعتدنا على أنه يجب علينا أن نتعب لكي نستحق أي شيء في الحياة.

الله غني في الرحمة، ولكي يشبع المحبة العظيمة الرائعة الشديدة التي يحبنا بها، سكب حياته لنا طواعية (انظر أف ٢ : ٤). هذه المحبة، محبة ثورية! والمحبة الثورية الحقيقية يجب أن تقدم نفسها، لأنها لا يمكن أن تشبع بأقل من هذا.

إن محبة الله غير المشروطة هي التي تجذبنا إليه، ومحبتنا غير المشروطة نحو الآخرين باسمه هي التي ستجذب الآخرين إليه أيضاً. الله يريدنا أن نحب الناس نيابة عنه، وأن نفعل هذا بنفس الطريقة التي كان سيتبعها معهم لو كان مازال هنا بالجسد. الله يريدنا أن نعيش ثورة المحبة.

قد تذكر القصة التي رويتها في الفصل السادس عن أبي، وكيف طلب الله مني ومن ديف أن نعتني به بالرغم من أنه بكل تأكيد لم يكن يستحق هذا. لكن عندما أظهرنا له محبة الله غير المشروطة، رقَّ قلبه القاسي في النهاية وتاب عن خطاياه، وقبل يسوع مخلصاً له.

المحبة البشرية لا يمكنها أبداً أن تحب محبة غير مشروطة، لكننا كمؤمنين بالرب يسوع المسيح لنا محبة الله في داخلنا، ويمكننا أن نسمح لهذه المحبة أن تفيض بحرية، وبدون شروط. إن محبة الإنسان تسقط، لكن محبة الله لا تسقط أبداً. محبة الإنسان تنتهي، لكن محبة الله لا تنتهي. أحياناً أجد أنه بالرغم من أنني لا يمكنني أن أحب بعض الناس بقوتي البشرية، لكنني أستطيع أن أحبهم بمحبة الله.

بعض الناس الذين ظلوا يسببون لي الألم مراراً وتكراراً لسنوات طويلة، سألوني ما هو شعوري تجاههم. هل أحبهم؟ وقد استطعت بأمانة أن أقول إنني بالرغم من أنه لا توجد بداخلي مشاعر الحب العاطفية التي كان يمكن أن أشعر بها لو كانت الأمور مختلفة، لكنني أحبهم كأبناء لله، وسوف أساعدهم في احتياجهم.

إن محبة الله الحقيقية لا تعتمد على المشاعر، لكنها مبنية على قرار. سوف أساعد أي شخص يحتاج إلى المساعدة، إلا إذا كانت مساعدتهم

سوف تسبب لهم الألم في النهاية. ليس شرطاً أن يكونوا مستحقين للمساعدة. في الحقيقة، أحياناً أفكر أنهم كلما كانوا أقل استحقاقاً، كانت المساعدة أجمل وأكبر تأثيراً. أمر رائع أن تستطيع أن تحب الناس بدون أن تتوقف لتسأل إذا كانوا يستحقون هذه المحبة أم لا.

الغفـــران

كان الأمر لا يحتاج إلى سؤال ... فقد كان أكبر من أن يسأله أحد. كيف استطاع «بيل إيبارب» أن يغفر للرجل الذي قتل شقيقه بهذه الطريقة الوحشية؟ كان «بيل إيبارب» و «تشارلز مانويل» لا يعرفان بعضهما البعض، لكن اشتبكت حياتهما للأبد في جزء من الثانية - تلك اللحظة التي جذب فيها تشارلز زناد مسدسه وقتل «جون» شقيق بيل. ومنذ تلك اللحظة، لم يستطع بيل أن يفكر في شيء آخر سوى الانتقام.

كان قلب بيل مليئاً بالغضب والثورة، وكان مقتنعاً أنه لا يوجد عقاب يستطيع أن يعوض خسارته. بعد مقتل جون، لم يمر يوم على بيل لم يفكر فيه في القاتل. كانت البغضة الشديدة تلتهمه حياً، وسرعان ما كلفه هذا الهوس وظيفته وزواجه. وكان يعلم أنه إذا استمر في هذا الطريق المدمر، سرعان ما سيكلفه حياته أيضاً.

عند هذه النقطة اختبر بيل تغييراً في حياته كان أقوى حتى من يوم فقدانه لشقيقه. اختبر بيل غفران المسيح، وكان هذا أمراً يفوق الطبيعة ويفوق أي غفران يمكن أن يقدمه بشر. لقد أزال الله البغضة - أزال الغضب.

تبدل قلب بيل بطريقة معجزية لدرجة أنه بدأ يفكر في المستحيل. لقد أدرك أنه إذا كان الرب قد استطاع أن يغفر له كل الأمور التي فعلها في حياته، فيجب عليه هو أيضاً أن يغفر لتشارلز، ويجب أن يخبر تشارلز أنه قد سامحه على قتله لشقيقه. في البداية كان هذا الفعل ناتجاً عن الطاعة، لكنه بعد ذلك أصبح مسألة قلبية، لذلك بعد ثمانية عشر عاماً من موت جون، جلس بيل وتشارلز أمام أحدهما الآخر في اجتماع يؤكد ما فعله الله حقاً في حياتهما كليهما. لقد حرر الله هذين الرجلين من خلال قوة الغفران.

تقول الإحصائيات:

- الغفران يقلل الضغط، فالاحتفاظ بالضغينة يمكنه أن يجهد جسدك- فيسبب تيبس العضلات، ارتفاع ضغط الدم، زيادة إفراز العرق – تماماً مثل الأحداث المجهدة الكبيرة.
- القدرة على الغفران مفيدة للقلب، فقد أثبتت إحدى الدراسات أن هناك ارتباطاً بين الغفران وتحسن معدل القلب وضغط الدم.
- اكتشفت دراسة مؤخرة أن النساء اللواتي استطعن أن يغفرن لأزواجهن وأن يتعاطفن معهم، كن قادرات على حل الخلافات بشكل أكفأ.

المحبة البشرية تعتمد على المشاعر، فنحن نحب الناس لأنهم عملوا الخير معنا، أو ساعدونا، أو أحبونا أولاً، فهم يجعلوننا نشعر بالرضا عن

أنفسنا، أو يسهلوا علينا حياتنا، لذلك نقول أننا نحبهم، أو أننا نحبهم لأننا نريدهم أن يحبونا، لكن هذا النوع من المحبة مبني على ما يفعلونه. وإذا توقفوا عن فعل هذا، غالباً سنكف عن محبتهم. مثل هذا النوع من المحبة يأتي ويذهب، إنه حار ثم بارد. هذا هو نوع المحبة الذي نختبره في العالم. الكثير من الزيجات والعلاقات الشخصية الأخرى مبنية على هذا النوع من المحبة. نحن نحب المثلجات لأن طعمها حلو، ونحب الناس لأنهم يقدمون لنا هدايا لطيفة في الكريسماس.

لكن محبة الله مختلفة تمام الاختلاف - فهي ليست مبنية على أي شيء سوى على الله نفسه. وعندما نقبل المسيح مخلصاً لنا، تنسكب محبة الله في قلوبنا بالروح القدس (انظر رو ٥ : ٥). عندما نصبح شركاء مع الله، يتوقع منا أن نكون ممثليه على الأرض، ويؤهلنا بالمحبة التي نحتاجها لتأدية المهمة التي يطلب منا أن نؤديها. عندما تنتهي محبة البشر، والتي غالباً ما تنتهي، تظل محبة الله موجودة لكي تكمل ما يلزم فعله.

لم أكن أحب أبي مثلما تحب أية فتاة والدها، لأنه لم يكن أباً بالنسبة لي أبداً. لكن محبة الله كانت بداخلي، واستطعت أن أقرر بعيداً تماماً عن مشاعري أنني سأعامله بمحبة في عمره المتقدم وأكون رحيمة معه. في الحقيقة كنت أشعر بالشفقة عليه لأنه أضاع حياته كلها، وكانت ذكرياته مليئة بالندم.

كثيراً ما نسمع قصصاً مذهلة عن الغفران. سمعت عن مراهق كان مخموراً وتسبب في حادثة قتلت زوجة شخص ما وابنه. هذا الرجل عرف أن الله يريده أن يغفر لذلك الشاب الذي تسبب في الحادثة، ومن خلال الكثير من الصلاة، استطاع أن يسمح لمحبة الله أن تفيض من خلاله. هذا

الرجل كان ثائراً للمحبة !

يجب أن نتعلم أن ننظر إلى ما فعله الناس بأنفسهم بدلاً من أن ننظر إلى ما فعلوه بنا . عادة عندما يتسبب شخص ما في أذى لشخص آخر ، فهو بذلك يحطم نفسه على الأقل بنفس المقدار ، وربما يعاني من بعض التبعات المؤلمة ، وهذا بالتحديد ما قاله يسوع عندما قال «يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لو ٢٣ : ٣٤) .

إن محبة الله لا يمكن أن يفهمها العقل ، فهي مسألة قلبية . فلا يُعقل أن يطلب مني الله أن أعتني بوالدي ، ولكن المحبة غير معقولة ، أليس كذلك ؟ لا يوجد سبب يجعل الله يحبنا مع أننا نخطئ ونتجاهله تماماً ، لكنه مع ذلك يحبنا .

الرحمة تفتخر على الحكم

من السهل أن تحكم على شخص أو موقف ما وتتصدق فقط بما يستحقه ، لكن الرحمة أعظم من هذا . فالتغاضي عن الإساءة أمر مجيد . لكي أساعد الناس في دول العالم الثالث ، لا يمكنني أن أنظر إلى حقيقة أن كثيرين منهم يعبدون الأوثان أو الحيوانات أو الشمس أو حتى الشياطين . يمكنني بسهولة أن أقول «لا عجب أنهم يعانون من المجاعات – لقد أداروا ظهورهم لله» ، لكن ربما لو كنت ولدت في المكان الذي ولدوا هم فيه ، كنت سأشبههم في هذا الموقف . يجب أن نُذكِّر أنفسنا قائلين : «لولا نعمة الله في حياتي ، كان يمكن أن أكون أنا ذلك الشخص» .

يسهل على بعض المتدينين أن ينظروا إلى الرجل الذي يمارس الشذوذ الجنسي ونتيجة لذلك يصاب بالإيدز ويقولوا : «إنه يستحق ذلك» ، لكن

هل هذه هي الطريقة التي ينظر بها الله للإنسان؟ أم أن الله يرى السبب الحقيقي وراء ما يحدث؟ الله يريد أن يوصل الفداء إلى الإنسان طالما كان في أنفه نسمة حياة - وربما يريد الله أن يستخدمني أو يستخدمك لفعل هذا. هذا لا يعني أننا يجب أن نوافق على خطايا الآخرين، لكننا يجب أن نحتضن الناس ونساعدهم في وقت احتياجهم، عن طريق توفير الدواء والمأوى والكلمات الرقيقة التي تمكنهم أن يجدوا الرجاء في الله.

الرحمة والحنان صفتان من أجمل صفات المحبة، وفي الحقيقة لا توجد محبة حقيقية بدونهما. في الثلاثين سنة الأولى من عمري اضطررت أن أتعب لكي أحصل على كل شيء حصلت عليه، ولذلك لم أكن أقبل أن أعطي الناس ما تعبت فيه عندما يبدو أنهم لم يفعلوا شيئاً ليساعدوا أنفسهم. واحتجت إلى بعض الوقت لكي أتعلم الفرق بين محبتي البشرية، ومحبة الله التي وضعها بداخلي. الرحمة لا يمكن استحقاقها أو بذل المجهود للحصول عليها. كتب بولس لأهل كولوسي وقال لهم «البسوا المحبة» (انظر كو ٣ : ١٤)، وأنا أحب كلمة «البسوا» التي تعني أن نتعمد أن نفعل شيئاً، بدون الاعتماد على المشاعر أو العقل. لقد تعلمت دروساً مذهلة عن الحياة من هذه الكلمة الصغيرة.

أنا أكتب الآن هذه الكلمات في فترة ما بعد الظهيرة وأنا أرتدي ملابس البيت. اتصل بي ديف للتو ويريد أن يأتي ليصطحبني كي نذهب معاً إلى معرض سيارات موستانج. يمكنني أن أؤكد لك أن الذهاب إلى معرض السيارات هو عمل محبة، فأنا لا أشعر بالرغبة في أن أغير ملابسي وأستعد للخروج، بل أُفضِّل أن أستمتع بالحالة المريحة التي أنا فيها الآن - لكنني سأفعل ذلك، وهكذا فإننا كلنا نقابل فرصاً عديدة نختار فيها أن

نلبس المحبة غيرالمشروطة.

ما لم نتعلم أن نعيش بما يسمو فوق مشاعرنا، لن نستطيع أبداً أن نحب الناس بمحبة الله أو نساعد المحتاجين في العالم. هل أنت مستعد لأن تلبس الرحمة؟ هل أنت مستعد لأن تلبس المحبة؟ إذا كنت تصارع مع مشاعر يمكنها أن تمنعك من فعل الصواب، اسأل نفسك: «ماذا كان يسوع سيفعل في هذا الموقف؟» أنا أعرف بالتأكيد أنه لو كان ديف قد تخلى عني، ما كنت أصبحت على ما أنا عليه اليوم. لقد أصغى إلى قلبه، وليس إلى مشاعره، وهذا هو ما أشجعك أن تفعله.

المحبة لا تبتعد عن الناس

محبة الناس لا تعني أن نسمح لهم بأن يستغلونا، لا تعني أن نعطيهم كل ما يريدون في الحياة بدون أن يفعلوا أي شيء. الكتاب المقدس يقول إن كل من يحبه الله يقومه ويؤدبه (انظر عب ١٢ : ٦)، والتأديب ليس هو العقاب، بل هو التدريب على السلوك الصحيح. أحياناً يتطلب هذا التدريب حجب البركات، لكن الله دائماً يسدد احتياجاتنا الأساسية عندما نصرخ إليه. يقول الكتاب المقدس إننا يمكن أن نواجه تجارب من كل الأنواع، وإذا احتجنا للحكمة يمكننا أن نطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء وهو سوف يساعدنا بدون أن يوبخنا أو يذكر لنا أخطاءنا (انظر يع ١ : ١-٥). يا لها من فكرة جميلة!

قد لا أشتري سيارة جديدة لمدمن مخدرات أعرف أنه غالباً سيبيعها لكي يشتري المخدرات، لكن يمكنني أن أطعمه، وأوفر له مكاناً يستحم فيه، وأقدم له رجاء بحياة جديدة. يمكنني أن أخبره أن الله يحبه ويريد أن يساعده،

ويمكنني أن أمتنع عن إدانته، لأنني عندما أدينه لن أستطيع أن أحبه.

في كثير من الأحوال عندما يجرحنا الناس أو يصعب علينا التماشي معهم، نريد أن نخرجهم من حياتنا. لكن ماذا إذا كان الله يريدنا بدلاً من ذلك أن نبني علاقات معهم؟ الأسهل علينا كثيراً أن نبتعد عن مثل هؤلاء الناس أو نطردهم من حياتنا، لكن ليس هذا دائماً هو ما يريده الله. يجب أن نتعلم ما تبدو عليه المحبة في كل موقف، وأن نطبق هذا بدون الاستسلام لمشاعرنا أو قلة مشاعرنا.

هناك سؤال أتعرض إليه كثيراً وهو «كم من الزمان ينبغي أن ألتصق بهذا الشخص؟» وهذا سؤال لا يجيب عنه سوى قلبك. الله هو الشخص الوحيد الذي يفهم الموقف بأكمله من الجانبين، وإذا كنت تريد حقاً أن تفعل مشيئته وليس مشيئتك، فسوف يرشدك في قراراتك. تذكر فقط أن الانضمام إلى ثورة المحبة يعني أن تكون مستعداً وراضياً أن تحب الآخرين حتى عندما يبدو هذا مستحيلاً.

عندما أناقش المحبة غير المشروطة مع الناس، هناك سؤال آخر يظهر دائماً: «هل يفترض بي أن أظل أعطي بغض النظر عما يفعله الناس؟» والإجابة على هذا السؤال هي لا. افترض مثلاً أن فرداً من أفراد العائلة ظل يعاني من مشكلة إدمان للمخدرات والكحوليات معظم حياته، كما أنه بالإضافة إلى ذلك شخص غير مسئول بدرجة كبيرة، وقد أنفقت العائلة الكثير من الوقت والمال والجهد لكي تساعده، لكنه في النهاية كان يعود إلى عاداته وأساليب حياته القديمة. هذا نوع من المواقف يستخدم فيه العدو ضعف هذا الشخص لكي يشتت من يحبونه ومن يحاولون مساعدته ويسلبهم قوتهم. وكثيراً جداً بعد سنوات من المحاولات المستمرة

للمساعدة والتي تستلزم عادة تضحيات عظيمة، يكون على العائلة أن ترفض أن تساعد هذا الشخص بعد ذلك. هذا قرار لا يمكن اتخاذه بسرعة أو بسهولة، لكن غالباً يجب اتخاذ هذا القرار.

أحياناً نتعرض كمسيحيين للاتهام أننا لا نمارس محبة المسيح بصورة حقيقية عندما يظهر موقف مثل هذا، فنسمع أشياء مثل: «كيف يمكنك أن تدَّعي أنك تحب الناس بينما لا تريد أن تساعد حتى أقرباءك؟» أنا أعرف أن ما سأقوله صعب، لكن فعل المحبة الذي يمكنك أن تفعله في هذه الحالة هو أن تكون حازماً وتقول لذلك الشخص الذي يعاني من المشكلة: «عندما تريد حقاً أن تواجه مشكلاتك وتحتاج إلى المساعدة الحقيقية، فأخبرنا». لكنني أيضاً أعرف أنني لا يمكنني أن أظل أُمكِّن هذا الشخص من الاستمرار في أسلوب حياته المدمر هذا.

لا يجب أن نسمح لأحد الأحباء الذي يعاني من مشكلة ما أن يجوع أو يمرض بدون أن نساعده، لكننا أيضاً لا يجب أن نسمح له بأن يسلبنا سلامنا أو يستغلنا. محبة الناس لا تعني أن نفعل لهم ما يجب أن يفعلوه هم لأنفسهم.

الرحمة تساعد من لا يستحقون المساعدة، لكن المحبة غير المشروطة لا يقصد بها السماح للناس أن يعيشوا بدون تحمل للمسئولية بينما نسدد نحن عنهم فواتيرهم. الرحمة تقدم الكثير من الفرص، والمحبة غير المشروطة لا تيأس أبداً، فهي تصلي وهي مستعدة دائماً أن تتحرك من بين الظلال لكي تقدم المساعدة عندما يكون هذا بالفعل سيحدث اختلافاً.

الله يريد أن تفيض محبته من خلالنا إلى الآخرين. يجب أن نتعلم أن نحب أنفسنا بطريقة متوازنة، لأننا يجب أن نحب أنفسنا، وإلا فلن

يكون لدينا محبة نعطيها لغيرنا. يجب أن نقبل محبة الله ونسمح لها أن تشفينا. تذكر أننا لا يمكننا أن نقدم ما لا نمتلكه، لكننا لا يجب أن نتوقف عند هذه النقطة! الله يشفينا لكي يمكننا أن نقدم الشفاء للآخرين، والله يريدنا أن ننتقل من كوننا أشخاصاً نلنا الإنقاذ إلى أشخاص ينقذون الآخرين. المحبة البشرية تصل دائماً إلى نقطة نهاية، لكن شكراً لله أن محبته لا تنتهي أبداً. لقد وعدنا الله أن محبته لن تسقط أبداً!

الفصل

١٣

المحبة لا تحتفظ بالأخطاء

(المحبة) لاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ. وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ
وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.
(١كورنثوس١٣: ٦-٧)

هل أنت محاسب جيد؟ هل تحتفظ بسجلات محددة ومفصلة للأخطاء التي ارتُكِبَت ضدك؟ ظللت لسنوات طويلة كلما اختلفنا أنا وديف، أبحث في ملفاتي الذهنية وأبدأ في إخراج كل الأشياء الأخرى التي فعلها وشعرت أنها خطأ، وكنت أذكره بأخطاء الماضي، وكان يندهش من أنني أتذكر كثيراً منها هكذا لأنها كانت أخطاء قديمة جداً. أتذكر ذات مرة أنه قال لي: «أين تخزنين كل هذه الأشياء؟» وفي الوقت الذي كنت فيه أتمسك بالأشياء لسنوات طويلة، كان ديف يغفر الأخطاء ويتغاضى عنها بسرعة.

الله يريدنا أن نحب بعضنا البعض أكثر من أي شيء آخر، لكن هذا مستحيل بدون الغفران الكامل. لا يمكننا أن نقدم محبة صادقة لمن نشعر نحوهم بغضب أو استياء. كتب بولس إلى أهل كورنثوس في (١ كورنثوس ١٣ : ٥) يقول عن المحبة إنها «لاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا» أي أن محبة الله فينا لا تصر على حقوقها أو رأيها، فهي ليست شديدة الحساسية أو نكدة أو سريعة الامتعاض، وهي لا تحتفظ بتسجيل للشر الذي ارتكب ضدها، ولا تنتبه إلى خطأ عانت منه.

صدق الأفضل

إذا أردنا أن نحب الناس، فيجب أن نسمح لله أن يغير الطريقة التي نفكر بها فيهم وفي الأشياء التي يفعلونها. يمكننا أن نصدق الأسوأ ونرتاب في كل شيء يفعله الآخرون أو يقولونه، لكن المحبة الحقيقية دائماً تصدق الأفضل. إن ما نفكر فيه ونصدقه هو اختيار، وترجع الكثير من متاعبنا في الحياة إلى أننا لا نتحكم في أفكارنا أو نضبطها. عندما لا نختار أن نضبط أفكارنا، نحن نختار بذلك تلقائياً أن نصدق الأسوأ أو نرتاب في شخص ما.

سأل النبي إرميا الشعب هذا السؤال: «إلى متى ستسمحون لهذه الأفكار البغيضة الكريهة أن تسكن داخلكم؟» (انظر إر ٤ : ١٤). كانت الأفكار التي اختاروا أن يفكروا بها كريهة بالنسبة لله.

عندما نختار أن نصدق الأفضل، نستطيع أن نتخلى عن كل ما يمكن أن يكون مؤذياً للعلاقات الجيدة. لقد وفرت على نفسي الكثير من الطاقة التي كان يمكن أن تُستنفذ في الغضب عندما قلت لنفسي: «أنا لا أصدق أنهم يدركون حقاً كيف أثرت أفعالهم عليّ. لا أصدق أنهم يسببون لي

الألم عن عمد، فهم فقط لا يفهمون تأثير الطريقة التي قالوا بها كلماتهم. ربما يشعرون بتعب جسدي اليوم أو ربما لديهم مشكلة شخصية تجعلهم غير حساسين للطريقة التي يتصرفون بها».

لقد وجدت من خبرتي أن الاحتفاظ بالسجلات الذهنية للإساءات يسمم حياتنا ولا يغير الشخص الآخر. كثيراً ما نهدر يوماً في الغضب من شخص لا يدرك في الحقيقة أنه فعل أي شيء يضايقنا، ويعيش هو ويستمتع بيومه بينما نهدر نحن يومنا.

إذا كنا نريد أن نحتفظ بسجلات عن أشياء، فلماذا لا نحتفظ بسجلات عن الأشياء الصالحة التي يقولها الناس أو يفعلونها بدلاً من الأخطاء التي يرتكبونها؟

أمثلة على تسجيل الأمور السلبية:

ديف يشاهد الرياضة طوال الوقت، وهو يعرف أنني لا أستمتع بها. ديف يصحح لي التفاصيل عندما أحاول أن أحكي قصة ما.

عندما أحتاج إلى من يفهمني، أجد ديف يوجه لي نصيحة. طوال اثنتين وأربعين سنة من الزواج يمكنني أن أعد على أصابع اليد الواحدة عدد المرات التي أرسل لي ديف فيها الزهور.

رتب ديف لقاء للعب الجولف مع أصدقائه دون حتى أن يسألني عن ما الذي كنت سأفعله أو إذا كانت لديَّ خطط أخرى.

أمثلة على تسجيل الأمور الإيجابية:

ديف مستعد دائماً أن يسامحني عندما أرتكب خطأ في حقه. ديف

يمنحني حرية كاملة لأكون على طبيعتي.

ديف ينظف مكانه بعد أن ينتهي مما يفعله، فهو ليس من النوع الذي يخلف وراءه فوضى ويترك الآخرين ينظفون ما تركه.

ديف يخبرني كل يوم أنه يحبني، وكثيراً ما يخبرني بهذا عدة مرات في اليوم. ديف يمدح ملابسي ومظهري.

ديف يشتري لي أي شيء أريده ويكون في حدود ميزانيتنا. ديف مستعد دائماً أن يأخذني إلى أي مكان أريد الذهاب إليه.

ديف يتمتع بمزاج مستقر للغاية. نادراً ما يضيق خلقه أو يشكو. ديف يحميني لأقصى درجة. أشعر بالأمان عندما أكون معه.

من السهل أن نرى أن قائمة الأمور الإيجابية أطول من الأمور السلبية، وأتخيل أن هذا سيكون هو الحال مع معظم الناس إذا خصصوا وقتاً لكتابة الأشياء الجيدة. يجب أن نبحث عن الصلاح في العالم وفي الناس ونعلنه، لأننا نغلب الشر بالخير. إن التفكير والحديث عن الصلاح في الناس سوف يجعلنا لا نلاحظ كثيراً الأشياء التي كانت تضايقنا في وقت سابق.

لا تُحزن الروح القدس

يمكننا حقاً أن نجعل الروح القدس يشعر بالحزن من خلال غضبنا، وعصبيتنا، وعدم غفراننا، ومرارتنا، ومشاجراتنا، ونزاعاتنا. والكتاب المقدس يوصينا أن نتخلص من كل نوايا شريرة أو ضغينة وأية أعمال رديئة من أي نوع. يحزنني أن أفكر أنني يمكن أن أُحزن الروح القدس. عندما أتذكر كيف ثار غضبي بسهولة في مرة من المرات، أعرف أنني

أحزنت الروح القدس، ولا أريد أن أفعل هذا مرة أخرى. الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها أن أتجنب هذا الأمر هو أن أصر على التخلي عن المشاعر السيئة نحو الآخرين بمجرد أن تظهر هذه المشاعر. يجب أن نكون نافعين ومساعدين ولطفاء بعضنا نحو بعض، وأن نسامح بعضنا البعض بسرعة وبالكامل كما سامحنا الله في المسيح (انظر أف ٤ : ٣٠-٣٢).

إن غضبنا يحزن الروح القدس، لا لأن الله يريدنا أن نحب أحدنا الآخر فقط، بل لأنه يعرف أيضاً كم يؤثر هذا علينا سلبياً، وهو يريدنا أن نستمتع بحياة الحرية. يجب أن نتشبه بالله ونتبع مثاله. إنه بطيء الغضب، وكثير الرحمة، وسريع الغفران، لذلك فإن غضبنا لا ينشر البر الذي يدعونا الله أن نعيش فيه.

وكما أن المحبة الصادقة لا علاقة لها بما نشعر به، هكذا الغفران الصادق أيضاً. فكلاهما مبنيان على قرار نتخذه، وليس على مشاعر بداخلنا. لقد تعلمت أنني عندما أختار أن أغفر، فإن مشاعري تتغير في النهاية لتتماشى مع قراري. غفراني للآخرين يُمكنني من أن أتحدث إليهم بدلاً من أن أطردهم من حياتي، كما يسمح لي أن أصلي لأجلهم وأتكلم بالبركة لهم وعليهم بدلاً من أن أتكلم بأمور سلبية شريرة. نحن نولي مشاعرنا قدراً كبيراً من الاهتمام، لكننا يجب أن نتذكر أن مشاعرنا متقلبة ومتغيرة. ما لا يتغير هو المحبة.

لا تحكموا بعضكم على بعض

إذا كنا حقاً نحب بعضنا البعض، فسوف نحتمل بعضنا البعض ولا نحكم بعضنا على بعض (أف ٤ : ١-٢). عندما لا نحكم على الآخرين لا يعني هذا أننا نتساهل مع سلوكهم الخاطئ، فالسلوك الخاطئ هو سلوك

خاطئ، والتظاهر بغير ذلك أو تجاهله لن يفيد شيئاً، لكنه يعني أن نسمح لبعضنا البعض أن نكون في درجة أقل من الكمال، وأن نبعث عن طريق كلماتنا واتجاهاتنا برسائل تقول: «لن أرفضك بسبب ما فعلته. لن أتخلى عنك. سوف أتجاوز معك هذا الموقف وأثق بك».

لقد قلت لأولادي إنه بالرغم من أنني قد لا أوافق دائماً على كل ما يفعلونه، لكنني سأحاول دائماً أن أتفهمهم، ولن أكف عن أن أحبهم أبداً. أريدهم أن يعرفوا أنهم يمكنهم الاعتماد على أنني سأكون موجودة دائماً في حياتهم.

الله يعلم كل شيء عن أخطائنا، ومع ذلك لازال يختارنا. إنه يعرف أخطاءنا التي سنفعلها قبل أن نفعلها، وموقفه تجاهنا هو «سوف أسمح لكم أن تكونوا غير كاملين!» لقد وعد أنه لن يهملنا ولن يتركنا (انظر عب ١٣ : ٥).

يسمح لي ديف أن أكون على طبيعتي مع أن كل شيء فيَّ ليس كاملاً، وهو لا يدفعني أبداً أن «أتغير وإلا!» أنا لا أخشى رفضه لي نتيجة أنني زوجة غير كاملة. هناك أمور في كل شخص في عائلتنا وفي كل علاقاتنا القريبة التي كنا نتمنى أن تكون مختلفة، لكننا عندما نحب شخصاً ما محبة حقيقية، عندها نقبله بكل ما فيه. نقبل ما هو جيد وما ليس كذلك. والحقيقة هي أنه لا يوجد بشر كاملون. إذا كنا نتوقع الكمال، فيجب علينا دائماً أن نعد أنفسنا لخيبة الأمل بل والمرارة أيضاً. لكننا عندما لا نحكم على الآخرين، تصبح حياتنا أسهل كثيراً، بل والأهم من هذا أننا بذلك نظهر طاعتنا لله.

عندما يفعل الناس شيئاً لا يمكنك أن تفهمه، فبدلاً من أن تحاول

تحليلهم، قل لنفسك: «إنهم بشر». كان يسوع يعرف طبيعة البشر، ولذلك لم يشعر بالصدمة عندما كانوا يفعلون أشياء كان يتمنى لو أنها لم تحدث، فقد ظل يحب بطرس بالرغم من أن بطرس أنكر حتى أنه يعرفه. وظل يحب التلاميذ بالرغم من أنهم لم يقدروا أن يسهروا ويصلوا معه في ساعة عذابه وألمه. ما يفعله الناس لن يمنعنا عن محبتهم إذا أدركنا مسبقاً أنهم لن يكونوا كاملين، وكنا مستعدين أن لا نحكم عليهم بسبب ذلك الميل البشري الموجود فينا جميعاً.

لا يتوقف الأمر عند عدم الاحتفاظ بأخطاء الآخرين، بل يتخطى ذلك إلى عدم الاحتفاظ بالصواب الذي نرى أننا نفعله. إن الاعتداد بأنفسنا هو ما يجعلنا لا نصبر على الآخرين ولا نتعامل معهم بالرحمة. قال الرسول متى إننا عندما نفعل الخير لا يجب أن ندع يميننا تعرف ما فعلته شمالنا (انظر مت ٦ : ٣). هذا يعني بالنسبة لي أنني لا يجب أن أفكر كثيراً في ما أراه على أنه أعمالي الصالحة أو صفاتي الصالحة، بل يجب فقط أن أركز على إظهار المحبة لكل من أقابلهم. هذا هو التركيز المحوري لثائر المحبة!

المحبة تستر الخطية

قال الرسول بطرس إننا قبل كل شيء يجب أن تكون محبتنا بعضنا لبعض شديدة وثابتة، لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا (انظر ١ بطرس ٤ : ٨). المحبة لا تستر فقط خطئاً واحداً، بل تستر كثرة. محبة الله لنا لم تستر خطايانا فقط، بل إنها في الحقيقة دفعت ثمن إزالتها بالكامل. المحبة عامل تنظيف قوي. أريدك أن تلاحظ أن بطرس قال إننا يجب أن نفعل هذا – أي المحبة – قبل كل شيء.

بولس أيضاً وجه هذه الرسالة نفسها إلى أهل كولوسي، إذ دعاهم إلى أن يلبسوا المحبة فوق كل شيء (انظر كو ٣: ١٤). ويُذكرنا الكتاب المقدس مراراً وتكراراً بأننا يجب أن نحب بعضنا البعض ولا نجعل أي شيء يقف عائقاً في سبيل هذا.

عندما سأل بطرس يسوع كم مرة يفترض به أن يغفر لأخيه نفس الإساءة، أجاب يسوع أن عليه أن يظل يفعل هذا أياً كان عدد المرات (انظرمت ١٨: ٢١-٢٢). اقترح بطرس سبع مرات، وقد تساءلت كثيراً هل كان هو عند المرة السادسة ولم تكن لديه القوة للغفران سوى لمرة أخرى فقط؟ إذا أردنا أن ننضم إلى ثورة المحبة، يجب أن نفهم أن الأمر يستلزم الكثير من الغفران، بل في الحقيقة قد يصبح هذا جزءاً من اختبارنا اليومي. بعض الأمور التي نحتاج أن نغفرها قد تكون صغيرة وسهلة نسبياً، لكن في بعض الأوقات يأتي الشيء الكبير ونتساءل هل يمكننا حقاً أن نتجاوزه؟ تذكر فقط أن الله لا يخبرنا أبداً أن نفعل أي شيء لم يعطنا القدرة على فعله. يمكننا أن نغفر لأي شخص أي شيء، إذا سمحنا لمحبة الله أن تتدفق من خلالنا.

عندما نستر أخطاء الناس ننال بركة، وعندما نفضحها ننال لعنة. جزء من ستر فشل شخص ما، يعني الاحتفاظ به سراً. لا تسارع لإخبار الآخرين ما تعرفه عن أخطاء شخص آخر. صُن أسرار الناس تماماً كما تحب أن يصونوا هم أسرارك. يحكي لنا الكتاب المقدس عن وقت شرب فيه نوح خمراً فسكر، ونام عرياناً في خيمته. ثم جاء واحد من أبنائه وفضح عريه إذ أخبر أخويه به، فأتت اللعنة على حياته من ذلك اليوم فصاعداً. أما الولدان اللذان عرفا بالأمر فمشيا إلى الوراء ودخلا الخيمة بظهريهما لكي لا يبصرا عري أبيهما، وستراه. يخبرنا الكتاب المقدس

أنهما نالا بركة (انظر تك ٩ : ٢٠-٢٧). يشير عري نوح إلى سوء حكمه، وخطئه، وخطيته. وكما تبين هذه القصة بوضوح، فإننا يجب أن نستر بعضنا البعض، وألا نفضح أخطاء أحدنا الآخر.

أوضح يسوع ما يجب عليك عمله إذا أخطأ إليك أخوك (انظر مت ١٨ : ١٥-١٧). قال إن أول شيء يجب عمله هو أن تذهب إليه على انفراد وتتحدث معه عن هذا الأمر. إذا لم تنجح هذه الطريقة، خذ معك اثنين أو ثلاثة على أمل أن يرجع إلى صوابه ويتوب. إذا اتبعنا هذه التعليمات البسيطة، سوف نتجنب قدراً كبيراً من المتاعب. لا أريد أن أقول لك كم مرة يأتي إليَّ الناس لكي أحل أموراً كان يجب أن يعالجوها هم في خصوصية ـ أشياء يجب أن تكون بينهم وبين الشخص الذي يشعرون أنه أساء إليهم. لا تخف من مواجهة شخص ما إذا كنت تشعر حقاً أنك تحتاج أن تفعل ذلك. أحياناً تكون أسرع طريقة للغفران هي أن تفتح الموضوع وتناقشه. إن الإساءات المخفية تشبه الجروح الملوثة التي لم تُعالَج، إذ تسوء حالتها في صمت إلى أن تلوث منطقة كاملة فتسبب لنا المرض. نحتاج أن ننظف الجرح على الفور، قبل أن يفوت الأوان.

يخبرنا الكتاب المقدس بقصة رجل اسمه يوسف، باعه إخوته كعبد. عندما اكتشف إخوة يوسف بعد ذلك بسنوات كثيرة أنه لازال حياً ومسئولاً عن مخزون الطعام الذي كانوا في أمس الحاجة إليه، خافوا. لقد تذكروا المعاملة السيئة التي كانوا يعاملون يوسف بها، وتذكرها يوسف أيضاً، لكنه اختار ألا يكشف هذا لأي شخص آخر، فتحدث معهم على انفراد وقال لهم ببساطة إنه ليس هو الله، والنقمة لله وحده وليست له. وسامحهم بالكامل، وشجعهم ألا يخافوا، واستمر يعولهم هم وبيوتهم. لا عجب أن يوسف كان قائداً قوياً، وكان يجد نعمة في عيني الجميع

أينما كان يذهب، فقد كان يعرف قوة المحبة وأهمية الغفران الكامل!

امحُ كل سجلاتك

لماذا لا تخرج كل حسابات الماضي المستحقة السداد والتي كنت تحتفظ بها، وتكتب عليها كلها «خالص الثمن»؟ «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً» (رو ٤ : ٨). هذا لا يعني أن الله لا يرى الخطية، بل يعني أنه بسبب المحبة لا يعاقب الخاطئ على الخطية. المحبة تستطيع أن تقر أن هناك خطأ تم ارتكابه وتمحوه قبل أن يصبح ساكناً في القلب. المحبة لا تسجل الخطأ، وبهذه الطريقة لا يجد الغيظ فرصة للنمو.

بعضنا يقلقون من الذاكرة، لكن أقول الحق إننا ربما يجب أن نحسن من قدرتنا على نسيان بعض الأشياء. أعتقد أننا كثيراً ما ننسى ما يجب أن نتذكره ونتذكر ما يجب أن ننساه. ربما يكون أحد أكثر الأشياء التي يجب أن نفعلها في الحياة والتي تجعلنا متمثلين بالله هي أن نغفر وننسى. بعض الناس يقولون «سوف أغفر لهم، لكنني لن أنسى الأمر أبداً». وحقيقة هذه العبارة هي أننا إذا تشبثنا بالذكرى، فغفراننا ليس حقيقياً. ربما تسأل كيف يمكننا أن ننسى الأشياء التي جرحتنا، والإجابة هي أننا يجب أن نختار ألا نفكر فيها. عندما ترد هذه الأشياء على ذهننا، يجب أن نهدم الفكرة ونختار أن نفكر في الأشياء المفيدة لنا.

إن محو كل السجلات سوف يؤدي إلى نتائج جيدة، سوف يزيل الضغوط ويحسن نوعية الحياة التي تعيشها، سوف تسترد العلاقة الحميمة بينك وبين الله، وسيزداد فرحك وسلامك، بل إن صحتك أيضاً قد تتحسن لأن الذهن والقلب الهادئين غير المنزعجين هما حياة وصحة للجسد (انظر أم ١٤ : ٣٠). الغيظ يبني الجدران، لكن المحبة تبني الجسور!

الفصل

١٤

طرق عملية لإظهار المحبة

اكرز بالإنجيل في كل وقت، وإذا لزم الأمر استخدم الكلمات.

القديس فرنسيس الأسيزي

هذا الكتاب لا فائدة له إذا لم أقدم لك طرقاً عملية يمكنك بها أن تبدأ على الفور في إظهار المحبة. وكما قلت من قبل، فإن المحبة ليست نظرية أو مجرد كلام، لكنها فعل. ويجب علينا كثوار المحبة أن نبحث باستمرار عن طرق جديدة أفضل لتقديم المحبة إلى هذا العالم.

اسمح لي أن أذكرك أنه أياً كان ما نمتلكه أو ما نفعله، فإذا لم تكن لنا محبة فنحن لا نمتلك شيئاً ولسنا شيئاً (انظر ١كو ١٣ : ١-٣). يلزم علينا لأجل مستقبل المجتمع أن نصر على إظهار المحبة. الناس اليوم يتوقون إلى معرفة هل الله موجود أم لا، وما هو القصد من وجودهم هنا، ولماذا يمتلئ العالم بكل هذا الشر إذا كان الله موجوداً حقاً. أؤمن أنهم إذا

استطاعوا أن يروا المحبة العاملة، سوف تجيب هي على تساؤلاتهم. الله محبة، وهو موجود، وأحد الطرق الرئيسية التي يعلن بها عن نفسه هي من خلال شعبه.

أياً كان ما نمتلكه أو ما نفعله، فإذا لم تكن لنا محبة فنحن لا نمتلك شيئاً ولسنا شيئاً.

العالم بحاجة إلى أن يرى صفات المحبة المُعاشة، فالناس يحتاجون أن يروا الصبر واللطف وإيثار الغير والاستعداد للغفران. يحتاجون أن يروا أشخاصاً يضحون لكي يساعدوا الآخرين الأقل منهم حظاً. إن لمسة المحبة للناس تشبه الجلوس أمام النار تحت بطانية ناعمة دافئة. إنه شعور لا يضاهيه شيء آخر. ونحن نمتلك القدرة على تقديم هذه العطية للآخرين!

كن متأنياً

الصفة الأولى للمحبة في حديث بولس في ١كورنثوس ١٣ في الكتاب المقدس هي الأناة. يكتب بولس قائلاً أن المحبة تتأنى وترفق. المحبة تصبر، فهي تظل ثابتة ولا تتغير حتى عندما لا تكون الأمور كما تحبها أن تكون.

لقد ظللت أمارس طول الأناة مع البائعين البطيئين، أو الذين لا يمكنهم أن يجدوا أسعار الأغراض، أو الذين ينفذ لديهم ورق الفواتير، أو الذين يطيلون الحديث على الهاتف محاولين تهدئة زبون هائج، بينما أقف أنا أمامهم أنتظر من يساعدني. وقد تلقيت الشكر في الحقيقة من أكثر من بائع في المتاجر لأنني صبورة، وأنا على يقين أنهم يتلقون الكثير من الإساءات من الزبائن المحبطين المتعجلين غير المحبين، وقد قررت أنني لا أريد

أن أكون إضافة على مشكلتهم، بل أريد أن أكون جزءاً من الحل. بالتأكيد كلنا مستعجلون ونريد من يخدمنا على الفور، لكن بما أن المحبة لا تطلب ما لنفسها، فيجب أن نتعلم أن نضع مشاعر البائع قبل مشاعرنا. اعتذرت لي مؤخراً إحدى البائعات في أحد المتاجر على بطئها الشديد، فقلت لها إنني لم أكن أفعل شيئاً مهماً للدرجة التي تجعلني لا أستطيع الانتظار، فرأيت عليها علامات الراحة، وأدركت أنني بذلك قد أظهرت لها المحبة.

يشجعنا الكتاب المقدس على أن نتأنى على الجميع، ونراجع دائماً مستوى انفعالنا (انظر ١تس ٥: ١٤). هذا لا يفيد شهادتنا للآخرين فحسب، بل إنه يفيدنا نحن أيضاً. كلما زادت أناتنا، قلت الضغوط في حياتنا! قال بطرس إن الرب يتأني ويتمهل جداً علينا لأنه لا يريد أن يهلك منا أحد (انظر ٢بط ٣: ٩)، وهذا هو السبب الذي لأجله يجب أن نتأنى بعضنا على بعض، وبصفة خاصة على من هم في العالم ويبحثون عن الله.

قال بولس لتيموثاوس إن خدام الرب يجب أن يكونوا معلمين مهرة، ومؤهلين، ومعتدلي المزاج، ومستعدين لتحمل المشقات، ومترفقين بالجميع (انظر ٢تي ٢: ٢٤). نحن نعلِّم الناس كل يوم من خلال أفعالنا، وهذا التعليم لا يتم فقط بالكلمات – فالأفعال لها تأثير أكبر في أغلب الأحوال. كلنا أصحاب تأثير، ويجب أن ننتبه لطريقة استخدامنا لهذا التأثير. لن يفيدني أو يفيد اسم المسيح أن أعلق على صدري صورة يسوع ثم أفقد صبري وأناتي مع أحد البائعين. في الحقيقة لقد رأيت من هذه النوعية في العشرين عاماً الماضية قدراً يكفي أن يصيبني بالغثيان.

يجب ألا نرتدي رموزاً لإيماننا المسيحي إذا لم نكن مستعدين أن نعيش بما يحق لهذه الرموز. إن البرهان على علاقتي بالله ليس هو الملصق الذي أضعه على سيارتي أو المجوهرات المسيحية التي أرتديها أو سجل حضوري

للكنيسة. ليس هو عدد النصوص الكتابية التي أحفظها، أو عدد الكتب أو الاسطوانات أو الأفلام المسيحية في مكتبتي. إن البرهان على مسيحيتي يظهر في ثمرة المحبة الثائرة.

أشجعك على أن تصلي بانتظام لكي تكون قادراً على تحمل ما تواجهه، أياً كان، بانفعالات سليمة. صدقني، سوف تأتي أمور لها القدرة أن تزعجك، لكن إذا كنت مستعداً لها قبل أن تواجهها، فسوف تتمكن من أن تبقى هادئاً وأنت تواجهها. إن إظهار الثبات في أمزجتنا وانفعالاتنا أمر هام جداً. كثيرون جداً من الناس في العالم قابلون للانفجار عندما لا تسير الأمور بالطريقة التي يريدونها، لكنني أؤمن بصدق أن أحد الطرق التي يمكننا أن نؤثر بها على الآخرين هي أن نُظهر الأناة عندما تسوء الأمور.

منذ بضعة أسابيع كنت أعظ عن الصبر والشكر مهما كانت ظروفك. كنت قد عقدت ثلاثة مؤتمرات كبيرة في ظرف ستة أسابيع بالإضافة إلى الوفاء بعدة التزامات أخرى، وكانت خدمة صباح السبت هي الأخيرة في هذا الشريط من الالتزامات. كنت أتطلع حقاً إلى العودة للبيت مبكراً في ذلك اليوم، وتناول وجبة جيدة، والتسوق مع ديف لبعض الوقت، ومشاهدة فيلم جيد. كما ترى فقد كنت مستعدة أن أكافئ نفسي على عملي الشاق. كانت عندي خطة جيدة لنفسي!

صعدنا إلى الطائرة لنعود للبيت، وكان المقرر أن تستغرق الرحلة خمساً وثلاثين دقيقة فقط. كنت في غاية الفرح ... وعندها حدث خطأ ما. لم يغلق باب الطائرة بشكل صحيح، فجلسنا لما يقرب من ساعة ونصف بينما كانوا يصلحون الباب. وكان هناك احتمال عدم إمكانية الإقلاع بالطائرة في ذلك اليوم، واحتمال استئجار سيارات والقيادة حتى البيت. لا يمكنني أن أخبرك كم كان صعباً عليَّ أن أتحلى بالصبر. كان

مجرد الحفاظ على فمي مغلقاً يعتبر إنجازاً كبيراً. لقد وعظت عن الصبر، لكنني نسيت أن أصلي لكي أنجح في الامتحان إذا تعرضت له.

هل اختبرت من قبل أن تسمع عظة عظيمة كنت بحاجة إليها حقاً، ثم تجد نفسك في الحياة تتعرض للامتحان فيما سمعته بعدها مباشرة؟ حسناً، يجب أن تجرب أن تعظ وسترى عندئذ سرعة الامتحان! أدركت أننا قد لا نشعر دائماً بالأناة، لكننا مع ذلك يمكن أن ندرب أنفسنا أن نكون صبورين. لا يمكنني أن أفعل شيئاً حيال ما أشعر به أحياناً، لكن يمكنني أن أتحكم في كيفية سلوكي، وأنت أيضاً كذلك. أؤكد لك أنني لم أكن أشعر بالصبر أبداً وأنا أجلس في مهبط الطائرات هذا، لكنني ظللت أصلي: «يا رب، أرجوك ساعدني أن أبقى هادئة لكي لا أكون شهادة ضعيفة عن ما انتهيت للتو من الوعظ به». وقد ساعدني الله، ومع أن الأمور لا تسير دائماً بالطريقة التي أريدها في هذه المواقف، إلا أنه في هذه الحالة انتهى بنا الأمر بأن عدت للبيت وكان لديّ متسع من الوقت أفعل فيه كل ما كنت قد خططت له.

عندما تجد نفسك في مواقف صعبة، ابذل جهدك لكي تحتفظ بسلامك وسترى الله وهو يعمل لصالحك. عندما كان بنو إسرائيل بين البحر الأحمر وجيش المصريين، قال موسى: « الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ» (خر ١٤ : ١٤).

امنح وقتك للآخرين

الوقت هو أثمن سلعة يمتلكها معظمنا. عندما نطلب من الناس أن يمنحونا وقتهم، يجب أن ندرك أننا بذلك نطلب عطية ثمينة، ويجب أن نشعر بامتنان كبير عندما نحصل عليها. كثيراً ما يطلب الناس وقتي،

وللأسف لا يمكنني أن أقدمه لهم جميعاً. وإذا حاولت أن أفعل ذلك، لن أنهار فحسب، بل أيضاً لن يتاح لي الوقت لأتمم ما أعطاني الله أن أفعله أثناء حياتي على الأرض.

لا يمكننا أن نقول نعم للجميع، لكننا أيضاً لا يجب أن نقول لا للجميع. أشجعك كثيراً أن تقدم بعضاً من وقتك، لأن هذه إحدى الطرق لإظهار المحبة. تحدثت مؤخراً في كنيسة بولاية تنيسي بناء على طلب من صديقة لي. وبينما كنت هناك شعرت بأن الرب يدفعني لإرجاع التقدمة التي جاءتهم في تلك الليلة لأجلي وتوجيهها لمساعدة الفقراء في مدينتهم. وأدركت على الفور أن الله كان يريدني أن أقدم وقتي ونقودي مجاناً! كان يريدني ألا أحصل على شيء سوى فرح العطاء، والذي يكفيني ويزيد. وأنا أجد أن الله يمتحنني بهذه الطريقة عدة مرات كل عام، وأنا سعيدة أنه يفعل ذلك، لأنني لا أريد أبداً أن أعتاد التفكير في أنني يجب أن أحصل على شيء من وراء كل شيء أفعله للآخرين.

أعترف أن تقديم وقتي أصعب عليَّ من تقديم نقودي أو ممتلكاتي الأخرى، فقد مر من حياتي ثلثاها على الأقل، وأنا أدرك أن ما تبقى لي يجب أن يكون مركزاً ومهدفاً. وتحتم الضرورة عليَّ أن أقول لا كثيراً، لكنني أقول نعم أيضاً عندما أستطيع ذلك لأنني أعرف أن وقتي هو عطية محبة ثمينة.

عندما يساعدك شخص ما أن تتقدم، فهو بذلك يقدم لك هدية الوقت الثمينة. عندما تحصل على انتباه غير مشتت من شخص ما، فهو بذلك يكرمك ويظهر لك المحبة. كل مرة نسأل فيها شخصاً آخر: «هل يمكنك أن تفعل شيئاً لأجلي؟» فنحن بذلك نطلب أثمن شيء يمكن لأي شخص أن يمتلكه، لأننا نطلب قسماً من وقته.

فكر في وقتك. احرص على أن تقدم الكثير منه في إقامة علاقة حميمة مع الله، واحرص على أن تقدم بعضاً منه لشعب الله ولإظهار محبته. في أحد المرات قال القس «تومي بارنيت» الراعي الأكبر للكنيسة الرسولية الأولى بفينكس، وهي أحد الكنائس سريعة النمو في أمريكا: «الحياة هي شيء نفقده باستمرار»، لذلك يجب أن نتعامل بجدية مع كل ما نفعله. عندما يقول الناس إنهم ليس لديهم ما يقدمونه، فهم بذلك ينسون أننا طالما كنا أحياء، فلدينا شيء يمكن أن نقدمه: وهو وقتنا.

وبما أن الوقت سلعة ثمينة هكذا، فيجب أن نتصرف فيه بحكمة وبهدف محدد. لا تسمح للناس أن يسرقوا وقتك، ولا تضيع وقتك، وإياك أن تقول: «أنا فقط أحاول أن أقتل بعض الوقت». يجب أن تعرف ما هي أولوياتك و تكرس وقتك لها. الله والأسرة يجب أن يكونا على رأس قائمتك. كما أنك تحتاج أن تصرف وقتاً في الاهتمام بنفسك. يجب أن تعمل، وتستريح، وتلعب، لكي تكون شخصاً متوازناً. كما أنك تحتاج أن تقدم بعضاً من وقتك لمساعدة الناس الذين يحتاجون إليك.

إذا كنت تفكر أنك ليس لديك الوقت الكافي لفعل كل شيء بحيث يتبقى أيضاً لديك وقت إضافي تقدمه للآخرين، أشجعك أن تفعل ما قاله الله لتومي بارنيت. لقد أخبره أن يستخدم أنصاف ساعاته بحكمة. وأظهر له أن لديه فسحات عديدة من الوقت تقدر بأنصاف الساعات. يقول القس بارنيت أنك إذا أخبرته ماذا تفعل بأنصاف ساعاتك، سوف يخبرك بموضوع حياتك. ماذا تفعل بنصف الساعة التي تقضيها في القيادة إلى العمل وإلى البيت كل يوم؟ ماذا تفعل في نصف الساعة التي تقضيها في عيادة الطبيب؟ وماذا عن نصف الساعة التي تنتظر فيها وجبتك في المطعم؟ هل لديك وقت في أنصاف الساعات هذه لتظهر المحبة لشخص

ما؟ هل يمكنك استخدام تلك الدقائق لتشجع شخصاً ما عن طريق الهاتف أو بخطاب؟ هل يمكنك أن تسدد حساب شخص ما؟ هل يمكنك أن تصلي بخصوص ما يمكنك أن تفعله لشخص ما؟ استخدم الوقت في التفكير في طرق جديدة في ما يجب عليك أن تقدمه.

يمكنك أن تكتب كتاباً في أنصاف ساعاتك. يمكنك أن تربح نفساً. يمكنك أن تتخذ قراراً مصيرياً في نصف ساعة. نصف الساعة قد تكون هي الفرق بين بيت نظيف وبيت متسخ. إن أنصاف ساعاتك مهمة، وربما تجد لديك الكثير منها إذا بدأت تبحث عنها. هل يعني هذا أنك يجب أن تفعل شيئاً في كل ثانية من اليوم؟ لا، أنا لا أقول هذا. في الواقع، ربما تقرر أنك تحتاج إلى أن تأخذ نصف ساعة لتستريح فيها، وإذا فعلت هذا فلا بأس، لكنك على الأقل استخدمتها لقصد ما بدلاً من أن تضيعها في عدم فعل أي شيء.

تذكر أن كل يوم يمر هو يوم لن يرجع ثانية، لذلك استثمره ولا تضيعه.

قدم المحبة بأفكارك، وكلماتك، وممتلكاتك

قوة الأفكار: حكت إحدى السيدات هذه القصة لتبين قوة الأفكار:

في وقت الكريسماس قمت بنقل شجرة التين إلى أعلى، إلى غرفة النوم، لكي أفسح مكاناً لشجرة الكريسماس. كان في تلك الشجرة غصن صغير يحمل أوراقاً قليلة قد تكون أقل من باقي الأغصان بحوالي عشرة ورقات. كان منظره غير حسن، فقد كان يشوه شكل الشجرة.

عندما كنت أستيقظ في الصباح كنت أنظر إلى الشجرة عند النافذة وأقول لنفسي: «سوف أقطع هذا الغصن». وكل مرة كنت أمر فيها بهذه الشجرة كنت أقول لنفسي: «هذا الغصن شكله غير مناسب، سوف أتخلص منه».

ومر الوقت، وأعدت الشجرة إلى غرفة المعيشة، وظللت أفكر أفكاراً سلبية في كل مرة ألاحظها. استمر هذا الأمر لحوالي شهر ونصف.

وفي صباح أحد الأيام، مررت بالشجرة ووجدت أن كل الأوراق التي كانت على الغصن الصغير قد تحولت للاصفرار. لم تكن هناك ورقة واحدة في الشجرة كلها إلا وقد اصفرّ لونها. فشعرت بالغرابة وأخبرت زوجي، فنظر إليَّ وقال لي «أنا سعيد أنك تفكرين أفكاراً لطيفة من جهتي».

في هذا اليوم قطعت ذلك الغصن!

كانت علاقتي بحماتي علاقة صعبة. بالطبع لم أكن أعتبر أنني ملامة في شيء، فقد كنت لطيفة معها، لكني قررت أن الأمر يستحق التجربة. لذلك، في كل مرة كنت فيها أفكر في حماتي، كنت أقرر أن أباركها، وأتوقف عما أفعله لكي أفكر فيها وأباركها.

في الأحوال العادية، قليلاً ما تتصل بي حماتي أو تريد الاسترسال في الحديث معي، لكن في غضون خمسة أيام وجدتها تتصل بي ثلاث مرات – صحيح أنها كانت اتصالات قصيرة لكنها كانت مليئة بالمودة! مع العلم أنها لم تتصل بي في العام الماضي كله أكثر من ست مرات!

هذه السيدة طلبت سلسلتي التعليمية حول قوة التفكير، وقالت: «أصبحت الآن أنتبه إلى كيفية تفكيري في الآخرين».

نحن نفكر أفكاراً لا حصر لها عن الآخرين، لكننا يجب أن نفعل ذلك

بإحساس أكبر بالمسئولية. أنا أؤمن أن الأفكار تعمل في النطاق الروحي، ومع أنها لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، إلا أنني مقتنعة أن الآخرين يمكن أن يشعروا بأفكارنا. فكما تأثرت شجرة التين سلبياً بالأفكار السلبية لتلك السيدة، أنا أؤمن أن الناس يتأثرون بأفكارنا.

ما نظنه عن الناس لا يؤثر فيهم فحسب، بل إنه أيضاً يؤثر في الطريقة التي نتعامل بها معهم عندما نقابلهم. إذا كنت أفكر سراً في كم أبغض شخصاً ما، وأستعرض في ذهني كل الأخطاء التي أرى أنها فيه، فعندما أراه سأعامله بما يتفق مع الصورة التي كونتها عنه في فكري.

في أحد الأيام خرجت للتسوق مع ابنتي، وكانت في سن المراهقة في ذلك الوقت. كان وجهها به الكثير من الحبوب في ذلك اليوم، وكانت حالة شعرها مزرية. أتذكر أنني في كل مرة كنت أنظر فيها إليها كنت أقول في نفسي: «لا تبدين بشكل جيد على الإطلاق اليوم». ولاحظت مع مرور اليوم أنها تميل إلى الاكتئاب، فسألتها عن الأمر، فأجابت: «أنا فقط أشعر أنني في غاية القبح اليوم». وقد علمني الله درساً في ذلك اليوم عن قوة الأفكار. يمكننا أن نساعد الناس بالأفكار الجيدة الإيجابية النابعة من المحبة، لكننا يمكننا أن نؤذيهم بالأفكار الشريرة السلبية النابعة من عدم المحبة.

أشجعك أن تختار كل يوم شخصاً وتجعله مشروع صلاة لك. تدرب على التفكير في أفكار جيدة من نحوه عن قصد. وأثناء اليوم اقض بعض الفترات في التفكير والتأمل في نقاط قوة ذلك الشخص، وكل صفة جيدة يمكنك أن تفكر أنها في هذا الشخص، وكل إحسان صنعه معك من قبل، وأية مجاملة يمكنك أن تفكر فيها بخصوص شكله أو مظهره. وفي اليوم التالي مارس هذا الأمر مع شخص آخر، واستمر في المرور على الأشخاص المهمين في حياتك إلى أن تنمي عادة التفكير في أمور حسنة.

حب الناس بأفكارك، وعندما تفعل ذلك سوف تبنيهم وتضيف قوة لحياتهم.

قوة الكلمات: ناقشنا من قبل كيف يمكننا أن نستخدم الكلمات لنبني الآخرين ونشجعهم ونقويهم، لكنني أريد أن أؤكد على هذه النقطة كطريقة نحب بها الآخرين. كلنا لدينا القدرة على استخدام الكلمات لإظهار المحبة للآخرين. بالأمس فقط تقابلت مع وكيلة عقارات لها عينان زرقاوان جميلتان، فأخبرتها أن عينيها جميلتان. أستطيع أن أقول إن هذا جعلها تسعد بنفسها، ولم يكلفني الأمر سوى لحظة من وقتي والقليل جداً من الجهد. رأيت وكيلة أخرى كانت جذابة بشكل غير معتاد، فأخبرتها أنها في غاية الجمال، وهي أيضاً تجاوبت بطريقة تعبر عن التقدير والسرور الشديدين. لقد استخدمت كلماتي لكي أبني اثنتين من الناس، وكل هذا حدث أثناء نشاط العمل المعتاد. يجب علينا كثوار للمحبة أن نستخدم قوة الكلمات طوال كل يوم لكي نحب من حولنا ونشجعهم بها.

عاد زوجي إلى البيت بعد أن قام بلعب الجولف، وفي غضون خمس دقائق كان قد أخبرني أنه يحبني وأنني أبدو جميلة، وأنني قد عملت باجتهاد. ظللت أعمل في هذا الكتاب لمدة حوالي سبع ساعات وكنت جاهزة لوقت الاستراحة، لذلك جعلتني كلماته اللطيفة أشعر بالمحبة والتقدير. خرجنا لتناول العشاء بالأمس مع ابننا وزوجته وطفلهما، وقد أخبرت نيكول أنها زوجة وأم صالحة. وقبل ذلك مباشرة رأيت ابني وهو يهمس في أذنها أنه يحبها. هذه هي نوعية الأشياء التي يجب أن نقولها أحدنا للآخر أثناء اليوم كطريقة للتعبير عن المحبة وتدعيم الثقة.

إن قوة الحياة والموت هي في اللسان. هذه الفكرة عجيبة، فنحن نمتلك السلطان أن نتكلم بالحياة أو الموت للآخرين ولأنفسنا. وما نقوله

للآخرين يؤثر على حياتنا نحن، فالكتاب المقدس يقول: «اَلْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ وَأَحِبَّاؤُهُ يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُ» (أم ١٨ : ٢١).

إن الكلمات عبارة عن آنية للقوة، وهي إما أن تحمل قوة خلاقة أو قوة مدمرة، وهذا كله راجع لاختيارنا. اختر كلماتك بعناية وتكلم بها بحرص، فهي توصل رسائل يمكن أن تغير الحياة كلها. بكلماتنا يمكننا أن نبني صورة شخص عن نفسه أو نهدمها. يمكننا أن ندمر سمعة شخص ما بكلماتنا، لذلك انتبه لما تقوله عن الآخرين. لا تسمم فكر شخص ما عن شخص آخر.

دعنا نتخيل أن كلماتك محفوظة في مخزن، وفي كل صباح تذهب وتراجع الأرفف، وتنتقي الكلمات التي سوف تأخذها معك في ذلك اليوم بينما تخرج إلى العالم. ربما تعرف بعض الأشخاص الذين ستقابلهم وعلى ذلك يمكنك أن تختار مسبقاً الكلمات التي ستجعلهم يشعرون بالمحبة وتمنحهم الثقة. خذ معك كلمات لكل من تقابله خلال ذلك اليوم، وكن مستعداً في قلبك أن تكون بركة لكل واحد منهم بأن تحبهم من خلال ما تقوله لهم.

كل يوم أريد أن أرى كم عدد الناس الذين يمكنني أن أرفع من معنوياتهم بكلماتي. بالتأكيد سبق لي أن أهدرت كلمات كثيرة في حياتي عن طريق الكلام الباطل، والأشياء غير المفيدة التي لم تفعل شيئاً أو ضايقت الآخرين، وأنا آسفة على كل هذه الكلمات المهدرة، لذلك فإني الآن أستخدم كلماتي لأزيل أثر الضرر الذي سببته في الماضي.

اللسان عضو صغير، لكنه يمكن أن يشعل ناراً مدمرة إذا لم نكن منتبهين. كان الملك داود يصلي كثيراً من جهة كلمات فمه، فقد قال: «قُلْتُ أَتَحَفَّظُ لِسَبِيلِي مِنَ الْخَطَإِ بِلِسَانِي» (مز ٣٩ : ١). كما أنه صلى أن

تكون أقوال فمه وفكر قلبه مرضية ومُسرة لله (انظر مز ١٩ : ١٤). كان يعرف تماماً قوة اللسان، ويدرك أنه يحتاج إلى معونة الله لكي يظل في الطريق الصحيح. ونحن يجب علينا أن نتبع مثال داود في هذا الأمر.

قوة الممتلكات: كلنا لدينا ممتلكات. بعضنا يمتلك أكثر من غيره، لكننا كلنا لدينا شيء يمكن أن نستخدمه ليكون بركة ملموسة لآخرين. الأفكار والكلمات كلها أمور رائعة وهي تساعد على إظهار المحبة، لكن الممتلكات والأغراض المادية تفعل الشيء ذاته، بل إنها بالنسبة لبعض الناس تمثل أهمية أكبر.

يقول الكتاب المقدس إننا إذا كنا نمتلك ثوبين، فيجب أن نقدم أحدهما لشخص ليس له ثوب، وهذا المبدأ نفسه ينطبق على الطعام (انظر لو ٣ : ١١). كانت الكنيسة الأولى التي نراها في سفر أعمال الرسل كنيسة قوية بشكل مذهل، وكانت تنمو يومياً. كانت كل أنواع الآيات فوق الطبيعية والمعجزات أمراً معتاداً بينهم. كانت قوة الله معهم، وكانوا يظهرون المحبة بعضهم لبعض بكل قلبهم وفكرهم وقوتهم، وممتلكاتهم.

«وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ، بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً» (أعمال الرسل ٤ : ٣٢)

هل نحن مالكون أم وكلاء؟ كل شيء نمتلكه هو من الله، وفي الحقيقة يخص الله. نحن مجرد وكلاء على ممتلكاته. كثيراً جداً ما نتشبث بالأشياء ونتعلق بها. لكننا يجب ألا نمسك بها بقوة، حتى لا يكون من الصعب علينا أن نتخلى عنها عندما يحتاجها الله. ليتنا نُذكِّر أنفسنا دائماً أن الممتلكات ليست لها قيمة أبدية، وما يبقى هو ما نفعله للآخرين. قال بولس لأهل كورنثوس أن تقدماتهم للفقراء سوف تستمر وتبقى طوال

الأبدية (انظر ٢كو ٩ : ٩).

يريدنا الله أن نستمتع بممتلكاتنا، لكنه لا يريد من ممتلكاتنا أن تمتلكنا. ربما يجدر بنا أن نسأل أنفسنا دائماً: «هل أمتلك أنا ممتلكاتي أم أن ممتلكاتي هي التي تمتلكني؟» هل تستطيع أن تستخدم ما لديك لكي تبارك به الناس، أم يصعب عليك أن تتخلى عن الأشياء ... حتى الأشياء التي لا تستخدمها؟

كثيراً ما أتلقى هدايا عبارة عن زجاجات عطور، وبما أنني احتفلت بعيد ميلادي مؤخراً، فقد تكاثرت زجاجات العطور على الرف الخاص بي. في أحد الأيام شعرت برغبة في أن أبارك صديقة لي فعلت معي معروفاً، وتذكرت أنها تحب نوعاً معيناً من العطور التي كنت أضعها. بالطبع كانت لديَّ عبوة بها زجاجة جديدة ومعها أيضاً كريم للبشرة، وبالطبع كان هذا النوع هو أثمن الأنواع ضمن العطور الأخرى. كان عليَّ أن أتحدث مع نفسي قليلاً، لكن في خلال دقائق قليلة استطعت أن أُنزل هذه الزجاجة من على الرف، وأضعها في حقيبة هدايا ثم أضعها بين يدي صديقتي. لقد جعلها هذا الأمر في غاية السعادة، وكل ما كلفني هو أحد الممتلكات التي يمكن استبدالها.

أناشدك أن تبدأ في استخدام ممتلكاتك لتحب الناس بطرق ملموسة. الهدايا طريقة رائعة تظهر بها المحبة. على سبيل المثال، قالت لي إحدى صديقاتي ذات مرة أن هديتها لي بمناسبة عيد ميلادي سوف تتأخر لأنها لم تنته منها بعد. وعندما تلقيت الهدية أخيراً، فوجئت أنها كانت رسماً يدوياً لكلبي، وهو شيء يمكنني أن أنظر إليه وأستمتع به لسنوات كثيرة. لقد نلت بركة بهذه اللوحة، لكن البركة الأكبر هي المجهود الذي بذلته صديقتي لتكملها لأجلي.

العطاء كله حسن، لكن بقدر ما تستطيع ابذل جهداً خاصاً لكي تقدم لشخص ما شيئاً تعرف أنه يريده حقاً. فمجرد حقيقة أنك أصغيت بما يكفي لتعرف أنه يحب هذا الشيء بالذات ويريده سوف يكون بركة كبيرة له. كانت لي صديقة عندها كلب متميز جداً وقد مات وهو صغير. شعرت بحزن شديد ولم تكن تستطيع أن تشتري كلباً آخر بدلاً منه، لذلك أمكنني أن أشتري لها واحداً وأفاجئها به. سوف يعطينا الله القدرة على أن نقدم للناس ما يظهر لهم محبتنا إذا طلبنا منه ذلك، فهو دائماً يقدم لنا الكثير من الأشياء التي يمكننا أن نحتفظ بها ونستمتع بها، كما يقدم لنا أيضاً الكثير الذي يمكننا أن نعطيه للآخرين، فقط إذا لم نتمسك كثيراً بالأشياء وظللنا نتحين الفرص للعطاء.

أختبر أحياناً ما أسميه هوجة عطاء، فأنا أرغب في أن أكون بركة، وأريد أن أستخدم ممتلكاتي كطريقة ملموسة لإظهار المحبة، لذلك أقوم بمراجعة منزلي، وخزانة ملابسي، وأدراجي، وصندوق مجوهراتي، بحثاً عن أشياء يمكنني أن أعطيها لآخرين. ودائماً أستطيع أن أجد أشياء لهذا الغرض. لكن يدهشني كم أتعرض لإغراء أن أتعلق بهذه الأشياء مع أنني ربما لم أستخدم أحدها لمدة سنتين أو ثلاثة. نحن نحب أن نمتلك الأشياء! لكن سيكون الأفضل أن نستخدم ممتلكاتنا لتكون بركة لآخرين وتجعلهم يشعرون بالمحبة والتقدير.

إذا كنت تواجه صعوبة في رؤية ما عليك أن تقدمه للآخرين، اطلب من الله أن يعينك، وسرعان ما ستجد أن لديك ثروة من الأشياء التي يمكن استخدامها لإظهار المحبة للأشخاص المتألمين. وعندما نستخدم ما لدينا لغرض صالح، تزداد المحبة دائماً. وعندما نظهر أنفسنا كوكلاء صالحين على ممتلكات الله، تُزاد لنا أشياء.

(اذكروا) هَذَا وَإِنَّ مَنْ يَزْرَعُ بِالشُّحِّ فَبِالشُّحِّ أَيْضاً يَحْصُدُ، وَمَنْ يَزْرَعُ بِالْبَرَكَاتِ (لكي يبارك غيره) فَبِالْبَرَكَاتِ أَيْضاً يَحْصُدُ.

(ليعط) كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ، لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ (الفرح، سريع العطاء، الذي يضع قلبه على العطاء) يُحِبُّهُ اللّٰه (يتلذذ به، يفضله على أشياء كثيرة، لا يهمله أو يتخلى عنه).
(٢كورنثوس ٩ : ٦-٧)

عندما تكون على فراش الموت، لن تسأل عن حسابك المصرفي أو تطلب جرداً بممتلكاتك، بل سترغب في أن يحيط بك أفراد أسرتك وأصدقاؤك الذين يحبونك. ابدأ في بناء هذه العلاقات الآن مستخدماً كل مصادرك لتظهر المحبة للناس.

ثائر المحبة

القس تومي بارنيت

ورد تعريف الثورة (Revolution) في قاموس اللغة الإنجليزية كما يلي: ١ : عمل تقوم به الأجرام السماوية في الدوران حول مدار معين ٢ : دورة ٣ : دوران ٤ : تغير مفاجئ أو جذري أو شامل، وتشير بوجه خاص إلى ما يقوم به المحكومون من الإطاحة بحكومة ما واستبدالها بحكومة أخرى.

كل هذه التعريفات للثورة تنطبق على دعوتك الخاصة أن تصبح جزءاً من ثورة المحبة التي ينشرها الله في العالم كله.

في الحقيقة، يُعرِّف القاموس الشخص الثائر على أنه الشخص المشترك في ثورة، أو المدافع عن عقيدة ثورية. وثورة المحبة في حقيقتها عقيدة ثورية، لأن العالم ينظر إلى المحبة على أنها شيء يجب الحصول عليه وامتلاكه،

بينما يحاول يسوع أن يحول أفكارنا وأفعالنا ليُعرِّف المحبة على أنها شيء يفيض منا ويجب أن نقدمه للآخرين.

لذلك، أنت مدعو للاشتراك في دائرة المحبة الفريدة! وهي دائرة مستمرة الاتساع ومركزها ومحيطها هما هدف واحد: محبة الناس وتشجيعهم على تبعية يسوع المسيح من خلال الترحيب بالعالم داخل عائلة الله.

هذه الدائرة المغيرة التي تقدم المحبة والتشجيع تشمل المشردين وضحايا الكوارث الطبيعية والبشرية، وضحايا الإساءات والعلاقات الاستغلالية، والنساء اللواتي تواجهن مشكلات الإجهاض، والمجروحين من العلاقات، والمعوزين اقتصادياً أو من لا يجدون الوظائف، والمدمنين، وكثيرين ممن يعانون من آلام أكثر من أن نحصيها! كثيراً ما كانت الكنائس في الماضي تعتبر أمثال هؤلاء الناس حثالة البشرية، لكننا ننظر إليهم على أنهم كنوز المستقبل في ملكوت الله.

إن ثورة المحبة بسيطة: فهي تبدأ عندما يوسع كل واحد فينا دائرة محبته لتشمل من يتألمون من حولنا. ظلت الكنائس لسنوات طويلة تضع برامج لجذب أناس جدد، وقد ظهرت هذه البرامج واختفت بأعداد هائلة، لكنها لم تنجح في خلق هذا التوسع، بل على العكس تقلص نطاق تأثير الكنيسة إلى دوائر صغيرة الحجم. وهكذا فإن التأكيد على البرامج أكثر من التأكيد على الناس لم يحقق التحدي الذي وضعه يسوع أمامنا، والذي أعلن فيه أننا يجب أن نحب بعضنا البعض.

تحدي الثورة

الدائرة أو الدورة أو الدوران أو الحياة مثل يسوع لأجل الناس هو التحدي الذي وضعه الرسول بولس أمامنا عندما قال: «فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ

بَاللهِ كَأَوْلَادٍ أَحِبَّاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَاناً وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً» (أف ٥ : ١-٢).

هذه هي دعوة ثورة المحبة: أن نسلك في المحبة، وليس فقط أن نقرر أن نحب. كثيرون من الناس يعرفون أن المحبة هي الأمر الصحيح، لكن كيف يمكنك أن توسع دائرة محبتك؟ يحدث هذا في سلوك يومي.

كلنا لدينا دائرة تأثير، وكلنا ننتمي داخل دائرة ما. معظمنا يستمتعون بدائرة من الأصدقاء. ما هو حجم دائرتك؟ إلى أي مدى تشمل دائرتك الآخرين أو تستبعدهم؟ كثيراً ما أقابل أصحاب النوايا الطيبة الذين يبدون غير مدركين للصغر الشديد لحجم دائرتهم. إذا كنا نعيش «عقلية المسيح» ولنا فكر المسيح داخلنا، فيجب إذاً على كل دائرة ألا تستبعد أحداً بل أن تشمل الجميع.

يهمني كثيراً ويحدد دائرتي الشخصية، قضية الخطاة الذين أريد أن أدخلهم إلى دائرتي، إذ يسهل عليَّ أن أجد كراهيتي للخطية تختلط مع الخطاة فتجعلني أكره الخطاة لأنني أبغض الخطية. لكنني تعلمت أن الله يريدني أن أبغض الخطية لكن أن أحب الخطاة. أحياناً يكون موقفنا من الخطية مشابهاً لرؤيتنا لحية سامة وهي تواجه طفلاً صغيراً. الحية متأهبة ومستعدة للهجوم. نحن نكره الحية، لكننا نحب الطفل ونريد أن ننقذ الطفل من أنياب موت محتمل.

يجب علينا أن نحذر الناس من عواقب الخطية، لكننا يجب أيضاً أن نتحرك برأفة الرب لكي نشمل الخطاة في دائرة محبتنا. بالإضافة إلى ذلك فإن معظم الخطاة يدركون التأثيرات السلبية للاختيارات الخاطئة في حياتهم، وهم لا يحتاجون إلى شخص آخر يقترب منهم ويدينهم، فهم يعتقدون أن الكنيسة لن ترحب بهم بسبب أسلوب حياتهم، أو إدمانهم،

أو خيانتهم، أو أخطائهم الجسيمة، وأن موقف الله بالتالي سيكون هكذا أيضاً. وهذا الاعتقاد يعذبهم بالفعل.

كثيراً ما يسأل من هم في مواضع القيادة لماذا تتعمد كنيستنا في فينكس ومركز الأحلام في لوس أنجلوس العمل مع المحرومين وغير المحبوبين وغير المرغوب فيهم. صحيح أن هؤلاء الناس اختاروا اختيارات سيئة، إلا أنني لم أشك أبداً في أن الله يريد أن يدخل كل إنسان إلى دائرة محبته.

إذا كنا نعيش ما نعترف به بأفواهنا، أي نعيش كإعلانات حقيقية عن يسوع المسيح، عندئذ لا يجوز أبداً استبعاد أي إنسان، وهذا يشمل الناس من مختلف العقائد والطوائف والخلفيات. يجب أن نكون مشجعين، ومبشرين بالرجاء، نوجه الناس إلى محبة الله غير المشروطة، ثم نصبح نحن برهاناً على هذه المحبة من نحوهم.

أنا غير مسئول عن من يستبعدونني أو يشملونني، لكنني مسئول عن نفسي، وعن من أستبعدهم. عندما علق يسوع على الصليب قال في عبارته الشاملة: «يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (انظر لوقا ٢٣ : ٣٤). كانت دائرته تشمل من صلبوه، حتى من انتقدوه، وهزأوا به، وبصقوا عليه، وقدموا له الخل عندما طلب ماء، كانوا مشمولين داخل دائرة محبته.

إن الغرض من دائرتنا هو أن تشمل حتى من أخطأوا في حقنا. لقد تعلمت ألا أتشاجر مع الناس في دائرتي على الإطلاق. لا توجد معركة، فأنا في أمان طالما أشمل الكل في دائرة محبتي. في هذه الحالة لن أتألم.

لا يمكنك أن تصادق الكثيرين، لكن إذا كان لديك عدو، فسوف تقابل ذلك العدو أينما توجهت. إنك مربوط بما تكرهه. عندما تقبل الجميع، فأنت بذلك في بداية طريقك لفهم موضوع محبة الله. كل من

هو خارج دائرة محبتك يمكنه أن يجرحك، لكن كل من هو داخل دائرة محبتك لن يجرحك.

إن المعيار الناموسي للتدين والذي يعلي البعض من شأنه كثيراً هو معيار ضيق ويستبعد الآخرين، لكن معيار ثورة المحبة معيار عالمي. المحبة تشفي! المحبة تسترد! المحبة تنير! المحبة ترفع! كلما اتسعت دائرة محبتي، زادت سعادتي وزاد إظهاري لمحبة الله للآخرين.

ثورة المحبة عملياً

عندما بدأنا مركز الأحلام في لوس أنجلوس، تعمدنا الذهاب إلى منطقة غير محبوبة، وكانت مهملة من الحكومة والكنائس بل والشرطة أيضاً على اعتبار أنها لا أمل فيها. لكن لأننا وسعنا دائرة محبتنا لتشمل أفراد العصابات والهاربين من القانون والمشردين والعاهرات والمجرمين الأشداء والشباب المرفوضين، اتسعت دائرتنا لدرجة أن أصبحت مراكز الأحلام حول العالم تخرج إلى غير المرغوب فيهم وغير المحبوبين مُعلنةً لهم محبة المسيح من خلال تقديم الخدمات.

كل أسبوع يخرج المئات من المتطوعين من مشروع «خصص منطقة» في مركز الأحلام بلوس أنجلوس (وهو واحد من مئات الجوانب لثورة المحبة التي تخرج من مركز الأحلام) إلى الأحياء ويخدمون جيرانهم عن طريق تنظيف ساحاتهم أو طلاء جدرانهم، وخدمتهم بطرق متنوعة. وهم يخدمون أشخاصاً لا يعرفونهم بالمرة لكي يظهروا لهم محبة المسيح.

وفي الوقت الذي كان فيه معدل الجريمة والانحدار المجتمعي يزداد في مدينة لوس أنجلوس، كان الحي القريب من مركز الأحلام يشهد انخفاضاً في معدل الجريمة يزيد على ٧٠ بالمائة، إذ كان الكثيرون يؤمنون بالمسيح.

أما قسم رامبارت، وهو حي معروف عنه الفساد والجريمة والخطية، فيشرق الآن كنموذج لأناس يسلكون بدافع محبة المسيح. هذه هي ثورة المحبة!

الغفران والعطاء

هل نلت الغفران من قبل؟ اغفر إذاً للآخرين. المحبة غافرة، والمحبة أيضاً معطية.

إن تقديم المحبة هو أحد أصعب الأمور التي يمكن أن تفعلها، فهي أصعب من نواح كثيرة من تقديم النقود، لأن المحبة يجب أن تخرج من قلب مفتوح. لا يمكنً أبداً أن تصير مجرد صفقة تجارية باردة.

لكن الكثيرون منا يسيئون فهم ماهية المحبة، فنحن نظن أنها شيء يمكننا أن نناله ونمتلكه مثل هدية أو شيء يدين أحد لنا به، لكن ليست هذه هي حقيقة المحبة.

المحبة شيء لا يسعك سوى أن تقدمه، لا أن تمتلكه. لا يوجد بيننا من يمتلك المحبة – لكننا نستخدم المحبة. يرد اللفظ الكتابي للتعبير عن المحبة في صيغة المبني للمعلوم، مما يعني أن المحبة الصحيحة هي التي نعطيها لا التي نأخذها.

هل قابلت شخصاً من قبل يحتاج دائماً إلى المحبة، لكنه لا يحصل على كفايته منها أبداً؟ كلما زاد تركيز مثل هؤلاء الناس على المحبة التي يشعرون أنهم يستحقونها، قلَّت المحبة التي يبدو أنهم يمتلكونها بالفعل، فهم مركزون بشدة على ما ينقصهم لدرجة أن ما يصلهم لا يكفي أبداً.

عندما نساعد المتألمين، نقابل دائماً من يقولون إنهم يريدون أن يكون هناك فقط من يحبهم. وقد اكتشفت أن العكس هو الصحيح: فنحن لا نحتاج إلى أن نُحَب بقدر ما نحتاج إلى أن نُحِب.

عندما نحب بدون شروط، لا يمكننا أبداً أن نصير أسرى رجل أو امرأة، لكن عندما نطالب شخصاً ما أن يحبنا، نصبح عبيداً له ويسهل أن نصير سجناء داخل نقص محبته نحونا.

العطاء أهم من الأخذ

أؤمن أن إظهار الناس للمحبة أهم من نوالهم إياها. عندما نُظهر المحبة، فهي تفتح الصنبور السماوي الذي يسكب الله من خلاله علينا محبته باستمرار. كلما زادت المحبة التي تظهرها، زاد ما تناله، وأصبح من السهل عليك أن تترك الصنبور مفتوحاً لكي يتدفق للآخرين.

يتأثر مقدار المحبة التي لديك تأثراً مباشراً بمقدار المحبة التي تمنحها. قد تبدو العبارة التالية متناقضة، لكنها حقيقية: إن الطريقة الوحيدة التي تمسك بها بالمحبة هي أن تقدمها.

إن الطريقة الوحيدة التي تمسك بها بالمحبة هي أن تقدمها.

إذا كنت تقدم المحبة باستمرار، فأنت تركز دائماً على ما لديك لتعطيه للآخرين، وهكذا تنمو مواردك. حتى إذا لم يرد لك أحد هذه المحبة، فسوف يكون لديك مورد لا ينضب من المحبة من خلال يسوع، وسوف تصبح حياتك مليئة بالمحبة.

عندما كنت شاباً، كانت محبتي للناس أقل مما هي عليه اليوم، لكنني حاولت أن أقدم المحبة ووجدت أن موردي يزداد. فطالما ظللت أستخدم المحبة التي لدي، استمر الله في منحي محبة أعمق.

عندما كنت شاباً، لم أكن في الحقيقة أحب الأطفال الصغار - كنت

فقط أقدرهم، لكن في أحد الأيام قررت أن أحبهم. واليوم يفيض قلبي بالمحبة نحو الأطفال الصغار. يمكنني أن أقول الآن إنني أحب الأطفال محبة صادقة وأستمتع بهم، وأحب أن أباركهم.

أنا أستمتع بحياتي كثيراً الآن، لكن عندما كنت واعظاً شاباً لم يكن لديَّ كل هذا القدر من الفرح، فالفرح الذي أتمتع به الآن يزيد عما كان لي منذ عشرين عاماً بعشرين ضعفاً. لقد قررت أنني يمكنني أن أختار أن أحزن أو أفرح، وقد اخترت أن أفرح. ومنذ أن قررت أن أمنح المحبة للآخرين، وجدت المزيد من الفرح في حياتي.

جزء من حدوث ثورة المحبة في جسد المسيح هو أن تساعد الناس على أن يروا أن السعي وراء المحبة ليس هو الطريق الصحيح. يجب أن نساعد الناس، من خلال قدوتنا، أن يدركوا أنك لكي تحصل على المحبة، ليس عليك أن تطلبها، بل أن تعطيها.

المحبة الحقيقية لا تأتي من أي شخص، لكنها تأتي من الله. حتى محبتي لزوجتي «مارجا» تُعَد محبة نقية، لأنني وجدت المصدر. لقد تعلمنا أن تقديم المحبة أفضل من أخذها، وعندما يعطي الزوج والزوجة المحبة بعضهما لبعض، سيستمتعان بزواج عظيم.

عندما يتعلم أعضاء جسد المسيح أن يقدموا المحبة للعالم الهالك المائت، سوف نوسع دائرة محبتنا ونؤثر على المجتمع للأفضل، وسوف نحسن مجتمعنا.

هل أنت مستعد للثورة؟ إليك بعض الاقتراحات لكي تسلك في محبة المسيح في ثورة المحبة الخاصة بك:

١- تكلم بالمحبة. تقدم وانطق بها

كن «شلال محبة» يصب دائماً في الآخرين. بعض الناس يقولون: «أنا لم أُخلق بهذه الطريقة». إذا أكثر كل مؤمن من كلمة «أحبك» سوف يعيد هذا رسم العلاقات في العالم. جرب الأمر. إذا أخبرت الناس أنك تحبهم، سوف تسمع هذه الكلمة تقال لك أيضاً. عندما تقول من قلبك «أحبك»، سوف يقويك هذا في محبة المسيح.

٢- صغ محبتك في كلمات مكتوبة

عندي ملف أسميه ملف «أحبك» أضع فيه الرسائل الرقيقة التي تصلني، وهي تعني الكثير بالنسبة لي. فكلمة تشجيع بسيطة منك يمكن أن تعني الكثير جداً لشخص آخر. وصياغة محبتك في كلمات مكتوبة، تجعل هذه المحبة دائمة وباقية، بل إنها يمكن أن تحفظ حياة شخص ما إذا غرق في يوم ما في اليأس. وكتابة رسالة عن محبة الله لشخص ما سوف تشجعه، وسوف تلهمك وتزيد من الوعي بمحبة الله.

٣- تجرأ وافعل أعمالاً مبالغاً فيها تدل على المحبة

عندما نتخطى ما قد يتوقعه الآخرون منا لكي نعبر لهم عن محبة المسيح، سوف تكون نتائج أعمال المحبة هذه مضاعفة في حياة الآخرين. أحياناً يستلزم الأمر بعض المخاطرة لفعل ما هو أكثر قليلاً مما أفعله – وهذا جزء من ثورة المحبة. اسأل نفسك: «هل يمكنني أن أفعل أكثر قليلاً مما أفعله حالياً في محبة الآخرين؟» لتكن حياتك جديرة بأن يتذكرها الآخرون. الثوار دائماً ما يقومون بأعمال مبالغ فيها. اجعل من اليوم العادي يوماً غير عادي بأن تسمح لمحبتك أن تكون مبالغاً فيها في تعبيرها عن محبة الله.

٤- المحبة مستعدة أن تفرح وأن تبكي

كثيراً ما يكون إظهار المحبة معناه أن تساعد شخصاً آخر ليست لديه رغبة في الفرح، والاشتراك في الحزن مع شخص ما، أو عبور الوادي معه، يرسي أسساً عميقة من المحبة والثقة. كان يسوع يذهب إلى حفلات الزفاف والجنازات، وكان يعرف ما يحتاجه الناس في كلا الموقفين. يجب أن نشارك بمحبة الله في كل الظروف لكي نكون مستريحين في إظهار المحبة للفرحين وللنائحين أيضاً.

٥- تعلم أن تحب أشخاصاً مختلفين بطرق مختلفة

الناس يستقبلون المحبة ويمنحونها بطرق مختلفة، لذلك يجب أن نتعلم أن نحب الناس بطرق مختلفة. من الضروري لكل منا أن نتعلم كيف نقدم المحبة لمن هم قريبين منا ونقبلها منهم. ويجب أن نتعلم كيف نقدم المحبة لمن هم في العالم من حولنا، خصوصاً من قد لا ينالون محبة من أي شخص آخر. ادرس الناس وادرس كلمة الله، وانظر كيف كان يسوع يحب الناس، وسوف تتعلم كيف تظهر المحبة للأشخاص المختلفين بطرق مختلفة تجعل كلاً منهم يشعر بالسعادة وتجلب المجد لله.

هل تريد أن تكون ثائراً؟

والآن، هل ستسلك مثل الثوار اليوم؟ هل سيكون كل يوم من حياتك منذ الآن فصاعداً برهاناً على أنك جزء من ثورة المحبة؟ ما الذي سيذكرك الناس به؟ ذكاؤك؟ مهارتك؟ في النهاية لا يهم سوى المحبة. المحبة هي التي تمنحنا القيمة الأبدية. كل شخص يرغب في أن يعرفه الناس على أنه مخلوق روحاني مخلوق على صورة الله، والمحبة هي الطريقة الوحيدة لفعل هذا.

حب كما لو أن محبتك لا حدود لها، وسوف تكتشف أنها كذلك بالفعل. قد لا تحب شخصاً ما عندما تقابله لأول مرة، لكنك إذا أعطيته المحبة التي عندك، فسوف تنمو هذه المحبة.

أشجعك على أن تكون أكثر شخص محب يمكنك أن تفكر فيه، وأستطيع أن أقول لك مسبقاً إنك إذا أحببت في كل وقت، لن ينضب موردك أبداً.

ما رأيك إذاً؟ انضم مرة أخرى لجيش الله الذي يقيمه اليوم، وسوف أراك في ثورة المحبة!

الفصل

١٥

هل نريد نهضة أم ثورة؟

الجميع يفكرون في تغيير العالم، لكن لا يوجد من يفكر في تغيير نفسه.

ليو تولستوي

إنهاض شيء يعني إعادته للحياة مرة أخرى، أي توجيه الانتباه لهذا الشيء من جديد. عندما يشهد المجتمع اهتماماً متجدداً بالأمور الدينية، يُسمي هذا نهضة. جاء تعريف كلمة «نهضة» في قاموس ميريان ويبستر الجامعي على أنها «اجتماع تبشيري أو سلسلة اجتماعات تتميز عادة بزيادة الانفعالات». طوال حياتي كمسيحية بالغة كنت أسمع الناس يتحدثون عن النهضة ويصلون لأجل النهضة، لكني لم أعد متأكدة أن ما نحتاجه هو نهضة. أعتقد أننا نحتاج إلى شيء أشد وأعمق. أعتقد أننا نريد ثورة. يُعرِّف قاموس وبستر كلمة «ثورة» على أنها «تغيير فجائي أو جذري أو كامل».

نحن نشعر بالراحة في إصلاح القديم أكثر من التغييرات الجذرية، لكن

هل نجحت النهضات القديمة في تغيير الكنيسة والعالم؟ بالتأكيد كانت مفيدة في وقتها، لكن ما الذي نحتاج إليه الآن في الكنيسة لكي نكون فعالين في العالم؟ ما الذي يلزمنا لكي نكون النور الذي دعانا المسيح لنكونه؟

في كتاب الطريقة البربرية، كتب إروين ماكمانوس يقول: «ليتنا نتخلى عن المسيحية المعقمة ونرجع إلى الإيمان القديم الخام الذي يفضل الثورة على المساومة، والخطر على الأمان، والغيرة على الديانة الفاترة المخففة». إن غيرة المسيح هي التي قادته إلى الصليب. هل تقودنا غيرتنا على الأقل إلى أن نضحي ببعض طرقنا القديمة حتى يمكن للجيل القادم أن يختبر القوة المغيرة لثورة المحبة؟

كان يسوع ثائراً، ومن المؤكد أنه لم يكن مدافعاً عن التقليد. لقد أتى ليحدث التغيير، وهذا ما أزعج المتدينين في أيامه. الله لا يتغير أبداً، لكنه يغير الآخرين. لقد وجدت أنه يحب الإبداع والتجديد ويحب أن تكون الأشياء طازجة وساخنة.

بعض الكنائس لا تفكر حتى في تغيير أشياء بسيطة مثل نوعية الموسيقى لديها، فهم يرنمون الترانيم القديمة ويعزفون على الأرغن فقط حتى نهاية الزمان، وهم يتجاهلون حقيقة أن جماعتهم مستمرة في التقلص في الحجم ولا تؤثر على مجتمعها على الإطلاق. مثل هؤلاء يحتاجون إلى أن ينظروا حولهم في صباح الأحد ويسألوا أنفسهم لماذا لا يوجد في هذا المبنى سوى أشخاص مسنين أوفي منتصف العمر؟ أين الشباب؟ أين الحماس؟ أين الحياة؟

منذ عدة سنوات بدأنا نشاهد انحساراً ضئيلاً في المؤتمرات التي نقوم بها في مختلف مناطق البلاد، ولاحظنا أن معظم الحاضرين كانوا في منتصف العمر أو أكبر. بدأ ابني البالغ من العمر آنذاك أربعة وعشرين

عاماً يشجعنا على أن نُجري بعض التغييرات الجذرية في أسلوب الموسيقى والإضاءة والديكور ونوعية ملابسنا. قال إن جيله يحتاجون بشدة إلى من يوصل لهم إنجيل يسوع المسيح، لكن هذا غير متاح بسبب الديانة عتيقة الطراز المعروف عنها أنها ناموسية ومملة. وظللنا أنا وديف لمدة عام نقاوم هذا الفكر بشدة، وقلنا ما يقوله معظم الناس عندما لا يريدون أن يتغيروا: «الله لا يتغير»، كما أننا كنا نشعر أن ما كنا نفعله حتى ذلك الوقت كان ناجحاً، فلماذا نغيره؟ كانت هذه الكلمات تنطوي على الكثير من الكبرياء، فقد كان صعباً علينا أن نسمح لذلك الشاب ذي الأربعة والعشرين عاماً، والذي دخل إلى الحياة العملية مؤخراً، أن يخبرنا ما الذي يجب علينا أن نفعله. لكن مع مرور ذلك العام بدأنا نصغي إلى أشخاص أصغر في السن، وأدركنا أننا لا يجب علينا أن نعبد الأساليب. إن رسالتنا لن تتغير، لكن الغلاف الذي يلفها هو الذي يحتاج إلى تغيير.

العالم يتغير، والناس يتغيرون، والأجيال الجديدة تفكر بشكل مختلف عن الأجيال السابقة، ويجب علينا أن نهتم بالوصول إليهم. كنت أريد أن أرى الشباب يأتون إلى مؤتمراتي، لكنني لم أكن مستعدة أن أقابلهم حيث يقفون. لكن قليلاً قليلاً بدأت قلوبنا تنفتح لتجربة أشياء جديدة، ورأينا نتائج عظيمة. لم يقتصر الأمر على أننا لم نفقد الناس الذين لدينا، بل أتى أيضاً أناس جدد، وكثيرون منهم كانوا شباباً ومتحمسين. إذا كانت لنا حكمة الجيل الأكبر والإبداع الحماسي للجيل الأصغر، فنحن نمتلك أفضل ما في الفريقين.

في إحدى المرات عقدنا اجتماع عمل مع فريق القيادة لدينا في المكتب. واقترح ابني، الذي كان يدفعنا للتغيير، فكرة عن شيء ما واختلفت معه فيه. ظل يحاول إقناعي برأيه، لذلك سألت كل الحاضرين عن رأيهم، وقد

اتفقوا كلهم معي. وعندما أظهرت له أن كل من هم في الغرفة متفقون معي قال ابني دان: «بالطبع يا ماما كلهم متفقون معك، فكلكم من سن واحد». عند هذه النقطة بدأت أدرك أنني أحطت نفسي بأناس يشبهونني، وعندما فعلت ذلك كنت أمنع التنوع. كان يجب أن يكون لدينا قادة من كل الأعمار، وليس فقط أشخاص كلهم من جيل واحد.

في مناسبة أخرى أراد دان أن يستخدم بعض الألوان في مجلتنا الشهرية ولم نكن قد استخدمنا مثلها من قبل. لم أحب تلك الألوان، فرفضت. وكان هو مصراً على استخدام ألوان جديدة، وقلت أنا بكل تأكيد: «أنا لا أحب هذه الألون ولن أستخدمها!» فقال لي: «لم أكن أعلم أنك دعيت لكي تخدمي نفسك. ماذا إذا كان الآخرون يحبون هذه الألوان؟». عند هذه النقطة انفتحت عيناي وأدركت أننا لدينا في المكتب أسلوب الملابس التي تعجبني، وكنا نستخدم في المجلة وفي الإعلانات وفي المبنى الألوان التي تعجبني. كنا نعزف الموسيقى التي تعجبني. خجلت عندما أدركت كم القرارات التي كانت متعلقة بما يعجبني وما يريحني، ولم تكن متعلقة بما يحتاجه الناس.

بدأنا أنا وديف ندرك أننا كنا نعبد الأساليب وأن هذه الأساليب لم تكن تعني أي شيء بالنسبة لله. كان ما يريد أن يوصله للناس هو رسالته، أما الغلاف الذي تأتي فيه الرسالة فيمكن بالتأكيد أن يتغير، لذلك بدأنا نتغير. ومنذ ذلك الحين ونحن منفتحون على التغيير. لقد غيرنا أسلوب ملابسنا إلى أسلوب أكثر عصرية، وغيرنا فرق العبادة إلى فرق تجذب المزيد من الشباب. قررت أن أحب الجيل الحالي بالدرجة التي تجعلني أرنم الترانيم التي يستمتعون هم بها، وقللنا من وقت العظة لأن مجتمعنا كله اليوم يريد أن يفعل الأشياء بسرعة أكبر. كنت معتادة على

اجتماع الكنيسة الذي يستمر ثلاث ساعات، لكن ليس الجميع هكذا، لذلك قررنا أن نقابل الناس في منتصف الطريق. غيرنا نظام الإضاءة ليكون أقوى، بل إننا أحضرنا ماكينة دخان لأنهم قالوا لي إنها تخلق جواً ما. ولازلت أرى أن كل ما تفعله هو أنها تمنع الناس من أن يرونني بوضوح، لكنني يمكنني أن أتعايش مع الدخان إذا كان هذا هو ما يجعل الناس يقبلونني بالدرجة التي تجعلهم يستمعون إلى رسالة الإنجيل. تذكر أن بولس قال إنه صار للجميع كل شيء لكي يربح الناس لإنجيل يسوع المسيح (انظر ١كو ٩: ٢-٢٢). لم يكن يعبد الأساليب، ولا يجب علينا نحن أن نفعل ذلك.

يقول الكتاب المقدس إنه في الأيام الأخيرة سوف نشهد كنيسة أنانية ومتمركزة حول ذاتها. سوف يصبح الناس متسيبين أخلاقياً، وسوف يتمسكون بصورة التقوى بينما ينكرون قوة الإنجيل (انظر ٢تي ٣: ١-٥). نحتاج أن نرى قوة الله في كنائسنا. نحتاج أن نرى تغييراً وشفاءً واسترداداً وفداءً في حياة الناس. نحتاج أن نرى محبة الله تتدفق بحرية. نحتاج أن نرى ثورة، وأنا مصممة على أن أكون جزءاً منها!

يمكنني أن أقول بصدق أن الكثير من التغيرات التي أجريناها على مؤتمراتنا لم تكن تعجبني على وجه التحديد، لكنني أتعلم كل يوم أن المحبة تتطلب منا أن نتخلى عن طرقنا وأن نكتشف ما هي طرق الله للفترة الحالية. كثير من التغييرات التي قمنا بها كانت بالتأكيد تضحية مني بشكل خاص، لكني أعرف في قلبي أنها كلها كانت هي الصواب. ومع أن ما أقوله يبدو أحمقاً، إلا أنني في وقت من الأوقات كنت أظن أن الله لن يبارك شخصاً يقف على المنبر ويحاول أن يقود الناس بينما يرتدي ملابس مصنوعة من قماش الدنيم (الذي تُصنع منه الملابس الجينز)، ثم فكرت

جدياً في ما كان موسى يرتديه عندما صعد إلى الجبل ليأخذ من الله الوصايا العشر، وأدركت أخيراً كم كنت حمقاء. يوحنا المعمدان أيضاً كان يلبس ثياباً غريبة، وكانت لديه عادات أكل غير معتادة، وكان يعظ الناس في البرية، لكنه قاد ثورة. لقد أعد الطريق للمسيا. لم يكن من مناصري الديانة المنظمة، وقد سمى معظم قادة الدين في يومه: أولاد الأفاعي. لم يكن يحتمل المتدينين ذوي البر الذاتي في أيامه، الذين كانوا يذهبون إلى الهيكل ليصلوا ولا يحركون إصبعاً ليساعدوا أي محتاج.

الله ينظر إلى القلب، وما نحتاج أن نتعلمه هو أن نفعل مثله. لم يكن الله يهمه شكل موسى أو يوحنا، بل كان متلهفاً أن يجد شخصاً لا يخشى من قيادة ثورة على الديانة الميتة، وقيادة الناس إلى العلاقة الحميمة معه.

المحبة تضحي

كلمة «تضحية» ليست هي الكلمة التي نحبها، لأنها تعني أن نتخلى عن شيء قد نفضل أن نحتفظ به. في اللغة الأصلية للعهد الجديد (اليونانية) جاءت كلمة تضحية بمعنى «تقدمة، أو تقديم شيء كذبيحة». المحبة لا تصر على رأيها (انظر ١كو ١٣ : ٥). كثيراً ما تتطلب المحبة منا أن نضحي بأسلوبنا في عمل شيء ما.

في العهد القديم كانت كلمة «تضحية» هي نفسها المستخدمة لتعني الذبيحة، وتشير إلى ذبيحة الحيوانات عن الخطية، لكنها في العهد الجديد تشير إلى ذبيحة المسيح وبذله لنفسه على الصليب. العهد الجديد أيضاً يحث المؤمنين أن «تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ» (رو ١٢ : ١).

والسبب الرئيسي الذي لا يجعلنا نرى الكثير من المحبة في العالم

كما ينبغي هو أن الناس لا يحبون أن يقدموا التضحيات . فإن طبيعتنا تميل إلى الاحتفاظ بالأشياء ، لا التضحية بها . فنحن بذلك نحمي نطاق راحتنا . قد نقدم الأشياء إذا كان هذا سهلاً أو مناسباً ، لكن عندما يستلزم الأمر التضحية ، نتراجع . كم عدد الطرق التي تتمسك بها بشدة بدون حتى أن تسأل «هل لدى الله طريقة أخرى يمكنني بها أن أفعل ذلك ؟» يجب أن نتذكر أن الكتاب المقدس يقول أن طرق الله أعلى من طرقنا (انظر إش ٥٥ : ٨) .

أمر جيد أننا يمكن أن ننمي عادات جديدة ونعيش حقاً حياة البذل والتضحية ونستمتع بها. عندما نتذكر أن نفعل الخير مع الآخرين ونرفض أن نهمل العطاء السخي لهم، يقول الكتاب المقدس إن الله يُسر بمثل هذه الذبائح (انظر عب ١٣ : ١٦) . «هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ» (يو ٣ : ١٦) . المحبة لابد أن تعطي ، والعطاء يتطلب البذل والتضحية !

كلنا لدينا طريقة نحب أن نفعل الأشياء بها ، ونظن عادةً أن طريقتنا هي الطريقة الصحيحة. إحدى المشكلات الضخمة في التدين بوجه عام هي أنه غالباً ما يصبح عالقاً في «الطرق القديمة» التي لم تعد تخدم الناس حقاً ، لكنه يرفض أن يتغير . إنه يرفض أن يضحي بطرقه .

أخبرتني إحدى صديقاتي مؤخراً أنها تجعل بناتها المراهقات تذهبن إلى الكنيسة كل يوم أحد ، لكنهن دائماً يصبن بالملل ولا يطقن الانتظار لنهاية الاجتماع. واعترفَت أنهن لا يستفدن أي شيء على الإطلاق من هذا. هؤلاء الفتيات ربما يحببن الله حقاً ، لكنهن لا يمكنهن التواصل مع الأساليب التي تستخدمها الكنيسة ، فهن ينتمين لجيل جديد يفعل الأمور بطريقة جديدة. والمحزن أن الكثيرين من الأطفال الذين يتربون في بيوت

مسيحية، يبتعدون عن كل أنواع الممارسات الدينية عندما يكبرون. قد يكون الأمر أنهم تعرضوا للإحباط بسبب الرياء، أو أنهم اصطدموا بالقواعد الناموسية، أو ربما شعروا بالملل لدرجة البكاء. الكنيسة لم تنجح معهم. كانوا يريدون شيئاً صادقاً وقوياً، شيئاً مليئاً بالمرح والمغامرة، لكن انتهى بهم الحال بقائمة طويلة من الأشياء التي لم يستطيعوا فعلها.

اكتشف تومي بارنيت، الذي شارك في تأسيس مركز الأحلام بلوس أنجلوس أن كثيراً من الشباب في تلك المنطقة يحبون رياضة التزحلق على الألواح الخشبية. وعندما سمع بأن أحد مشاهير هذه الرياضة سوف يأتي إلى المنطقة ليصور فيلماً، وأنه تم تجهيز موقع لغرض تصوير اللقطات الرياضية في هذا الفيلم بتكلفة قدرها ٥٠ ألف دولار، تجاسر وطلب أن تحصل الكنيسة على هذه التجهيزات بعد الانتهاء من تصوير الفيلم، وقد حصل عليها، وتم نقلها إلى مركز الأحلام، والآن في أيام السبت يمكن لأي شخص حضر الاجتماع في ذلك الأسبوع أن يحصل على تذكرة لممارسة التزحلق على الألواح الخشبية إذا أراد ذلك. وقد كان استعداد القس بارنيت أن يفعل شيئاً جديداً وغير معتاد سبباً في جلب الآلاف من المراهقين إلى مركز الأحلام لممارسة هذه الرياضة. وكثيرون من هؤلاء المراهقين قبلوا المسيح في النهاية. لقد ضحى بالتقاليد القديمة التي قد لا تسمح له بمثل هذا الأمر، حتى يمكنه أن يوصل المحبة لهؤلاء المتزحلقين. لقد فهم رغبتهم وساعدهم على تحقيقها. لا يمكننا أن نتوقع من الشباب – أو أية نوعية من الناس لها هذه الرغبة – أن يريدوا قراءة الكتاب المقدس والصلاة فقط. الناس يحتاجون إلى الضحك والمرح والمغامرة، ويجب ألا يضطروا أن يذهبوا إلى العالم لكي يفعلوا هذا.

قال القس بارنيت إنه عندما رنم فريق الترنيم المكون من مائتي مرنم يرتدون العبايات البيضاء «نفسي تغني يا مخلصي ما أعظمك»، نام

المراهقون. لذلك عندما طلب المراهقون أن يقدموا بعضاً من موسيقاهم في الأسبوع التالي سمح لهم بذلك. وعندما استمع إليهم في الأسبوع التالي، أدرك أنهم كانوا يقدمون موسيقى روك آند رول كترنيمة روحية. في البداية فكر في نفسه قائلاً: «ما هذا؟ ليتني لم أسمح لهم بذلك». لكن عندما أنصت إليهم وأدرك أن بركة الله كانت على هذه الترنيمة. أتعجب من الأشياء التي يمكن أن يستخدمها الله ونرفضها نحن، فالله يرى القلب الذي يقف وراء هذه الأشياء.

أؤمن أننا يجب أن نتعلم أن رسالة الإنجيل وحدها هي المقدسة، وليس الأساليب التي نقدمها بها. إذا لم نتعلم هذا، فنحن في خطر أن لا يمكننا التواصل مع الجيل الحالي، وبالتالي سوف نفقدهم. إنهم يحتاجون بشدة إلى أن يعرفوا محبة الله، وقد يكون علينا أن نضحي بطرقنا لكي نساعد على حدوث هذا.

عندما أجرينا تغييرات في مؤتمراتنا، هل ضحينا بما يريده الجمع الموجود بالفعل لصالح من كنا نريدهم أن يأتوا؟ هل ظلمنا من بقوا معنا لفترة طويلة؟ لا أعتقد هذا لأن الناضجين روحياً يجب أن يكونوا مستعدين وقابلين للتضحية لكي يروا الآخرين وهم يعرفون الحق. عندما شرحت للناس السبب الذي يجعلني أجري التغييرات، ابتهجوا كلهم. الناس يريدون أن يفعلوا ما هو صواب، لكنهم فقط يحتاجون أن يفهموا. بالطبع سوف يكون هناك دائماً من يقاومون التغيير، لكن مثل هؤلاء سوف يتخلفون عن المسيرة، فسوف يبقون حيث هم، بينما يستمر الله في التقدم للأمام بهم أو بدونهم.

عندما نتحدث عن الاحتياج إلى ثورة محبة، نحن نتحدث عن تغيير جذري في الطريقة التي نعيش بها حياتنا. يجب أن نسأل الله يومياً ما الذي

يمكننا أن نفعله لأجله، وليس فقط ما الذي يمكنه أن يفعله هو لأجلنا. أي شخص يشارك في ثورة المحبة سوف يطلب منه أن يقدم تضحيات لأجل الآخرين. لكن هذه التضحيات سوف تجلب أيضا فرحا جديدا. يجب أن يتحول تركيزنا من على أنفسنا ليكون على الآخرين. يجب أن نفكر في ما يمكننا أن نقدمه، وليس ما يمكننا أن نحصل عليه. عندما كان يسوع يسافر مع تلاميذه، كان يعلمهم عن الحياة. وأنا مقتنعة أننا نحتاج أن نسمع من على منابرنا رسائل تخبرنا كيف نعيش حياتنا اليومية بالطريقة التي ترضي الله، وليس فقط الرسائل المتعلقة بالموضوعات العقائدية. يجب أن نحرص على أن تخاطب رسائلنا كل الأجيال.

هل تعرف المسيح منذ وقت طويل لكن لازالت محبته محبوسة بداخلك؟ إذا كان الأمر كذلك. فقد آن الأوان لكي تتجاسر وتسمح لها بالخروج. يجب أن نكون قنوات تتدفق من خلالها محبة الله، لا خزانات. لتكن مستعدا كل يوم أن يستخدمك الله. أشجعك أن تصلي هذه الصلاة كل يوم: «يا رب أظهر لي ما يمكنني أن أفعله لك اليوم».

الله يريدنا أن نقدم أنفسنا يومياً كذبائح حية (انظر رو ١٢ : ١)، وهو يريدنا أن نقدم كل إمكانياتنا ومواردنا له. سوف تستلزم ثورة المحبة تضحيات بالوقت، والطاقة، والمال، والأساليب، وأشياء أخرى كثيرة. لكن الحياة بدون المحبة تعني التضحية بالحياة التي مات المسيح ليمنحنا إياها.

اخرج من حفرة التدين

هل أنت مستعد للخروج من حفرة التدين، والانخراط مع أشخاص حقيقيين لهم مشكلات حقيقية؟ إن مفتاح السعادة ليس هو أن تجد من يحبك، بل أن يكون لديك من تحبه. إذا كنت تريد حقا أن تصير سعيدا،

فابحث عن شخص تحبه. إذا كنت تريد أن ترسم ابتسامة على وجه الله، فابحث عن شخص متألم وساعده.

ظللت أذهب إلى الكنيسة طيلة ثلاثين عاما بدون أن أسمع كلمة واحدة عن مسئوليتي بحسب الكتاب المقدس تجاه الاهتمام بالأيتام والأرامل والفقراء والمظلومين. وقد اندهشت عندما أدركت أخيرا كم أن جزءا كبيرا من الكتاب المقدس يتعلق بمساعدة الآخرين. لقد قضيت معظم حياتي المسيحية أظن أن الكتاب المقدس يحكي عن كيف يمكن لله أن يساعدني. لا عجب أنني كنت تعيسة.

أقوم حاليا بالإعداد لرحلة إلى إفريقيا لزيارة إثيوبيا ورواندا وأوغندا. أعرف أنني سأرى هناك احتياجا أكبر من أي شيء رأيته في حياتي في أي مكان آخر، وأنا مستعدة ومتلهفة للعطاء. سوف تكون هذه الرحلة ذبيحة وقت ومجهود وراحة وأموال، لكنني أحتاج إلى الذهاب. أحتاج إلى أن ألمس المتألمين. أحتاج إلى الاقتراب من الفقر والجوع، الاقتراب للدرجة التي لا يمكنني فيها أبدا أن أنساهما بعد أن أعود لبيتي.

سوف أحمل أطفالاً يعانون من نقص التغذية، وسوف أرى الألم في عيون أمهاتهم بسبب مشاهدتهن لأطفالهن وهم يموتون، بينما لا يستطعن أن يفعلن أي شيء حيال ذلك، لكنني سوف أساعد بعضاً منهم أيضا. ربما لا يمكنني أن أساعدهم كلهم، لكنني سأفعل ما يمكنني أن أفعله لأنني أرفض أن أظل لا أفعل شيئا! وسيمكنني أن أعود وأخبر الأصدقاء وشركاء خدمتنا من خلال ما رأيته بعيني كيف يمكنهم أن يشتركوا ويساعدوا الناس.

الناس يريدون أن يساعدوا غيرهم، لكن الكثيرون منهم لا يعرفون كيف يفعلون هذا، فهم يحتاجون إلى من ينظم الأمر لهم. هل لديك مهارات قيادية؟ إذا كنت كذلك، فلماذا لا تنظم قافلة للفقراء في مدينتك أو

تبدأ طريقة يمكنك بها أنت وأصدقاؤك أن تشاركوا في إرساليات للفقراء والهالكين في مختلف أنحاء العالم؟ كانت هناك مجموعة من السيدات اللواتي كن مصممات على أن يفعلن شيئاً، فقمن بجمع «أغراض» من جيرانهن، وأقمن معرضاً ضخماً لبيع الأشياء المستعملة، وقدَّمن كل العائد المالي لمساعدة الفقراء، وقد نجحن للغاية لدرجة أنهن استمرين في عمل هذا الأمر، والآن لديهن مخزن فعلي يديره متطوعون. كل الأشياء المعروضة للبيع عبارة عن تبرعات، وكل الأموال تقدم للإرساليات. لقد استطعن أن تقدمن خمسة وستين ألف دولار في عام واحد فقط. (بالمناسبة، معظم هؤلاء السيدات فوق سن الستين، وأنا فخورة للغاية بهن لأنهن فعلن شيئاً بمثل هذا الإبداع وهذه القيمة. لقد قررن أن تكون سنواتهن المتقدمة من أكثر سنوات عمرهن إثماراً).

ليتك تصمم على مساعدة شخص ما. كن مبدعاً! قد ثورة ضد الحياة في حفرة التدين حيث تذهب إلى الكنيسة وتذهب للبيت ثم تعود للكنيسة، لكنك في الحقيقة لا تساعد أي شخص. لا تكتف بالجلوس في مقاعد الكنيسة وترديد الترانيم. اشترك في مساعدة المتألمين، وتذكر كلمات الرب يسوع:

«لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَلَمْ تَأْوُونِي. عُرْيَاناً فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضاً وَمَحْبُوساً فَلَمْ تَزُورُونِي».

حينَئذ يُجيبُونَهُ هُمْ أَيْضاً: «يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائعاً أَوْ عَطْشَاناً أَوْ غَرِيباً أَوْ عُرْيَاناً أَوْ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟».

فَيُجيبُهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: «بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَد هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا». (متى ٢٥ : ٤٢-٤٥).



جويس ماير هي واحدة من أكبر المعلمين العمليين للكتاب المقدس على مستوى العالم. وهي الكاتبة التي حققت أكبر المبيعات بحسب استطلاع مجلة نيويورك تايمز الأمريكية.

فقد كتبت أكثر من ثمانين كتاباً بنائياً، منها استمتع بحياتك كل يوم، مائة طريقة لتبسيط حياتك، والمجموعة الكاملة لمعركة الذهن، وروايتان هما الفلس، وفي آية دقيقة، وغيرها الكثير. كما أنها أصدرت آلاف التعاليم المسموعة، ومكتبة مرئية كاملة. يتم بث البرنامج الإذاعي والتليفزيوني لجويس ماير "استمتع بحياتك كل يوم" في كل أنحاء العالم، كما أنها تسافر كثيراً لعقد المؤتمرات. جويس وزوجها ديف لديهما أربعة أولاد بالغون ويقيمون في سانت لويس بولاية ميسوري.

الثورة

سوف أتحلى بالشفقة وأتخلى عن كل أعذاري.

سوف أقف في وجه الظلم.

وأتعهد أن تكون حياتي أفعالاً بسيطة تبين محبة الله.

أرفض أن أظل لا أفعل شيئاً، وهذا هو ما عزمت عليه.

أنا ثورة المحبة.



Prepare the way
Translators & Publishers